

الرئيسية المحامية  
لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية  
بالإسكندرية

# الحافظ السلفي

أشهر علماء الزمان  
( ٤٧٠ - ٥٧٦ هـ )

والد بأصفهان، وعاش ١٠٦ سنة ،  
قضى منها ٦٥ سنة بالإسكندرية  
وبها سمع منه صلاح الدين دروس الحديث

محمد محمود زبون

مكتبة جامع الجامعة  
للطباعة والنشر والتوزيع  
ت ٢٩٤٧٢ الإسكندرية

اهداءات ٢٠٠٢

الشاعر / محمد العليم القبانبي

الإسكندرية



مطبعة صلاح الدين بالاسكندرية  
تليفون ٣٠٩٨٦

« كان حافظاً جليلاً ، وإماماً كبيراً ، واسع الرحلة ،  
ديناً ورعاً ، حجة ثبّتاً ، فقيهاً لغوياً ،  
انتهى إليه علو الإسناد ، مع الحفظ والإتقان .  
- السبكي -



(٢)

## المصادر

- الموطأ في الحديث : الإمام مالك (١٧٩-٨)  
كتاب الأم : الإمام الشافعي (٢٠٤-٨)  
فتوح مصر والمغرب : ابن عبد الحكم (٢٥٧-٨)  
فتوح البلدان : البلاذري (٢٧٩-٨)  
ولادة مصر وقضاتها : الكندي (٣٥٠-٨)  
تاريخ علماء الأندلس : ابن القرضي (٤٠٣-٨)  
رياض النفوس : عبد الله المالكي (٤٥٣-٨)  
الجزء من فضائل الإسكندرية (مخطوط مصور) : ابن الصباغ (بعد ٦٠٠-٨)  
تاريخ بغداد : الخطيب البغدادي (٤٦٣-٨)  
المقتبس في أخبار بلاد الأندلس : ابن حبان (٤٦٩-٨)  
معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع : البكري (٤٨٧-٨)  
جذوة المقتبس في ذكر ولادة الأندلس : الحميدي (٤٨٨-٨)  
فضائح الباطنية (أو المستظهرى) : الغزالي (٥٠٥-٨)  
لامية العجم : الطبراني (٥١٤-٨)  
المقامات : الحريري (٥١٦-٨)  
سراج الملوك : الطبرطوشي (٥٢٠-٨)  
الحوادث والبدع :  
ديوان ظافر الحداد : ظافر الحداد (٥٢٨-٨)  
الرسالة المصرية : أبو الصلت أمينة (٥٢٨-٨)  
نزهة المشتاق في اختراق الآفاق : الإدريسي (٥٦٠-٨)

تحفة الأبواب وتحية الإعجاب	: حامد الغرناطي ( ٥٦٥ هـ )
أنباء نجباء الأبناء	: ابن ظفر الصقلي ( ٥٦٥ هـ )
ديوان ابن قلاقس	: ابن قلاقس ( ٥٦٧ هـ )
تاريخ الخريف	: عمارة البيني ( ٥٦٩ هـ )
التكت المصرية في أخبار الوزراء المصرية	: , ,
تاريخ مدينة دمشق	: ابن عساكر ( ٥٧١ هـ )
التاريخ الكبير	: , ,
فهرست ما رواه عن شيوخه	: ابن خير الإشبيلي ( ٥٧٥ هـ )
معجم السفر	: ( مخطوط مصور ) : السلفي ( ٥٧٦ هـ )
المشيمة البغدادية	: ( , , ) : , ,
الصلة في تاريخ أئمة الأندلس	: ابن بشكوال ( ٥٧٨ هـ )
صفوة الصفوة	: ابن الجوزي ( ٥٩٧ هـ )
خريدة القصر في شعراء العصر	: العماد الكاتب ( ٥٩٧ هـ )
نصرة الفترة وعصرة النطرة	: , ,
الاستبصار	: لكتاب مراكني من أهل القرن السادس
ألف بآء	: يوسف البلوي ( ٦٠٤ هـ )
أخبار من نواحي مصر	: أبو صالح الأرمي ( ٦٠٥ هـ )
قوانين الدواوين	: ابن علقم ( ٦٠٦ هـ )
رحلة ابن جبير	: ابن جبير ( ٦١٤ هـ )
بدائع البداة	: ابن طاهر الأزدي ( ٦٢٣ هـ )
معجم البلدان	: ياقوت الحموي ( ٦٢٦ هـ )
الادباء	: , ,

- معجم الألقاب : ياقوت الحموي (٦٢٦ هـ -)
- الإفاضة والاعتبار : عبد الطيف البغدادي (٦٢٩ هـ -)
- تاريخ الكامل : ابن الأثير (٦٣٠ هـ -)
- التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية : , , :
- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية : ابن شداد (٦٣٢ هـ -)
- المختصر المحتاج إليه من تاريخ أبي عبد الله الدبشي : الذهبي (٦٣٧ هـ -)
- أو (ذيل تاريخ بغداد) انتقاء الذهبي
- النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة : ابن عبد الملك (٦٤٠ هـ -)
- ذيل تاريخ بغداد (حرف العين) (مخطوط) : ابن التتار (٦٤٣ هـ -)
- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان : سبط ابن الجوزي (٦٥٤ هـ -)
- الذكرة لوفيات النقلة (مخطوط في ٦٠ جزء أ) : المنذرى (٦٥٦ هـ -)
- المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفى : ابن الأبار (٦٥٨ هـ -)
- تحفة القاسم : , , :
- المقتضب من تحفة القاسم (اختيار إبراهيم البلقينى) : , , :
- التكلمة لكتاب الصلة : , , :
- كتاب الروضتين في أخبار الدولتين : أبو شامة (٦٦٥ هـ -)
- الذيل على الروضتين : , , :
- أخبار مصر : ابن ميسر (٦٧٧ هـ -)
- المفاخر السنية والمآثر المرضية (مخطوط) : الحسين بن عتيق السكندري (٦٨٠ هـ -)
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : ابن خلكان (٦٨١ هـ -)
- التصون الياقوتية في محاسن شعراء المائة السابعة : ابن سعيد (٦٨٥ هـ -)
- المغرب في حلى المغرب : , , :

(ج)

- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب : ابن واصل (- ٦٩٧ هـ)
- تاريخ الواصين في أخبار الخلفاء والملوك : , , ,
- والسلاطين (مخطوط مصور)
- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة : ابن عبد الملك (- ٧٠٣ هـ)
- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع : ابن عبد الحق (- ٧٣٩ هـ)
- الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة : الإدفعي (- ٧٤٨ هـ)
- بأعلى الصعيد
- سير أعلام النبلاء : الذهبي (- ٧٤٨ هـ)
- تقرة القراء الكبار على الطبقات والأعصار : , , ,
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال : , , ,
- العبر في خبر من غير : , , ,
- دول الإسلام : , , ,
- المشتبه في الرجال أسمائهم وأنسابهم : , , ,
- تذكرة الحفاظ : , , ,
- وذيلوله :
- أ - ذيل : الحسيني النمشقي (- ٧٦٥ هـ)
- ب - لحظ الألفاظ بذيل طبقات الحفاظ : ابن فهد المكي (- ٨٧١ هـ)
- ج - ذيل طبقات الحفاظ : السيوطي (- ٩١١ هـ)
- د - ذيل على ذيل كتاب العبر : العراقي
- تمة المختصر في أخبار البشر : ابن الوردي (- ٧٥٠ هـ)
- طبقات الشافعية الكبرى : السبكي (- ٧٥٦ هـ)
- لسان الميزان : , , ,

( ط )

- ديوان ابن وفاء الاسكندري ( مخطوط ) : شمس الدين بن وفا ( - ٧٦٠ هـ )
- فوات الوفيات : الكتي ( - ٧٦٤ هـ )
- الوافي بالوفيات : الصفدي ( - ٧٦٤ هـ )
- النكت المنسجم في شرح لامية العجم : ، ،
- نكت الهميان في نكت العميان : ، ،
- أعيان العصر وأعوان النصر : ، ،
- تاريخ علماء بغداد ( ذيل على ابن التجار ) : ابن رافع السلاي ( - ٧٧٤ هـ )
- البداية والنهاية : ابن كثير ( - ٧٧٤ هـ )
- الإمام بالإعلام وما جرت به الأحكام والأمر : النويري الاسكندري ( - ٧٧٥ هـ )
- المفضية في وقعة الإسكندرية وعودتها إلى  
حالتها المرضية سنة سبع وستين وسبع مائة  
هجيرة ( مخطوط مصور )
- الإحاطة في أخبار غرناطة : ابن الخطيب ( - ٧٧٦ هـ )
- رحلة ابن بطوطة : ابن بطوطة ( - ٧٧٩ هـ )
- الديباج المذهب في أعيان المذهب : ابن فرحون ( - ٧٩٩ هـ )
- تحفة الاحباب وبنية الطلاب في الخطط : نور الدين السقاوي ( بعد ٨٠٤ هـ )
- والمزارات والتراجم والبقاع المباركات
- روضة المناظر في أخبار الأوائل والآواخر : ابن الشحنة ( بعد ٨٠٦ هـ )
- تاج المرق في تحلية علماء المشرق : خالد البلوي ( بعد ٨١٩ هـ )
- غاية النهاية في طبقات القراء : ابن الجزري ( - ٨٣٣ هـ )
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار : المقرئ ( - ٨٤٥ هـ )
- السلوك لمعرفة دول الملوك : ، ،

( ى )

- انماط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الحنفا : المقرئى ( - ٨٤٥ هـ )  
الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة : ابن حجر ( - ٨٥٢ هـ )  
رفع الإضر عن قضاة مصر : :  
الإصابة فى تمييز الصحابة : :  
إنباء الغمر بأبناء العمر : :  
زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك : غرس الدين خليل ( - ٨٧٣ هـ )  
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة : ابن تفرى بردى ( - ٨٧٤ هـ )  
المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى : :  
إنباء المعصر بأبناء المعصر : الصيرفى ( - ٨٧٩ هـ )  
دستور الإعلام بمعارف الاعلام (مخطوط) : ابن عزم ( - ٨٩١ هـ )  
الضوء اللامع لأهل القرن التاسع : نيس الدين السقاوى ( - ٩٠٢ هـ )  
الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ : :  
التبر المسبوك فى ذيل السلوك : :  
حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة : السيوطى ( - ٩١١ هـ )  
رسالة فى فضل ثغر الإسكندرية : السيوطى ( - ٩١١ هـ )  
( مخطوط مصور مكمل لابن الصباغ )  
بنية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة : :  
تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة : :  
نظم الصبيان فى أعيان الأعيان : :  
طبقات المفسرين ( مخطوط ) : الداودى ( كان حياً سنة ٩٤١ هـ )  
طبقات النحاة واللغويين ( د ) : ابن شهبة ( - ٩٥١ هـ )  
درة الحجال فى غرة أسماء الرجال : ابن القاضى ( - ١٠٢٣ هـ )

## (ك)

الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية : المناوى الحدادى (١٠٣١هـ)  
(مخطوط)

نيل الابتهاج بتطريز الديباج : التمكنى (١٠٣٢هـ)

نفع الطيب في غصن الاندلس الرطيب : المقوى (١٠٤١هـ)

شذرات الذهب في أخبار من ذهب : ابن العماد (١٠٨٩هـ)

تاج العروس في شرح القاموس : المرتضى الزبيدى (١٢٠٥هـ)

سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر : المرادى (١٢٠٦هـ)

البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع : الشوكاني (١٢٥٠هـ)

الغرر الحسان في تواريخ حوادث الزمان : حيدر الشهابى (١٢٥٨هـ)

اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة : ظافر الازهرى (١٢٥٥هـ)

هدية المارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين : إسماعيل البندادى (١٣٣٩هـ)

إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون :

الحلل الهندسية في الأخبار والآثار الأندلسية : شكيب أرسلان (١٣٦٦هـ)

معجم المؤلفين : عمر رضا كحاله

معجم النساء :

الاعلام : الزركلى

الإعلام والتبيين في خروج الفرج الملاعين : الحريرى

على بلاد المسلمين

التاريخ المنصورى : أبو الفضائل الحموى

الفاطيون في مصر : د. حسن إبراهيم حسن

فهرست الكتبخانه التجديدويه



بسم الله الرحمن الرحيم

## فاتحة

لن أطيل في تقديم هذا الكتاب ، ولن أكلف القارئ الكريم إلا كلمات  
أعرض فيها للأهمية الكبرى التي للإمام الحافظ السلفي أشهر علماء الزمان ، بالقياس  
إلى ثقافته الإسلامية في القرن السادس الهجري ، حيث بلغت أوج ازدهارها  
فيما بين غروب شمس الدولة الفاطمية للشيعة ، وشروق شمس الدولة الأيوبية  
السنية ، على يد السلطان المجاهد في سبيل الله ، حامى دمار الدين ، ورافع منارة  
العلم ، وهازم الصليبيين الأوروبيين الغزاة ، إصلاح الدين ، الذي لم تتمعه إصلاحاته  
في مصر والشام وتمير حصونها وثغورها في سبيل الوحدة التضاللية للأمة ،  
من حضور دروس الحديث التي كان يلقيها الإمام السلفي بالإسكندرية ، ومعه  
أولاده وكبار حاشيته من الوزراء والكتاب والمؤرخين .

نشأ السلفي ببلده أصبهان وأخذ عن أبيه ومعاصريه ومواطنيه ، ثم رحل  
شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً ، وسمع من بغداد ومكة والمدينة ودمشق وصور  
والإسكندرية ومصر ، وطال عمره حتى توفاه الله سنة ٥٧٦ هـ عن مائة وستة من  
الأعوام ، سالحاً منها نحو خمسة وستين عاماً بالإسكندرية ، فاشتهر بها واشتهرت  
به ، وأخذ عنه المئات في المشرق والمغرب ، بعد أن تألق نجمه في علم الحديث ،  
وما يستتبعه من ثقافات إسلامية واسعة ، كاللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة  
وأدب وتفسير وفقه وتصوف ونقد وتاريخ وجغرافيا ، فكان المحقق المدقق في كل  
مجال من مجالات ثقافته وفي كل عمل تعليمي قام به من تأليف وتدريس ، انطلاقاً  
من « المدرسة السلفية » ذات الاضواء العربية الحميمة ، بعيداً كل البعد عن الفتن

الضارية التي حوله ، فشق طريقه خلالها ، غير طامع في منصب ؛ أو راج في جاء من ملك أو خليفة أو سلطان أو أمير أو ناظر .

وصفوه بأنه «مُسْتَدَالِدُنِيَا» ، ولم يبلغ شأوه أحد قبله أو بعده في علو الإسناد ، فكان فضله عظيما على علم الحديث ، دراية ورواية ، وفضله على العلماء جميعا أعظم وأتم ، سواء في المادة العلمية أو المنهج الدراسي ، وبهذا خدم التراث الإسلامي ، وضانه من التحوير والإهمال والضياع ، بل كان المرجع الدقيق لمشاهير المؤلفين بعده ، في مختلف العلوم ، ولا سيما علم البلدان وعلم التاريخ ، وعلم الرجال ، وعلم النقد الزيه .

لقد جمع السلفي بين أهل المشرق والمغرب بما أخذه عنه ونشره وأذاعه ، فكان الواحد منهم يفخر بأنه سمع من السلفي أو كتب له بالإجازة ، وما أكثرهم ، حتى لقد أمكننا بعد الجهد الجهد ، أن نشر على ما يزيد على ثلثمائة يتيمون إلى الأمصار والمدن والقرى المعروفة والمجهولة ، وما أحوجنا لليوم إلى التعرف على تحركات هؤلاء على الصعيد الإسلامي ، في هذه الحقبة الغنية بالثقافة من تاريخنا الذي وحد بيننا ، ووطد روابطنا ، في ظل العروة الوثقى التي لا انفصام لها .

ويجدر بنا هنا أن نذكر للقارئ مدى الجهد المبذول في جمع المعلومات الدقيقة عن الحافظ السلفي من بين المخطوطات والمطبوعات ، وما أصعب البحث عن صورة متكاملة مثل هذه الشخصية المظلومة ، وأشلاؤها متناثرة مبشرة ، لم تتل كل الاهتمام حتى الآن من الكاتين عن أعلام الفكر الإسلامي ، وبعد دراسة شاقة ومتواصلة ، استغرقت منا أكثر من عشر سنوات ، وعلى الرغم من مشاغل الحياة ، وأعباء العمل الوظيفي ، أمكن بتوفيق من الله وحده ، تحقيق أمل بعيد المنال ، طالما دأب الخيال ، ولولا الإيمان بالقدر على امتلاك زمام البحث ،

لأنصرفت المهمة عن الكتابة في هذا المجال، وانقضى العمر، والحسرة تنهش الضمير،  
للتقصير عن أداء الواجب المحتوم على أهل الوفاء، نحو عظمائنا الخالدين .

والكتاب - بعد هذا كله - صورة ( تحيلية ) حية ، لا ( تقريرية ) جامدة ،  
وآثرنا هذا المنهج لإثارة ، لكي تبرز معالم السلفي من ثنايا القواعد السياسية  
والتاريخية والفكرية ، على امتداد رقعة العالم الإسلامي ، فيما بين الصين شرقا ،  
والأندلس غربا ، وما من خطوة من خطوات الرجل لإلتبغنا فيها ، واضعين بين  
يدي القارئ قاعدة عريضة للأحداث الجارية في كل مكان حل به أو رحل عنه ،  
وفي ضوئها اتضحت الصورة أكثر فأكثر .

أما مصادر البحث التي اتخذناها مراجع لنا في هذه الدراسة فهي كثيرة متعددة  
كما يبدو للقارئ ، منها المطبوع بمصر أو براكش أو بيروت أو دمشق أو بغداد ،  
وكل هذا جهون ، وعلى الرغم من أن بعض هذه المراجع يشتمل على عشرات الأجزاء ،  
وخطوطها من العسير قراءتها ، فإننا استطعنا أن نستفيد منها ، وكان من فضل الله  
عليها العثور على بعض المخطوطات النادرة التي لم يشر إليها أحد حتى اليوم مثل  
« المفاخر السنية والمآثر المرضية » وهي مخطوطة سكندرية لحما ودما ، وقد ألفت  
بعض الأضواء على جوانب هامة من الحياة الحضارية والثقافية للإسكندرية  
في العصر الذي عاش فيه السلفي ، ولم يسبقنا إليها أحد حتى اليوم .

ونرجو من الله عز وجل أن نكون قد أسهمنا بهذا العمل في ميدان البحث  
العلمي المنهجي لتراثنا الضخم ، ولإنصاف الأعلام الذين آنا لأوان لأن نكشف  
الضباب عن أعمالهم الرائعة التي لم تنل حقها كاملا .

والله الموفق إلى المزيد من العمر ، لمضاعفة الجهد للزيد من العمل ؟

للؤلف  
محمد محمود زيتون

الإسكندرية في : { ٢٤ ذى الحجة ١٣٩١ هـ  
٩ فبراير سنة ١٩٧٢ م }



# محتويات الكتاب

- ١ — تعريف بالسلفي .
- ٢ — السلفي والتحرك الثقافي .
- ٣ — السلفي على الطبيعة .
- ٤ — السلفي والإسكتندرية .
- ٥ — ثقافة السلفي .
- ٦ — تلاميذ السلفي في المشرق والمغرب .



( ١ )

## تعريف بالسلفي

• حافظ الإسلام ، وأعلى أهل الأرض  
إسناداً في الحديث والقراءات ، مع الدين  
والثقة والعلم ،

— ابن الجوزي —



## مصادر البحث عن السلفي

جرت عادة الباحثين عن أحد مشاهير الثقافة الإسلامية ، على الاتجاه إلى طبقة العلماء التي ينسب إليها كفسر أو محدث أو مؤرخ أو لغوي أو غير ذلك ، وإلى المذهب الذي يعتنقه سواء كان شافعيًا أو حنفيًا أو مالكيًا أو حنبليًا ، وإلى سنة وفاته في نهاية كل سنة هجرية بعد ذكر أحداثها ، وإلى البلد الذي نشأ به أو رحل إليه فتوفى فيه ، وهذه هي أهم مصادر علم الرجال ، التي يمكن الرجوع إليها في البحث عن الأعلام ، وغالبًا ما يجد فيها الباحث ما يشبع رغبته .

غير أن ( السلفي ) الذي هو موضوع هذا الكتاب ، قد حظى من عناية المصادر بما لم يحظ به غيره ، على امتداد العصور منذ نشأته الأولى ، فقد ذكره بالإسهاب أحيانًا وبالإيجاز أحيانًا أخرى ، في طبقات الحفاظ والمحدثين والقراء والفقهاء الشافعية لأنه كان شافعيًا ، وذكره في الأدباء والنسوين والشعراء والحالة وأصحاب الإجازات من المرحول إليهم من أهل زمانه ، وذكره أيضًا في الإصفهانيين والبغدادية والدماشقة والإسكندرانيين والإندلسيين ، وعلى الجملة فإن السلفي قد شغل حيزًا من الزمان والمكان لم يشغله أحد قبله ولا بعده ، وذاك من الذكر والتقدير وبعد الصيت خير مثال ، وكانت المدرسة السلفية ذات أعتاد بعيدة وعميقة ، أقصى ما يكون البعد والعمق .

وقد يبدو للقارئ أن التاريخ بهذا قد أتاح للباحثين ما وفر عليهم الجهد في الإحاطة بشخصيته دون مشقة أو عناء ، ولكن العكس هو الصحيح ، ذلك أن المادة الوفيرة كثيرًا ما تنحدر إلينا بالتواتر ، وقد يضيع بعضها في الطريق مع طول الزمن ، فلا تبرز معالم الشخصية أمامنا كما ينبغي ، بفضل عوامل التبرية التاريخية .

من جهة ، وإهمال أصحاب التراجم والمراجع أحيانا من جهة أخرى لبعض الجوانب عن عمد ، وتركيزهم على جوانب أخرى ، هي في أنظارهم أم وأولى .

أما نحن فكان علينا ألا نركز على ما تركه لنا المترجمون عن السلفي ، دون الرجوع إلى ما كتبه السلفي نفسه عن نفسه وعن غيره ، وبهذا صرنا نطمئن إلى تكامل المصادر ، وبالتالي إلى تكامل الشخصية المطلوب منا عرضها للناس ، بعد أن تكون قد دبت فيها الحياة ، من بعد الممود الذي طال مداه .

وفي ضوء هذه المحاولة ، ومن هذا المنطلق ، قطعنا في البحث عنه شوطا بعيدا ، للوفاء بما أزمنا به أنفسنا ، كما فعلنا في كتابينا السابقين « الإمام أبو العباس المرسى » و « القبارى زاهد الإسكندرية » وإن كان حق « الحافظ السلفي » علينا أن نبذل من أجله ما يتناسب مع مكانته العملاقة في تاريخ الإسلام ، بعد أن لقي كل الإهمال والنسيان ؛ وأملنا كبير في الله عز وجل أن نكون قد استعلمنا القيام نحوه ببعض مستحقاته من كل من يعرف الفضل لنوحيه .

كيف لا ، والرجل قد احتل من الزمان أكثر من مائة عام ، عاشها في عصر حافل بالأحداث الجسام الضخام التي كان مسرحها يمتد من أضيقها إلى الإسكندرية ، عبر بلدان الشرق كله ، بل وتجاوز أفواج طلاب المسلم قادمة إليه من أقاصي الاندلس والمغرب سعيًا إليه - وهو في الإسكندرية - للاعتراف من مناهل ثقافته بالحنوز أو بالإجازة المباشرة وغير المباشرة ، فكان بحق نادرة الزمان والمكان معا ، وقد أثرهما أليما لإثراء ، بما خطه له التاريخ من العطاء الخصب في مختلف الميادين ، ولهذا لم يكن السلفي عالم عصره أو إمام بلده ، وإنما تخطى الحواجز فقالوا إنه كان « مسند الدنيا » و « حافظ الإسلام » و « وأعلى أهل الأرض إسناداً في الحديث والقراءات... » فن هو السلفي صاحب هذه الأوصاف ؟

## السُّلْفَةُ . . واشتقاقها

كان السُّلْفِيُّ ببغداد وغيرها يكتب عن نفسه : أحد بن محمد يعرف بـ (سُلْفَةٍ) ، فلما سكن الإسكندرية صار يكتب : السُّلْفِيُّ (١) ولما كان السُّلْفِيُّ شافعيًا ، فإن اهتمام تقي الدين السبكي صاحب «طبقات الشافعية الكبرى» كان أكثر من غيره في الترجمة له ، فهو : أحد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سُلْفَةٍ : الحافظ الكبير أبو طاهر ابن أبي أحمد السُّلْفِيُّ الأصبهاني الجرواني ، وكان اعتماد السبكي في هذه الترجمة على شيخه الذهبي ، ولم يشذ عنهما أحد بعدهما في ذكر نسبة السُّلْفِيِّ ، في قليل ولا كثير .

وسلْفَةُ (بكسر السين وسكون اللام وفتح الفاء ثم إثناء المربوطة) لقب لأحد - كما يقول الذهبي - أما السبكي فكان يحفظ أنه اسم لوالد إبراهيم ، ولكنه يرجح رأي شيخه ويستصوبه ، ولما نسب إليه قيل : السُّلْفِيُّ ( بكسر السين وفتح اللام وكسر الفاء وياء النسبة ) ، وانفرد صاحبنا بهذا الاسم النادر عبر القرون ، واشتهر على كل لسان وقلم بالحافظ أبي الطاهر السُّلْفِيُّ .

وسلْفَةُ - اسم جده كما حكى ابن دحية - لفظ عجى فسرّه ابن خلكان بقوله : معناه بالعربية ( ثلاث شفاه ) لأنه كان أعلم الشفة أى أن شفته الواحدة كانت مشقوقة ، فصارت مثل شفتين غير الأخرى الأصلية ، والأصل أنها (سَلْبَةُ) بالباء المشددة فيما يوازي حرف p وأبدلت فاء f مثل أصفهان أصلها أصفهان ، والنسائيرى أصلها البساسيرى ، وكما نقول نحن : أفلاطون بدلا من : بلاتون Platon .

وينبغي أن ننبه إلى ضرورة الدقة في نطق كلمة السُّلْفِيُّ (بكسر السين وفتح اللام)

---

(١) القول عن ابن تقيّة كما جاء في معجم ابن الأثير .

نسبة إلى (سلفه) كما رأينا - وحتى لا يختلط الأمر بلفظة أخرى تتفق معها حروفاً وتختلف عنها تشكيلاً، ومنها :

السلف : ( بفتح السين وفتح اللام ) : معروفة ومعناها القوم السابقون ، فنقول السلف الصالح ، ونقول : أهل السلف أو السلفيون وهم جماعة من أهل الكلام ، لهم وجهة نظر يختلفون بها عن المعتزلة ، أحدهم : سلفي ( بفتح السين واللام ) . والسلف أصلاً بهذا ( الشكل أى فتح السين وتشديدها وفتح اللام ) واحد أولاد الجمل ، وجمعه سلفان ، وبه سميت القبيلة ، على سبيل النقل .

والسلف : ( يضم السين وفتح اللام ) كما يقول القلقشندي في « نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب » ، أو السلفان ( بكسر السين وسكون اللام ) حتى من بنى قحطان بن عامر ، غلب عليهم اسم أبيهم فقيل لهم السلف لأنهم بنو السلف بن قحطان ، والنسبة إليهم السلفي ( يضم السين وفتح اللام ) ، ويؤكد ذلك ابن الأثير في « المعجم » ، فيقول : والسلفي : بطن من حمير .

ومن دخل مصر من الصحابة - كما ذكر ذلك السيوطي في « در الصحابة فيمن دخل مصر من الصحابة » - الحجاج بن مخلد السلفي ، وهو غير إبراهيم ابن عمر الربيعي المنعوت بالبرهان السلفي المعروف بالجعبري المتوفى سنة ٧٣٢ ودفن الخليل .

ومن الطبيعي أن يتسع الذهني بعض الأسماء التي بها مادة ( س ل ف ) في كتابه « المشتبه في الرجال أسمائهم وأنسابهم » ، فقد ذكر منهم :

١ - أبو بكر عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السرخسي السلفي ( بفتح السين وفتح اللام نسبة إلى السلف )

٢- وافع بن عقيب السلفى ، وقيس بن الحجاج السلفى . (بضم السين وفتح اللام) .

٣- إسماعيل بن عباد السلفى التقطان المتوفى سنة ٣٢٠ هـ ( بكسر السين وسكون اللام) وقد سكن «درب السلفى» بكسر السين وفتح اللام من قطعة الريح ببغداد . وعلى هذا يكون صاحبنا هو السلفى ( بكسر السين وفتح اللام ) ، وليس (بضم السين ولا فتحها) ، حتى لا تختلط على القارئ ، وهو يتابع معنا سيرة هذا الإمام العالم الذى طبقت شهرته الآفاق فحجت كل من عداه ، حتى من شاركه فى النسبة وهم قلة نادرة لا يمتد بها فى المعاجم والتراجم ، حتى ليلذكره الذهبي على أنه (فرد) أى ليس فى الدنيا من تسمى بالسلفى أحد سواه .

## من المهد إلى اللحد

السلفى أصله فارسى من (جروآن) محلة بأصهبان فنسب إليها ، فقالوا : الأصهبانى الجروأتى ، وإن كانت نسبت إلى أصهبان قد غلبت عليه ، وهى التى كانت يوما ما عاصمة إسلامية كبرى . لبلاد فارس : بها ولد وفيها نشأ وترعرع ، ومنها رحل ، وأخيرا كانت الإسكندرية العاصمة الثانية للديار المصرية مشواه الأخير ، حيث استقر بها أربعة وستين عاما لم ينفادرها فى حياته إلا مرة واحدة إلى القاهرة ، واعتبره المؤرخون من «الإسكندرانيين» ، فقد توفى بالإسكندرية فى الخامس من ربيع الآخر سنة ٥٧٦ هـ وقيل فى يوم الجمعة الخامس عشر من هذا الشهر من تلك السنة ، وهو الأرجح لتحديد اليوم بالجمعة وذلك بإجماع الثقات . وفيها دفن ، وما يزال قبره قائما بمقبرة وعلة من الباب الأخضر داخل سور الإسكندرية لا يزوره إلا القلة النادرة من العارفين له قدره ووزنه ، وهذه المقبرة تضم رفات كثير من صلحاء الإسكندرية

ومهم الإمام أبو بكر الطرطوشي وشيخ النحاة ابن الحاجب والقاضي سند بن عنان وغيرهم .

لم يكن الخلاف على سنة وفاة السلفي وهي ٥٧٦ هجرية ، ولا على سني عمره ، وهي مائة وست سنوات ، ولكن الخلاف كان على تحديد السنة التي ولد بها ، وأغلب الظن أن ذلك راجع إلى تحريف كلام المؤرخين حتى كلام السلفي نفسه على أيدي النساخ ، وليس أدل على ذلك من رواية السبكي لقول السلفي « وكان عمري نحو عشرين سنة » بينما ترجمه العبارة عند ابن كثير كآلاتي : « وأنا ابن عشر تقريباً » والفارق كبير كما نرى .

أما القول بأنه ولد سنة ٧٠ هـ فقول ساقط عند السبكي ، وعنده أن مولده سنة ٧٢ هـ « تخميناً لا يقيناً » ثم يقول « وقيل سنة ٧٥ هـ » .

وروى الحافظ عبد الغني عن السلفي - وهو من معاصريه - أنه قال :

« أنا أذكر قتل نظام الملك في سنة ٨٥ هـ وكان عمري نحو عشرين (١) سنة ، وقد كتبوا عني في أول سنة ٩٢ هـ وأنا ابن سبعة عشر عاماً أو أكثر أو أقل ، وليس في وجهي شرة كالبخاري - يعني كما كتبوا عنه (٢) » .

أما الصفراوى السكندري تلميذ السلفي فينقل عنه أن مولده كان سنة ٧٨ هـ تخميناً لا يقيناً ، ويؤيده في ذلك ابن النجار البغدادي وابن خلكان ، لأن أحداً لم يبلغ المائة سنة منذ ٣٠٠ سنة - كما يقول ابن خلكان - أو زاد عليها ، سوى القاضي الطبري الذي عاش ١٠٢ سنة ، وعلى ذلك يكون السلفي المتوفى سنة ٥٧٦ هـ وزاد

(١) وقال ابن كثير « وأنا ابن عشر تقريباً » وقال ابن خلكان « وكان لي من العمر

حدود عشر سنين » .

(٢) السبكي : طبقات الشافعية ج ٤ .

على المائة سنة قد ولد سنة ٧٤ هـ أو سنة ٧٥ هـ ، وقد مات وهو سليم الجوارح ، لم يمرض بل ظل طوال اليوم السابق على وفاته ، يتلون عليه الحديث وهو يصيح لهم عن وعى وإدراك وبقظة ، بينما يقول السبكي متشككا : « توفي صباح الجمعة ٤ ربيع الآخر سنة ٥٧٦ هـ ، فجأة وله مائة سنة وست على ما يظهر » ، أى أنه من مواليد سنة ٤٧٠ هـ .

على كل حال ، لم يختلف الثقات على سنة وفاته والشهر الذى توفى فيه ، وإن اختلفوا فى رقم اليوم ٥ أو ١٥ ، مع الإجماع على أنه يوم الجمعة ، والغالبية على أنه توفى ليلة الجمعة أو صبيحتها من تلك السنة ، وصلى عليه الظهر بجامع عبد الله بن عمرو بالإسكندرية أبو الطاهر بن عوف .

وما يدل على خسارة العالم الإسلامى بموت السلفى أن الصبوطى عندما تحدث عن وفيات الأعلام فى أيام صلاح الدين الأيوبي وضع السلفى فى المقدمة ؛ ومن بعده ابن بشكوال والسبيل والشاطبي ( ابن فيرة ) والقاضى الفاضل وابن الجوزى والعماد الكاتب وغير الدين الرازى والمكبرى وابن أبى أصيبعة الطليبي ، أما فى السنة التى توفى فيها بالذات فقد اشترك معه فيها الملك توران شاه الأيوبي أخو صلاح الدين ؛ بالإسكندرية أيضا ، ولكن فقد السلفى كان أبدا صديقا من فقد توران شاه .

### يأتى السلفى

لم يكن اهتمام المؤرخين بأسرة السلفى على النحو الذى كنا نوده ، التعرف على البيئة الأولى التى نشأ فيها هذا العالم الجليل ، فهذا ابن كثير فى « البداية والنهاية » يقول « محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سلفة الأصهباني أبو أحمد » وفى مكان آخر قال عن السلفى « إن أباه محمدا قد توفى سنة ٤٩٨ هـ وكان شيخنا غنيما ثقة سمع الكثير »

ومن العجيب أن ابن عساكر وابن خلكان اللذين اعتد عليهما ابن كثير في ترجمة السلفي ، لم يذكرأ شيئاً عن أبيه ، كما أن ابن كثير لم يذكر لنا أين توفي هذا الأب ، وإن كان المرجح أنه توفي ببلده (جروآن) سنة ٩٩٤ بعد أداء فريضة الحج ، وكان ابنه معه في هذه الحجة ، وقد روى لنا بعض ماسمه من أبيه في سفره ، حيث لم يتجاوز الابن ثلاثين سنة من عمره ، وقبل أن يغادر بلده في رحلته التاريخية عبر الإمبراطور ، حتى استقر به المقام في الإسكندرية سنة ٥١١ هـ ، أي وهو في سن الأربعين تقريباً ، وبها تزوج امرأة ذات يسار ؛ على ما ذكره جمهور المتأخرين له ، وإن كانوا لم يذكروا عنها شيئاً وفي أي سنة كان زواجه منها ، أو عما إذا كانت قد أنجبت منه ذرية صالحة ، والزاجع عندي — والله أعلم — أنه تزوجها بعد عودته من القاهرة سنة ٥١٧ هـ حيث قضى بها ثلاث سنوات نزل خلالها ضيفاً على كثيرين من علماء القاهرة ، ولا يعقل أنه ترك زوجته هذه المدة وحدها بالإسكندرية أو أنه كان قد تزوج .

أما السلفي نفسه فهو الذي حدثنا عن زوجته وأما وأبيها وبناتها ، وذلك في «معجم السفر» ، ولولا ذلك لفاتنا حظ كبير في الإحاطة بأخصب فترة من حياته العائلية والعلمية ، ذلك أن السلفي في مقامه بالإسكندرية كان يسمع من الناس ويسمع منه الناس رجالاً ونساء ، مادام طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، أخذاً وعطاء .

وزوجة السلفي «ست الأهل» كانت امرأة صالحة ود ذات يسار ، كما يقولون ، وأبوها — الذي توفي دون أن يراه السلفي — هو الفقيه المحدث أبو عبد الله بن محمد بن عيسى أبي موسى الخولاني ، وقد وصفه السلفي أبو الميمون همام بن أحمد بن بربري الأزدي ، فقال إنه كان من الصالحين وله بيت معروف ، مستدلاً على ذلك بقصة عمل ابنه عيسى كشاهد عند الحاكم ، فاعتم الأب وأنكر على ابنه

ذلك لأن « الشاهد لا يتخلص من التبعات ديناً ودنيا ، إلا من عصمه الله » ،  
ومن هنا قال السلفي عن زوجته وأهلها « كانت كأيها من الصالحات ، وبنيهم بيت  
بطيل ، ومنهم أبو إسحق بن الصباغ » .

ومنهم أيضاً أجوها أبو البركات عيسى الذي أنكر عليه أبوه وإختم إذ علم  
أنه عمل مع « اليهود » عند حاكم الإسكندرية — طبعاً — حرصاً منه على أن  
يكون الابن كالأب ، وأهل البيت أصحاب ورع وتقوى وتجرز في الدنيا ،  
وتشاء المقادير أن يتولى عيسى هذا بزواج أخته « ست الأهل » للاستاذة السلفي ،  
وقد عاشرها فأحسن المعاشرة ، إلى أن توفيت وهي في عصمته ، مثلاً أعلى للبراة  
الصالحة المتدينة .

أما أمها وتسمى « عائشة أو تزفة » فهي إحدى راويات الحديث الشريف  
بالإسكندرية ، ومن بيت علم ودين ، والأرجح — من اسم أبيها أحمد بن  
إبراهيم الرازي — أنه من أصل فارسي ، وقد قرأ عليها السلفي علوم الحديث سنة ٤٣٥  
أي بعد أن تجاوز الستين من عمره بسنوات .

وكان لها أخت محدثة أيضاً هي خديجة — أو مليحة — كأيها وأختها وأنحبا  
توفيت سنة ٥٣٣ هـ وهي بكر لم تزوج ، وصلى عليها السلفي بوصايتها له ، وعليها  
قرأ السلفي ، حرصاً منه على ما روته عن أبيها وشيوخها ، الذين منهم ابن  
عبد المولى وابن الدليل ، لأن أختها عائشة لم تسمع إلا من أبيها فقط ، وهو  
العالم بالثقفة والحديث ، المعروف بالورع والتقوى .

إذن فقد اختار السلفي شريكه حياتيه من الوسط الذي يلائم ميوله الدينية  
وطباعه ، وكانت — على ما علمنا — من أهل اليسار ، فكان ذلك أدعى إلى هدوء قلبه ،  
واستقراره وطول عمره ، وكثرة الأجيال العلمية والادبية التي تلت وتلقته عنه

إلى العالم الإسلامي شرقاً وغرباً .

ويبدو أن الله تعالى لم ينعم على السلفى بالنزيرة ، اللهم إلا ابنته الوحيدة الشيخة «حديجة» التي تربت في حجر أمها الصالحة وأبيها العالم ، ورضعت منهما حب العلم ، فنشأت في كنف الوالد بعد وفاة الوالدة ، إلى أن توفيت - بعد وفاة أبيها - في أواخر رمضان سنة ٦٢٣ ، فقدمت مصر ، وقد بالغ أهل مصر في احترامها وإكرامها ، وقد كانوا يأملون أن تشرف أسماعهم بذكر الحديث التي ورثتها عن أبيها ، ولكنها خيبت آمالهم ، فلم تجلس في حلقة الحديث ، وعادت إلى الإسكندرية ، ولم تحدث بالقاهرة ، كما كانوا يأملون .

ولقد ذكرها عبد العظيم المنذرى في « التكملة لإوفيات النقلة » وأجازته ، وقد أبى عليه الوفاء لها إلا أن ينفرد بالإشارة إليها دون غيره ، ومنها - كما يبدو - كان سبط السلفى ، وهو مسند الديار المصرية: جمال الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن مكى بن عبد الرحمن الطرابلسى الإسكندرانى ، وقد سمع من جده وورث عنه علم إسناده الحديث ، وانتهى إليه علو الإسناد بالديار المصرية - كما يقول السيوطى في «حسن المحاضرة» - وكانت وفاته بمصر سنة ٦٥١ عن ٨١ سنة وكان بينها ١٤٤ سنة في الوفاة ، وعلى ذلك فإن السلفى لم ينجب ولداً ، وإلا كان أولى بالذكر من السبط الحفيد .

هذا وقد انقطعت عنا سلسلة بيت السلفى عند سبطه هذا ، ولم لمد نظير من المؤرخين بإضافة ذرية جديدة إلى هذا الحفيد ، لولا أن ابن القاضى في « درة الرجال » في غرة أسماء الرجال « المطبوع بالرباط سنة ١٩٣٦ » قد ذكر لنا أن هذا السبط آخر شخصية سكندرية عظيمة هو المحدث محاسب الإسكندرية ومؤرخها وسأكمها أبو المظفر وجيه الدين منصور بن مسليهم بن قنوح الهمداني الشافعى

القاضي المسند الرجال المصنف المتوفى بالإسكندرية سنة ١٧٧٣ عن ٦٦ سنة .  
وأخوهما أيضاً علم الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن سليم بن منصور الحمداني ابن  
العادية الشافعي أحد وجوه الإسكندرية والمتوفى سنة ٦٩١ وقد أخذ عنه ابن رشيد  
وأجاز له سنة ٦٨٤ وعلى ذلك يكون هؤلاء الإخوة الثلاثة المظلم هم آخر من  
نمرف من ذرية السلفي من ابنته المحدثه خديجة لاسواها والمتوفاة سنة ٦٧٣ ، كما  
ذكر ابن القاضى فى موضع آخر أن أبا القاسم بن عمر بن أبي القاسم الهوارى  
السكندرى هو أخو وجيه الدين منصور بن سليم لأمه .

ذلك هو البيت الذى كان السلفي عمدته ، وقد استعلمنا أن نمش على أفرادها  
بكل مشقة من هنا ومن هناك ، وهو بيت كرم وإباء وخشية لله ، وميل إلى  
العلم ، سواء فى ذلك الرجل والمرأة ، وقد ضمن علينا التاريخ بذكر أعقاب السلفي  
فما بعد النصف الثانى من القرن السابع الهجرى ، وإن كان خير الموضع منهم ،  
هذه الافواج الضخمة من الطلاب والعلماء الذين رأوه وسمعوه حاضرين  
وظائنين .

### الرحلة السلفية

نشأ الفتى اليافع أحمد السلفي فى بلده (جروآن) ، وسرعان ما استهوته أضواء  
المدينة (أصبهان) ، ولم يكد يبلغ الثامنة عشرة من عمره أى فى سنة ٤٨٨ حتى كان  
أول سماعه بها على أيدي نجة من غلاتها ، وبلت عليه ملاح النبوغ وهو صغير ،  
حتى دكبوا غنى فى أول سنة ٤٩٢ وأنا ابن سبعة عشر عاماً أو أكثر أو أقل ، على  
حد قوله عن نفسه ، وفى هذه السن ، كانت باكورة إنتاجه ذلك المعجم ،  
الحافل لشيوخ أصبهان ، الذين تلقى عليهم ، فى هذه السنوات القلائل من شبابه  
الباكر ، أو على الأقل حفظ مادتها - وهو (الحافظ) - ثم كتبها فيما بعد .

وعلى الرغم مما كانت عليه أصبهان في أواخر القرن الخامس الهجري ، من  
 ازدهار الحضارة العلمية ، كما سنرى ، فإن بغداد التي كانت لها جاذبية أقوى ، جذيرة  
 بأن يقصدها شباب موهوب مثل السلفي ، ولا سيما أن الأعباء العالمية لم تكن بما  
 يشغل كاهله ، فلا زوج ولا ولد ، ولا تجارة ولا زراعة ، بما يجعل أباه لا  
 يمانع فيما يمتزعه من رحلة في سبيل المعرفة ، بين طوفان الأصهبانيين المغتربين عن  
 بلدهم ، فرأى من الفتن ، أو سعيها في طلب العلم .

وفي أحد أيام رمضان من سنة ٩٩٢ هـ غادر الشاب السلفي أصبهان إلى (بغداد)  
 فأدركها في اليوم الرابع من شوال ، وكان قد بيت العزم على لقاء عالمها فخر بن  
 البطر ، ساعده دخولها ، وقد كان له ما أراد ، على ما كان يعانيه من دمار أصابته في  
 الطريق الشاق ، والسفر الطويل ، ولما اختبره الشيخ واجاز التليذ الاختبار ، في  
 وثوق من نفسه ، لم تعجبه قسوة الشيخ ، فاتفقوا بكياً من كلامه ، بعد أن قرأ  
 عليه نحو خمسة وعشرين جزءاً من الحديث الشريف ، ثم تنقل بين خلقات علماء  
 بغداد ، وعكف على كتابة (معجم) آخر عن شيوخه الذين تلقى منهم في بغداد على  
 نمط ما فعله بشيوخه الأصهبانيين ، ولما آن أوان الحج ، قصد (مكة) فسمع بها  
 و (بالمدينة) ، بعد أن سمع من علماء (الكوفة) في الطريق إلى الحج ، ثم عاد إلى  
 بغداد .

وهناك تواصل الاختذ في الفقه والملة ، ودخل إلى (البصرة) ، وكان ذلك  
 عام ١٠٥٠ هـ وأغرام السفر بالسفر ، ليتزود من علم الجلة الأعلام في كل مكان يدفعه  
 إلى (نخجوان) و (همدان) و (الري) و (دينور) و (قزوین) و (ساوة)  
 و (نهاوند) ، ويظاف بيلاد (أخويجان) ، و (فران) و (حلبند) ، وسمع من علماء  
 (آمد) و (خلط) و (نصيبين) و (الرجبة) وغيرها وغيرها ، كما سنرى  
 ذلك مفصلاً في سيرة .

وفي سنة ٥٠٩ هـ قدم (دمشق) ، فأقام بها عامين ، وسمع بها ، مستفيدا من العلم الفزير الذي حصله في هذه السنوات القلائل ، ثم شد رحاله إلى (صور) ، ومنها ركب البحر إلى قبر (الإسكندرية) سنة ٥١١ هـ ، فاستوطنها من ٥١١ هـ إلى ٥١٧ هـ ، ثم خرج منها إلى القاهرة ، ولم يلبث أن عاد منها إلى الإسكندرية سنة ٥١٧ هـ وتزوج منها كاريينا ، وعاش بها ٦٤ سنة ، إلى أن كانت وفاته بها سنة ٥٧٦ هـ ، بعد أن اقترنت شهرته الواسعة بمدرسته ، التي تخرج فيها قصاد غلبة ، ومنها انبثق المعجم الثالث الذي أنشأه عن مشايخه وتلاميذه وأصدقائه وجيرانه وسماه «معجم السفر» .

وقد نقل السبكي عن عبد القادر الرهاوي أن السلفي في مدة إقامته بالإسكندرية وهي سنة ٦٤ لم يخرج خلالها إلى بستان ولا فرجة إلا مرة واحدة ، وظل طول حياته ملازما لمدرسته ، وما كان يدخل عليه أحد إلا ويراه يطالع في كتاب ..

هذه الرحلة الزمنية كانت حافلة بمواقف مشهودة للإمام السلفي ، هي خلاصة تجاربه وحصيلته معارفه ، التي انتفع بها ونفع غيره ، في مختلف ألوان الثقافة الإسلامية التي انفراد بها عن سواه في كل المصود ، وسرى في حينه ، ثمار هذه الرحلة ، وكيف راح السلفي يحنيا واحدة بعد أخرى ، من تلك البلدان واحدة بعد أخرى ، بعد أن قرن الزمان والمكان بأحداث التاريخ ، لتيسر على القاري معاشرة العصر الذي أبراه السلفي بمخلفاته الضخمة شفويا وتحريرا .

## عليه وخلقه

كان (الحافظ) السلفي عالما فاضلا : عليه غزير ، وخلقه كريم ، أوتي من المواهب الدنية ما جعله يحفظ كل ما يسمع ويقرأ حفظا واعيا ، ولا يعض به على قصاده ، فكان من الحفاظ ، وهم قلة نادرة وأما سماحة نفسه ، وسعة صدره ، والتزامه بأصول الدين في عباداته ومعاملاته فقد كانت الشغل الشاغل للكاتبين عنه نثرا وشعرا ، والعلم والخلق هما الجناحان اللذان طار بهما صيت السلفي في الآفاق .

نشأ أصلا في (جمروآن) من أعمال أصبهان ، وحرص أبوه (العفيف الثقة) - كما يقول ابن كثير - على تربية ابنه ، وتقويم خلقه ، على مبادئ الإسلام وتعاليمه ، وورث أباه في كثرة السماع ، والقدرة على الحفظ والاستيعاب ، إلى جانب العفة والأمانة العلمية ، والدقة الدقيقة ، والتواضع الجم ، والبعد عن المهارات والخلافات المذهبية .

وينبغي ألا ننفل أثر الرحلات التي قام بها السلفي في حياته ، فهي من غير شك عامل هام في صقل شخصيته ، وغزارة ثقافته ، وإلمامه الشامل بأحوال البلاد وشئون العباد ، فضلا عن أثرها الرياضي في البدن والنفس ، واحتمال تقلبات الأنواء والأجواء ، وبالتالي احتمال النفس كل ما يعتريها من نكبات وصدمات ، والسفر على وجه العموم هو الكتاب المفتوح ، كما يقول الفيلسوف الفرنسي (ديكارت) .

ومع هذه العوامل الكبرى ، نذكر حصيلة اتصالات السلفي الواسعة في مختلف البلدان التي حل بها ، ولقاءاته الفكرية بأهلها رجالا ونساء ، علماء ومتعلمين ، وإذا طالع عمره ، استطاع أن يتعرف على دخائل الناس وطبائعهم ، ويميز الاختيار من الأشرار ، فلا عجب إذا تمكنت ملكة نقد الرجال من السلفي ، فكان كالخوهرى الذي لا يخفى على فطنته التمييز بين المعدن الأصيل والمعدن الزائفة .

لم يكن من أسرة عرفت بالثراء ، ولكن العصامية كانت ولا تزال دائما جامعة الفضلاء والحكماء . مكاسبهم منها الزهد والشفقة وعزة النفس والصبر والرضى ، ولما استقر بالإسكندرية ، تزوج امرأة منها ذات (يسار) من مال وفضل وعلم ودين ، ولم تبطره النعمة ، بل جمع الله له الحسنيين معا في دنياه ، وأصلح له باله ، وأسعده بالعلم والمال ؛ حتى لقي ربه وهو عنه راض .

### أقوالهم عن السلفى

حنى السلفى من أقلام المؤرخين بأوصاف عملاقة لم يخلعوها على غيره من قبل أو من بعد ، وأجمعوا عليها ، تكريما له وتجيلا ، وحرافنا بأفضاله على التراث الإسلامى . الذى أسهم فى تنميته بالجهد المشكور ، وقرنوا - فيما قالوه عنه - العلم بالخلق ، وسنحاول بهذا الكتاب إعطاء القارئ المعاصر أوضح صورة وبأدق التفاصيل عن شخصية السلفى الذى لم يجد حتى الآن من العناية ما يستحقه هذا البطل الكبير من إبطال الفكر الإسلامى ، فقد ظل حتى اليوم كزرا مخفيا ، معالم شخصيته كالأشلاء المبعثرة ، وقفنا الله بمنه وفضله إلى جمع شتاتها ، وتحليل عناصرها ، وكشف الثبار الكثيف عنها ، بعد إهمال طال أكثر من ثمانمائة سنة ، مع ما كان يوصف به من أنه ( صدر الدين ) .

واشتهر أبو طاهر السلفى الأصمى نزيل الإسكندرية ودفينها بأنه (الحافظ) ، بل هو «حافظ الإسلام» ، وأعلى أهل الأرض إستاداً فى الحديث والقراءات مع الدين والثقمة والعلم . . .<sup>(١)</sup>

وقال ابن الأثير<sup>(٢)</sup> : « وكان حافظ الحديث ، وعالمًا به ، سافر فى طلب

(١) غاية النهاية فى طبقات القراء : ابن الجزرى ١ : ١٠٢ رقم ٥٧٢

(٢) الكامل فى التاريخ : ابن الأثير : أحداث سنة ٥٧٦

## الكثير . .

وقال شيخ الحرم المكي المحدث الكبير المياثني : « حافظ متقن مشهور رجال ، سمع ببغداد الكثير وخرج منها سنة ٥٠٠ هـ وطاف الأقاليم ثم سكن الإسكندرية وعمر وحديث الكثير ، ورُحل إليه من الآفاق ، وكان ثقة ورعا . . » (١)

وقال تقي الدين السبكي : « كان حافظاً جليلاً وإماماً كبيراً واسع الرحلة ، ديناً ورعاً ، حجة ثبّتاً فقيهاً لنوياً ، انتهى إليه علو الإسناد ، مع الحفاظ والإيمان . . » (٢)

وقال النجاشي شيخ السبكي : « لا أعلم أحداً في الدنيا حدث نيفاً وثمانين سنة ، سوى السلفي . . » (٣)

ولم يدركه ابن عساكر الدمشقي ، ومع ذلك تحدث عنه فقال : « سمع من لا يحصى وحدث بدمشق ، فسمع منه أصحابنا ، ولم أظفر بالسماع منه ، وسمع بقرائه شيوخ عدة ، ثم خرج إلى مصر واستوطن الإسكندرية ، وتزوج بها امرأة ذات يسار فسلت إليه مالها ، وحصلت له ثروة بعد فقر ، وتصدق ، وصارت له بالإسكندرية وجاهة ، وبني له العادل علي بن إسماعيل بن السلار أمير مصر مدرسة بالإسكندرية ، حدثني عنه أخى وأجاز لي . . » (٤)

وقال ابن السمعاني : « هو ثقة ورع متقن مثبت حافظ فهم ، له حفظ من العربية ، كثير الحديث ، حسن الفهم والبصيرة فيه »

(١) ذيل تاريخ بغداد : النيشي

(٢) طبقات الشافعية الكبرى : السبكي : ٤ : ٤٣

(٣) التواريخ الكبير : ابن عساكر

وقال الحافظ عبدالقادر الرهاوى : « سمعت من يحيى عن الحافظ ابن ناضر أنه قال عن السلفى : كان ينفذ شعلة نار في تحصيل الحديث » .

واستطرد الرهاوى قائلا : « كان له عند ملوك مصر الجاه والسكنة النافذة ، مع مخالفته لهم في المذهب ، وكان لا تبدو منه جفوة لأحد ، ويجلس للحديث فلا يشرب ماء ولا يصنع ولا يتورك ، ولا يلبس له قدم . . ، وحكى أيضاً أن سلطان مصر - ويقصد صلاح الدين الأيوبي - قد حضر عنده - بالإسكندرية - طبعاً - السماع ، أى سماع الحديث - فجعل صلاح الدين يتحدث أثناء الدرس مع أخيه - توران شاه كما نعلم - فزجرهما وقال للسلطان وأخيه : « إيش هذا ؟ . . نحن نقرأ الحديث وأنتما تتحدثان ؟ » .

وقال أيضاً : [ وبلغنى أنه في مدة مقامه بالإسكندرية وهي ٦٤ سنة ما خرج إلى بستان ولا فرجة غير مرة واحدة ( وكانت سنة ٥١٥هـ ، إلى القاهرة كما ذكرنا من قبل ، وعاد إلى الإسكندرية سنة ٥١٧هـ ) ، بل كان عامة دهره ملازماً مدرسته ، وما كنا ندخل عليه إلا نراه مطالعاً في شئ ، وكان حليماً متجعلاً ( أى متحلياً ) بالخلق الجميل السمع يرحب بضيوفه ويحياهم ) ، وقد سمعت بعض فضلاء همدان يقول : « السلفى أحفظ الحفاظ » . ]

ويحرص السبكي على الاستمرار في الرواية عن الرهاوى في كلامه عن السلفى لاهميته ، فيقول : « وكان آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، أزال من جواره منكرأ كثيرأ ، وجاء جماعة من المقرئين بالألحان ، فأرادوا أن يقرأوا ، فنهيمهم من ذلك ، وقال : هذه بدعة ، بل اقرأوا ترتيلاً ، فقرأوا كما أمرهم » .

ويلقى السبكي على ذلك فيقول : « القراءة بالألحان جائزة ما لم يفرط ، بحيث لا يزيد حرفاً أو ينقص حرفاً » .

وعندى أنه قد انقشرت في الإسكندرية منذ عهد طويل بدعة في قراءة القرآن تسمى (الإداوة) وهي أن يجتمع القوم في شكل دائرة ، يقرءون القرآن في سورة واحدة ، وقد قرر الإمام مالك أن هذا مكروه ولا يجنبنا ، فلما استوطن الإمام أبو بكر الطرطوشى - وهو المالكي - ثغر الاسكندرية ، أنكر هذه البدعة ، وظل يماريها حتى توفاه الله سنة ٨٥٢ هـ ، وقد واصل السلفي في حياته ومن بعده وفاته إنكار ما أنكره الطرطوشى (١) في الإسكندرية وهما وإن اختلفا في المذهب ، يدعوان إلى الحق ، والحق أحق أن يتبع .

وقال ابن نقطة (٢) في السلفي : كان حافظاً ثقة جوالاً في الآفاق ، سأل عن أحوال الرجال شجاعاً . . . . .

وبما قاله الحافظ عبد العظيم المنذرى - وهو الخليفة الثاني على المدرسة السلفية بعد أبي الحسن المقدسى - للاستدلال على ثقة السلفي بحفظه ودقته في الإسناد : ولما أرادوا قراءة سنن النسائي على السلفي أتته به بنسخة سعد الخير - وهي مصححة قد سمعها من الدوني - فقال : اسمي فيها ؟ فقالوا : لا . فأخذ بها من يد القاري بنظ ، وقال : لا أحدث إلا بأصل - أي من أصل فيه اسمي ، ولم يحدث بالكتاب . (٣)

(١) كتاب الحوادث والبدع : الطرطوشى : طبعة تونس من ١٥٠ سنة ١٩٥٩

(٢) هو محمد عبد الله بن أبي بكر بن شجاع الحنبلي البغدادي الشهير بابن نقطة توفي ببغداد سنة ٦٢٩ وله « أنساب ائمتين » وله أيضاً « المستدرک » على كتاب « الإكمال » لابن ماكزلا ، و« التقييد في معرفة رواة الكتب والمسانيد » وقد سمع ببغداد ووسط وإربل وأصبهان وغراسان والقاهرة والإسكندرية وحلب والموصل ودمهوز وغيرها .

(٣) الثكلة لوفيات النقلة : المنذرى .

وقال المنزى أيضاً : إن أبا الحسن - المقدسي - وهو من تلاميذ السلفى  
السكندريين ومنه حمل المنزى الزاية في رياسة السلفية - قال : حفظت أسماء  
وكُنًى ، وجئت إلى السلفى ، وذاكرته بها ، فجعل يذكرها من حفظه ، وما قال  
لي أحسن . وقال : ما هذا شيء مليح ، أنا شيخ كبير في هذه البلدة  
- ويقصد الإسكندرية - هذه السنين ، لا يذاكرنى أحد وحفظى هكذا ، (١) .

ولم يكن السلفى عنيفاً في معاملته للناس العوام ، الذين لفرط جهلهم بالدين قد  
يرتكبون الخفاقات ، ويتبعون الضلالات والبدع ، بل كان يرفق بهم ، إيماناً منه  
وعملًا بسنة الرسول ﷺ ، فقد كان لأهل الإسكندرية اعتقاد فيه - لصالحه وورعه  
وتقواه - في شفاء المرضى ، وكان إذا اشتد الطلق بالمرأة عند الوضع يقصده أهلها  
فيكتب لهم ورقة يلقونها عليها ، فتد في الحال ياذن الله ، ولا يعلون ما هو  
مكتوب فيها ، فلما سئل عما هو مكتوب فيها ، قال : كتبت فيها اللهم لأنهم ظنوا بي  
خيراً فلا تخيبنا ولا تكذب ظنهم .

وكان السلفى مولعاً بجمع الكتب الثمينة واقتنائها ، وكان يعكف على دراستها حين  
يخلو إلى نفسه وأهله ، أو حين يتدارسها مع جيرانه وتلاميذه والوافدين عليه من  
كل مكان ، ولا يتورع من الاستماع إلى كل شخص يأتيه بعلم أو أدب ، ويسجل  
ما يسمعه منه ، بكل أمانة وينسبه إليه في ( معجم السفر ) الذى يعتبر تحفة نادرة  
من مصادر الثقافة العربية والإسلامية في عصره .

حقاً كانت المعرفة ضالة السلفى ينشدها من أفواء الخاصة والعامة على السواء  
من رجال ونساء ، المعمرون منهم والشباب ، فكان يجلسه في المدرسة للعالم والفقير

(١) انظر هامش ٢ من الصفحة السابقة .

والقاضى وبائب الحكم حتى السلاطين والأمراء والتاجر والخطاط والحداد والمطرز والخطاط والفلاح والشاعر والطبيب والمتكلم والفيلسوف والنحوى والمحب بيت والقائى. والشاهد والواعظ والوراق ومجلد الكتب والمؤذن والخطيب والقارض، لا تفرقة بين مصرى أو أندلسى أو شامى أو عراقى .

وقال عنه ابن تفرى بردى : « ولد سنة ٤٧٠ هـ وكان طاف الدنيا ولنى المشايخ وكان يفتى حافيا لطلب العلم والحديث .. » (١)

وقال ابن عزم : « مُسْنَدُ الدُّنْيَا وَمَعْرِىُ الْخَفَاطِ » (٢)

وقال سبط ابن الجوزى : « ألحق الكبير بالصغار ، وكان حافظا متقنا من وثائقه ، سمع خطبا كثيرا ، وحدث عنهم » (٣)

وقال ابن خلكان ، صدر الدين وأحد الحفاظ المكثرين ، رحل فى طلب الحديث ولنى أعيان المشايخ . . ولما مات سار إلى الإسكندرية لبيع كتبه الوجه ابن صورة المصرى دلال الكتب وسمارها بمصر ... » (٤)

وكانت أم على ثقية الأرمنازية السورية الشاعرة قد صحبت السلفى مدة فى الإسكندرية ، وكانت تحضر عنده بمنزله وكانت من أهله ، وفى ذات يوم عثرت قدم السلفى فانفجر جرحه ، وإذا بجارية تشق ثيابها وتمسك بدمع قدم مولاها السلفى فى الحال ، فقالت الشاعرة لثورها :

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة : ابن تفرى بردى فى أخبار سنة ٥٧٦ هـ

(٢) دستور الإعلام بمعارف الأعلام : ابن عزم (مخطوط) .

(٣) مرآة الزمان .

(٤) وفيات الأعيان .

لو وجدت السبل جئت بخدي عوضاً عن خمار تلك الوليدة  
كيف لي أن أقبل اليوم رجلاً سلكت دهرها الطريق الحميدة  
ولقد شهد ابن خلكان السلفي بالثقة فيما كان يكتبه من تواريخ فيقول «الحافظ  
السلفي أخبر بذلك لأنه كان مقيماً بالبلاد أول وصولهم وهو أحبط لهذه الأمور  
من غيره ، لأن هذا فنه وهو من أقصد الناس به » .

وصفه السيوطي بقوله : «كان إماماً حافظاً متقناً ناقداً ثباتاً دينياً خيراً ، انتهى  
إليه علو الإسناد ، روى عنه الحفاظ في حياته ، وله تصانيف ، وكان أوحّد زمانه  
في علم الحديث وأعلهم بقوانين الرواية » (١) .

وكان أبو الحسن المقدسي يقول عن شيخه السلفي «الحافظ مفتي المسلمين» (٢)  
وقال ابن الأبار : بقية المسنين المعمرين وعامة المحدثين المكثرين ، دخل  
العراق والشام وبلاد الجبل وخراسان والحجاز ومصر ، وسمع الحديث بهذه الآفاق ،  
وكتبه وروى المال والنازل ، ولقي الكبار والصغار ، وعمر ، حتى عادله النازل  
عالياً ، وجدّث في الإسلام نيفاً وسبعين سنة ، وفي شيوخه كثرة ، والنساء منهم  
عدة » (٣) .

ويستطرد ابن الأبار قائلاً : «وقد تفرد في وقتنا هذا - وكانت وفاة  
ابن الأبار سنة ٦٥٩ هـ كما نعلم - بعلو الدرجة في الإسناد والمعرفة والإتقان والضبط  
وكان يحب الشعر ويحيز عليه بأسنى الجوائز » .

(١) حسن المحاضرة : السيوطي - ١

(٢) الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعل الصعيد : الإدفوي

(٣) المعجم في أصحاب القاضى أبى عل الصنف .

وقال عنه ابن الأبار نقلا عن مشايخه ومشايخ مشايخه : « وتفرّد في الدنيا بالإمامة في علم الحديث وعلو الدوحة في الإسناد ، وأخذ عنه أهل الأرض جيلا بعد جيل ، وسمع الناس على أحسن - أبه وهو لم يبعد عهده بشيابه . » واتفق له في هذا المعنى ما لا نعلمه اتفق في الإسلام لأحد قبله ، ولا لأبي القاسم البغوي ، مع أنه لا يعلم أحد وأزاه في قدم السماع ..

ولما كان المهاد الكاتب الأصهباني صاحب ديوان الإنشاء السلطان صلاح الدين رجلا واسع الثقافة ، فقد حظى السلفي - وهو أصهباني مثله - بحقه من مذكراته التي كان يكتبها ، كلها حل أو ارتحل مع السلطان ، قال المهاد : « ثم وصلنا إلى نهر الإسكندرية - وكان ذلك سنة ٥٧٢ هـ - وترددنا مع السلطان إلى الشيخ الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي ، وداومنا الحضور عنده ، واجتلينا من وجه نور الإيمان وسعده ، وسمعنا عليه ثلاثة أيام الخميس والجمعة وال السبت رابع شهر رمضان ، واغتنمنا فرصة الزمان : فتلک الأيام الثلاثة هي التي حسبناها من العمر ، فهي آخر ما اجتمعنا به في ذلك الثغر . » (١) وكان مع صلاح الدين في مجلس السلفي ابنائه : الأفضل على والمميز عثمان (٢) وقد استصحبهما معه والحاشية ، لسماع الحديث من عالم الإسكندرية ، الذي حرص أبو شامة الدمشقي المؤرخ على زيارة قبره ، اعترافا بفضلته على أهل دمشق ، عندما نزل بينهم دارسا ومدرسا .

أما أصحاب المعاجم الأندلسية فكان السلفي في أنظارهم أشهر « أهل المشرق » ، حتى نرى المقرئ في « نفع الطيب » يعقد فصلا للأندلسيين الراحطين إلى المشرق ، ومعظمهم أخذوا عن السلفي .

(١) كتاب الروضتين : أبو شامة - ١

(٢) كتاب الروضتين : أبو شامة - السلوك : المقرئ .

قال شكيب أرسلان: «ولاستوطن الإسكندرية بعضا وستين سنة مكبا على المطالعة والنسخ وإقراء الحديث ، وإذا قرأت تراجم الأندلس ، فلا تكاد تجد راحلا من الأندلسيين إلى لشرق إلا وقد قيل عنه إنه سمع من أبي طاهر السلفي في الإسكندرية ، بما لا جدال فيه أنه لم يوجد من قضى عمرا يساوى عمره في خدمة الحديث ، حتى كانوا يقولون عنه إنه (مسند الدنيا)» (١) .

هذا هو السلفي محدث الدنيا في عصره ، بل محدث الزهر ، وأحفظ الحفاظ ، وصدر الإسلام ، وإمام المسلمين ، ومفتيهم ، ومؤرخ أعلامهم ، وشيخهم ، وضابط أسماء بلادهم ، الذي كان بعضهم يدعى الأخذ عليه ، ليكون بذلك قد ظفر برضى الناس عنه إذا ما تصدر مجالس علمهم ، كما كان يكفى بعضهم فخرا أن يقول إنه (أخذ عن أصحاب السلفي) ، إذا ما فاته شرف الأخذ عن السلفي نفسه ، كذلك حسب مسند الديار المصرية ، حفيد السلفي شرفا أن يلقبوه (سبط السلفي) ولا يذكرونه باسمه الحقيقي إلا في النادر ، فكفاه شرفا أن ينسب إلى جده العظيم .

نعم كان السلفي موضع التقدير والإجلال ، لما أكرمه الله به من المعرفة والفضيلة .. فنعم العالم العامل كان .

---

( ١ ) الحلال السطمية في الأغيار والآثار الأندلسية : شكيب أرسلان .

## مؤلفاته ومذكراته

ليس بين أيدينا اليوم من مؤلفات السلفي إلا اثنتان هما :

١ - ( معجم السفر ) ويسمونه أحياناً ( معجم السلفي ) وهو - بهذا الاسم الأخير مخطوط ، ومنه صورة شمسية في مجلدين بمكتبة محافظة الإسكندرية تحت رقم ٣٩٢٩ ت ، وهو أشهر مؤلفاته ، وعليه كان اعتمادنا الأساسي فيما وصلنا إليه من نتائج في مؤلفنا عنه ، وقد وضعه بالإسكندرية بعد عودته إليها من مصر أي أنه كتبه في الفترة من ٥١٧ إلى قرب وفاته سنة ٥٧٦ ؛ وربما هي التي أشار إليها ابن خير الإشبيل في فهرسته بعنوان « فهرست السلفي » .

ويشتر هذا الكتاب صورة صادقة لثقافة السلفي المتنوعة من إسهان وتراجم وبلديات وتواريخ وآداب ونقد للرجال ، مع ما تخيل ذلك من أحاديث صحيحة عن روايات ، وحكايات ونوادير وأشعار في مختلف الأغراض له ولغيره ؛ يجعلها السلفي من أسنة القادمين عليه من السفر ، ولهمسدا سماه « معجم السفر » .

٢ - ( المشيخة البغدادية ) أو « المعجم لمشيخة بغداد » أو « المشيخة البغدادية في تواريخ المحدثين » ، ومنه صورة شمسية بمكتبة محافظة الإسكندرية كذلك تحت رقم ١٢٠٩٧ - ٢ في أكثر من ٣٥ جزءاً ، والأصل في الأسكوريال ، وهو إضافة جديدة لمجم السفر ، وفي أول الثامن إشارة إلى السماع من السلفي رمل الإسكندرية ، وتضمن أسماء شيوخه الذين أخذ عنهم القراءات وغيرها أثناء إقامته ببغداد ما بين سنة ٤٩٣ هـ وسنة ٥٠٠ هـ وتضمن أدق المعلومات عن الحركة الفكرية في بغداد ، كما عاينها وعاصرها السلفي ، وأسانيد الأحاديث النبوية التي رواها وأصحابها من الرواة ، والامّا كن التي كانوا بها عند السماع منهم ، فضلاً عن الامّا كن والمواقع التي ببغداد تفصيلياً ، وقد سمعها منه جلال الدين بن إسحق بن درباس الماراني بكتاب من السلفي إليه بالإسكندرية سنة ٥٧٤ هـ وكان قد سمعها منه قبلاً أبو الخطاب نصر ببغداد سنة ٤٩٣ هـ ، وفرغ ابن درباس من تعليقه بصران في ٣٦ رجب سنة ٦٠٩ من نسخة حماد الخزازي وسماعه من السلفي .

وحتى يومنا هذا لا يوجد في أى مكان على وجه الأرض ما يشير إلى وجود  
مخطوط غيرهما للسلفى اللهم إلا الإشارات العابرة المنتشرة في مشات الكتب ،  
ولستطيع جمع شتاتها وحصرها فيما يلي :

٣ - ( الطيوريات ) في ثلاث مجلدات ، وهي مذكرات السلفى التي خرجها  
عن شيخه أبى الحسن المبارك بن عبد الجبار الصيرفى الطيورى المحدث الصحیح  
الأصول الواسع العلم المتوفى سنة ٥٠٠ هـ في بغداد وبها كان منزله بالكرخ ، وتلقاها  
عنه السلفى بها ، ولانعرف عنها شيئاً لولا نحو أكثر من عشرة مواضع في  
« تاريخ الخلفاء » للسيوطى ( - ٩١١ هـ ) تشير إلى أن هذه الطيوريات تتضمن  
حكايات ونوادير في الفقه والأدب والتاريخ ، وفي ذكرها يسير السلفى على نهجه  
المعروف في الإستاذ والرواية والدقة المعهودة فيه .

٤ - ( الأربعين البلدانية ) : أو « بلدانيات السلفى » ، أو « الأربعين السلفية » ،  
وفىها يقول ابن الأبار في « المعجم » : « وجمع - أى السلفى - أربعين حديثاً ، عن  
أربعين شيخاً ، سمع منهم في أربعين بلدة ، أبان بها عن رحلة واسعة » ، وفي  
« الذكيلة » لابن الأبار إشارة عابرة إلى هذا العنوان : « الأربعون » .

٥ - ( المعجم لمشيخة أصبهان ) : وفىها تحدث السلفى عن شيوخه الأصهبانيين  
كما يقول السبكي في « الطبقات الكبرى للشافعية » ، ويبدو أنه شرع في الكتابة عنهم  
مؤرخاً من حفظه ، بعد أن غادر أصبهان بفترة طويلة ، وفي إحدى فقرات استقراره  
في الحياة .

٦ - ( الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة ) : ويبدو من العنوان أنه  
في التاريخ ، وهو من الكتب التي إن صحت نسبتها إلى السلفى ، إلا أنها مفقودة ،  
ولم يأتنا عنها فيما كتبه المؤلفون - أى إشارة أو اقتباس وانفرد البندادى بنفسه  
إليه في كتابه « إيضاح المكتون » .

- ٧- (سداسيات) أو (الاحاديث السداسيات) - ومثلها الاحاديث السباعيات لابن عربي - وهي في الحديث .. مفقود ، ولا ندرى عنه شيئاً ، وأشار إليه ابن خيّر الذي حدثه به السلفي عن أبي عبد الله الرازي ابن الخطاب بالإسكندرية
- ٨- (سلفيات) من أجزاء الحديث ، مفقود ولا ندرى عنه شيئاً .
- ٩- (شرط القراءة على الشيخ) في القراءات ، وهو أيضاً مفقود ولا ندرى عنه شيئاً .

١٠- (الوجيز ، المجاز والمجيز) ويبدو أنه هو السابق وإلا فهو في شروط الإجازة وأخبارها . ذكره ابن الأبار في « التكلة » ومن قبله ، وذكره ابن يشكوال في « الضلة » بمناسبة الحديث عن أبي كلثوم عيسى بن أبي ذر الهروي أحد شيوخه المتوفى بأشبيلية سنة ٥٣٠ هـ ، وقال السلفي في هذا الكتاب « كان ميمون ابن ياسين من أمراء المرابطين رغب في السماع منه بمكة واستقدمه من (سراة بني شبابه) وها كان سكناه وسكنى ابن أبي ذر من قبل ، فاشتري منه صحيح البخاري أصل أبيه الذي سمع منه على أبي إسحق المستهلي وغيره بجملة كبيرة وسمعه عليه في عدة أشهر قبل وصول الصحيح »

١١- (أخبار أبي العلاء) في الشعر والشعراء ، وهو مفقود ولا ندرى عنه شيئاً ، وهذان الكتابان الأخيران أشار إليهما ابن الوردي ( - ٧٥٠ هـ ) في كتابه « تمة المختصر في أخبار البشر »

١٢- (معلقات) ورد بهذا الاسم في فهرست « التكلة » لابن الأبار ، منسوباً لابن طاهر السلفي وهو في الغالب حكايات وفوائد ونوادر علقها السلفي عن النبي بهم في الإسكندرية ، ويحمل عنهم من محظوظاتهم .

١٣- (سباسيات) أو « الأمالى السباسية » وهي خمسة مجالس ، أي خمس محاضرات - بلغة العصر الحديث - ألقاها السلفي بقرى سباس ، وهي تجمع

بين فنون شتى من الثقافة الإسلامية ، وهي غير « المجالس السبعة » من أماليه عن شيوخه ، مما يشير إلى وفرة نشاطه في سلباس .

١٣ - ( الأجزاء المراقية ) وتتضمن حكايات عن أبي المظفر شبيب بن الحسن ابن شباب البروجردى قاضى همدان ، الذى حج مع السلفى ، وكتب عنه السلفى بمكة والجامعين وبغداد ، وقدم عليه بها سنة ٤٩٧ هـ ، وهو من أجداد تلاميذ أبي إسحاق الشيرازى .

١٤ - ( الامالى الحديثية ) ، وهي دروس الحديث التى كان يلقيها السلفى في البلدان التى حل بها ، وكان يحضرها عليه من كان فوق سن الشباب من العلماء طلاب الحديث .

هذا ، وكثيرا ما يردد السلفى في «معجم السفر» حسرته على أماليه وبجائسه ومذكراته التى أودعها العراق وسلباس وديار بكر وآمد وأذربيجان وأرمينية وشروان وباب الأبواب قبل خروجه إلى الشام . « والله المستول فى إيصال الكل إلى قبل المات بمنه وكرمه » على حد تعبيره فى إحدى المرات وما أكثرها .

## الفكر الإسلامى فى ستة قرون

الإسلام دين ودنيا ، علم وعمل ، فكر ونظام ، يربط العبد بالخالق ، والفرد بالمجتمع ، والفرد بنفسه ، دستور القرآن ، معلمه الأول محمد رسول الله ، لغته العربية ، أسلوبه العقل والنقل ، والتوفيق بين المادة والروح ، وحفظ الكيان العام للوجود لاهدمه أو تنفضه .

فى حياة الرسول كانت آيات القرآن تنزل عليه فيعلمها الناس ويحفظونها ويعملون بها ، وكانت أقواله وأفعاله وإقراراه لكل قول أو فعل تعاليم تفصيلية أو تفسيرية لما جاء فى القرآن بلا تعارض بينهما ، وتم نزول القرآن ، وانقطع الوحي

وتوفي رسول الله سنة ١١ هـ فأنقضى عهد ، وبدأ عهد جديد .

بدأ عهد الصحابة ، الذين عايشوا رسول الله عن قرب ، فكانوا خلفاءه الراشدين على الرسالة التي جاء بها ، في العبادات والمعاملات ، وكان عليهم أن يتقودوا الحليل المعاصر بالعلم والعمل ، بمقتضى الكتاب والسنة ، كتاب الله وسنة رسوله ، لا يحدون عنها قيد شعرة ، اتباعا لا ابتداعا ، حتى إذا طرأ على المسلمين أمر أو قضية ليس عنها نص في القرآن أو في الحديث ، اضطروا إلى (الفتوى) فيستشير بعضهم بعضا في إصدارها مع التجري والتحرز .

وانتشر الصحابة في الأمصار على أثر الفتوحات ، ونشئ عثمان بن عفان الخليفة الثالث أن يتنير القرآن بتغير الزمان والمكان ، فأمر سنة ٣٥ هـ بتدوين القرآن ، حينئذ لم يكن قد تم تدوين الحديث ، اللهم إلا ذلك العمل الاجتهادى الذى قام به منذراً عبد الله بن عمرو بن العاص من تدوين صحيفة له سماها (الصادقة) ، سجل فيها ما سمعه هو مباشرة عن النبي .

بدأ التفكير بعد ذلك في تدوين الحديث ، وكانت هذه المحاولة تدور حول إيجاد ما يمكن أن نسميه (فن الحديث) ، وبذلوا الجهد في البحث العميق حول رواية الأحاديث ، ودرجات الثقة بهم ، حيث أدى عدم التدوين إلى التحريف والزيادة والنقص ، سواء كان ذلك عمداً أو خطأ .

ولما أصبحت الخلافة ملكاً عضوضاً ، بعد أن كانت إمامة ، أخذ النزاع بين الحاكمين طابعاً سياسياً ، فظهرت ثلاثة أحزاب صبغت النكالب على الحكم بصيغة وامية من الدين ، تلك الأحزاب هي : أهل السنة والجماعة والشيعة والخوارج . كل فريق يتعصب في رواية الحديث إلى من ينتمى إلى الحزب ، فيما عدا أهل السنة والجماعة - وهم جمهور الأمة الإسلامية - فهم وحدهم الذين أخذوا بكل

حديث صحيح رواه الثقات المدول وبتأوى الصحابة وآرائهم ، وأشهرهم عبد الله ابن عمرو بن العاص مفتى مصر الاول ، وقد روى عنه أهلها أكثر من مائة حديث ، وعنه أخذ علماؤها وتلاميذهم كيزيد بن حبيب وتليذه الليث بن سعد دفين مصر سنة ٧٧ هـ .

ونشطت حركة التدوين بظهور الأئمة الأربعة : مالك في المدينة - (١٧٩هـ) وأبر حنيفة ( - ١٨٠ هـ ) وابن حنبل ( - ٢٤١ هـ ) في بغداد ، والشافعى بمصر ( - ٢٠٤ هـ ) ، وكان عملهم هم وأصحابهم - مع ما كان بين العاصيتين من اتصالات وانفصالات - تدريس العلوم الشرعية ، ورواية الحديث ، وتولى القضاء أحيانا ، والإفتاء ، إلى جانب المنه التى يرتقون منها ، وكان اعتمادهم فى دروسهم على الأصوليين الأولين - وهما القرآن والسنة - والإجماع والاجتهاد .

وظهر القراء السبعة الذين اشتهروا بالحفظ والضبط والإتقان فى تلاوة القرآن ، وأصبح الحفظ أسانيد ، وزاد عدد حفاظ القرآن بعد تنقيط حروفه وتشكيلها ، على يد أبى الأسود اللؤلؤ واضع علم النحر ، ودون الإمام مالك ( الموطأ ) فى جميع الحديث سنة ١٤ هـ ، وكانت مسانيد السنة والقرآن فى البدء حسب روايتها عن أبى بكر وعمر وغيرهما ، كل على حدة ، بصرف النظر عن موضوع الحديث ، أما (مسند ابن حنبل) فكانت مسانيد فى الحديث حسب موضوعه ، وتراكت المدونات فى القرن الثالث كالبخارى ومسلم وأبى داود والنسائى والترمذى وابن ماجه ، وكلما روى هؤلاء الستة حديثا أجمعوا عليه ، قالوا : « متفق عليه » . وتداول الفقهاء فيما بينهم والمدونة لمالك و «الأم» ، ودعلم الأصول للشافعى وظاهر السنة ، لإبى حنيفة .

ومن هذا يتبين أن الحاجة قد أصبحت ملحة إلى أمور يتوصل بها إلى استنباط

الأحكام في العبادات والمعاملات ، ولا سيما فيما بعد القرن الثاني الهجرى في عهد التابعين ، وظهر الخلاف واضحا جليا فيما نسميه «أصول الفقه» : فهاهو السبيل إلى الثقة بصحة الحديث ؟ وهل يكون ذلك عن طريق الرواة أو عن كيفية الرواية بالتواتر أم بالشهرة ؟ وكيف يمكن تقدير فتاوى الصحابة ؟ وهل يمكن اعتبارها اجتهادية غير ملزمة للشرع ؟ وإلى أى حد يمكن الأخذ بأصل القياس ؟ وبالنسبة للحجة الشرعية هل يؤخذ بالحديث أو بالاجتهاد ، ما دامت مراعاة مصالح الناس هدف كل صاحب نزعة تشريعية ؟ وأخيرا كان الخلاف فى استقرار الأساليب العربية من حيث التعميم والتخصيص . .

كل هذه التساؤلات كانت مدعاة لتدوين صحاح الأحاديث بمسانيدها أحيانا ، وحسب أبواب الفقه أحيانا أخرى ، وكان الفضل الأول فى وضع علم أصول الفقه يرجع إلى الإمام الشافعى الذى صاغ قواعده صياغة علمية مرتبة ، وهو الذى لحص مذهب فى هذه العبارة الموجزة : «إذا صح الحديث فهو مذهبي» ، وعلى هذا الأساس وضع قبل غيره «علم الأصول» أى أصول الفقه لاستنباط الأحكام .

وكانت أكثر المذاهب الأربعة شيوعا فى مصر ، الحنفى والمالكي والشافعى ، وانتفع المصريون كثيرا بهذا التزاجم بين الثلاثة ، ولشظت الحركة الفكرية الإسلامية ، بما جعل مصر محط الأنظار ، ومقصد العلماء من سائر الأمصار .

ولكن ما لبثت هذه الحركة أن فترت بعض القوتور ، مما جعل المؤرخين يطلقون على عصر ما بعد الأئمة ، ابتداء من القرن الرابع «عهد التقليد» حيث توقف العلماء عن الاجتهاد المطلق ، فلم تنتمش روح الاستقلال الفكرى الحر ، وكانت هذه الظاهرة انعكاسا لما حل بالعالم الإسلامى عامة من عوامل سياسية وعقلية وخلقية ، فانتشار كل عالم حزبا سياسيا ، واتمنى إلى واحد من أصحاب المذاهب الفقهية ،

وكلما حاول أحدهم أن يمتدح رأيه ناله التشهير من غيره ، على نحو غير لائق بأخلاقيات العلماء ، ولا سيما أن دينهم الإسلام . وأخذ كل منهم منهج التبعية ، بدراسة أقوال السابقين ، ومقارنة بعضها ببعض ، يرجعون قولاً على آخر ، حسبما تملية عليهم ميولهم واتجاهاتهم .

ودبت المطامع السياسية في العالم الإسلامي ، وأصبح لاهم للسلبين غير الحكم . متوسلين إلى ذلك بالدين ، تقرباً إلى العامة بالانتساب إلى رسول الله : هذه خلافة عباسية نسبة إلى (العباس) عم رسول الله ، وتلك خلافة فاطمية نسبة إلى (فاطمة) بنت رسول الله ، وتداخلت الدولتان وساد الصراع ، وانثشت دويلات على هذه وتلك ، واستحر النزاع بين الشيعة والسنة ، ونشأت المدارس في مكة ودمشق والقاهرة والإسكندرية ، وتضافرت الجهود على تعويض عهد التخلف في الثقافة الإسلامية ، لهذا كان القرنان الخامس والسادس أزهى عصور الفكر الإسلامي ، لاتسامها بالشمول والموسوعية ، في العلوم التابعة من دين الإسلام ، والعاملة على خدمته ، وتجديد نسيجه بالتفسير والقراءات والحديث والفقه والنحو والصرف والأدب والتاريخ والقصص وتقوم البلدان .

ومما ساعد على ذلك النهوض بالفكر الإسلامي ، تدوين هذه المؤلفات ، بعد أن تم تدوين القرآن والسنة في القرون السابقة ، وتبادل مخطوطاتها ، والتنقل بين المدن الإسلامية الكبرى ذات المدارس العالية في أصبهان وبغداد والكوفة والبصرة والموصل ومكة والمدينة ودمشق والفسطاط والإسكندرية والأندلس .

وعلى الرغم من تعدد (الخلاقات) السياسية والمذهبية ، فإن رجال العلم مضوا في طريقهم لإحياء علوم الإسلام ، وإذا قلنا الخلاقات ، فإتاما نقصد بها جمع (خلافة) وجمع (خلاف) في آن واحد ، فقد اقترن عصر الخلاقات

### بالخلافا ت حفا وصدا .

تري هل استرعب السلفى ما خلفته هذم القرون من تراث ؟ و إلى  
 أى حد تأثر بهذه الخلافا ت ؟ وما هى جهوده التى أسهم بها فيه ؟ وهل كان ذلك  
 تجديداً منه أم كان تقليدا ؟ ، وما هى جوانب الخلق والابتكار فيها خلفه لنا ؟  
 وما هى العوامل العامة والخاصة التى جعلت منه شخصية منفردة لها خصائصها  
 ومشتقاتها ؟

( ٢ )

## السَّلفى .. والتحرُّكُ الثِّقافى

«حافظ متقن مشهور رحال ، سمع بينفاد  
الكثير، وخرج منها سنة خمسمائة ، وطاف  
الأقاليم ، ثم مكث الإسكندرية وعمر ،  
وحدث بالكثير ، ورحل إليه من الآفاق  
وكان ثقة ورعا ..»

— الديبى —



## من أصبهان

قلنا إن السلفى فارسى الأصل ، بلده (جروآن) من أعمال (أصبهان) التى حبيبت شهرتها معالم الحياة فى مسقط رأس السلفى ، فصرنا لاندري شيئا يذكر عن هذا البلد حتى فى معاجم البلدان ، وكتب المسالك والممالك ، ذكرها ياقوت فقال : «جروان ، محلة كبيرة بأصبهان يقال لها بالعجمية أو بالأعجمية (جبروآن) ينسب إليها أبو على عبد الرحمن بن محمد بن النصيب بن ثرسته ، واسمه إبراهيم ابن الحسن الجروآنى روى عن الفضل بن الخصيب وتوفى سنة ٣٨٧ هـ ،

ومهما يكن من شيء ، فإن الفتى قد تحرك فى ميعه الصبا تحركا ثقافيا نحو الأضواء الباهرة الجذابة فى أصبهان ، التى ييمنا أن تتخذها قاعدة انطلاق السلفى ، نحو البلاد الواسعة فى الربع الأخير من القرن الخامس الهجرى ، ترى ماذا كان من منقصات فى أصبهان جعلت السلفى ينادى بها إلى الآفاق ؟ وماذا كان بها من فضائل سارت فى ركابه أينما حل وارتحل ، ولازمته لزوم الفريضة للإنسان من مهده إلى لحدده ؟

وأصبهان - بكسر الهمزة - مدينة فى (إقليم الجبال) أو (الجبل) الذى كان يسمى قديما (ميدا) - ، داخله فى كورة أصبهان التى قصبتها (اليهودية) وسميت بذلك لأن اليهود عند جلالتهم مع يختصر من أرض فلسطين قد سكنوها فسميت باليهودية ، التى منها ومن أصبهان المدينة تتكون أصبهان الكورة أو الإقليم ، ويقال أيضا إن الإسكندر الأكبر قد بنى أصبهان .

هوأها طيب ، والأرض خصبة ، تنبت الفاكة كالعنب والرمان والسفرجل والتفاح والزعفران النادر ، ويحترقها نهر راكد ، ويشرب أهلها من العيون والآبار حيث تتجمد مياهها شتاء ، وتعذب صيفا ، ويمملون فى الزراعة والتجارة

والصناعة ، وتجر بها طرق القوافل إلى جميع الجهات .

سكانها أخلاط من العجم المحروس واليهود والعرب ، دخلها الإسلام سنة ٢٣ هجرية على يد فاتحها عبد الله بن بديل الأحنف بن قيس في زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب <sup>(١)</sup> ، ودخلت في حدود فارس منذ زمن طويل .

وأهل أصهبان إذن أكثرهم عجم ، من أشرف الدماقين وفيهم الأكابر ، والعرب فيها قلة ؛ انتقلوا إليها من الكوفة والبصرة . وهم من ثقيف وبنو ضبة وخزاعة وبنو حنيفة وبنو عبد القيس ، ومنهم بطون وأغاذ من بني هلال وقيس ، فضلا عن همدان الوافدة من اليمن إلى أصهبان .

وأول من كتب بالعربية في ديوان أصهبان - كما يقول أحد أبنائها من أهل القرن الرابع الهجري وهو ابن رسته <sup>(٢)</sup> - سعد بن إلياس كاتب عاصم بن يونس عامل أبي مسلم صاحب الدولة ، وأول من أخذ الناس بتعلم القرآن من أهل أصهبان ، ويقال إنه استقرأ المسلمين بها فكانوا ثمانين رجلا ؛ لم يحفظ القرآن منهم غير ثلاثة ، فلم ينقض عام حتى تعلموه جميعا وحفظوه .

وبعد الإسلام ، صار أهل أصهبان من أهل السنة والجماعة والأدب والبلاغة ، وظهر فيها القراء والأدباء والفقهاء ، وصار جامع أصهبان أعز بالجماعة من أي جامع آخر في سائر الأمصار بعد جامع مصر <sup>(٣)</sup> . ومن أهلها أيضا حنابلة غلاة يبالغون في ذم معاوية ، وكان منهم سحرية ، أما لسانهم ففيه مدح لحياتهم .

ولاندوى باذا نك المقدسي منهم حتى وصفهم بالبلاهة ، ووسمهم بفساد الأخلاق والطباع وشبه عهاتهم بالخراب ، يرى أحدهم تخفيه ويزته ، وفي كرهه رغيف يكدمه ، أو زبيب يقضمه ، وقال في موضع آخر : إن نساءهم يحرسن الحمامات ، ويخرج الدجال من سوقهم . <sup>(٤)</sup>

(١) فتوح البلدان : البلاذري .

(٢) الأملق التنيسي : ابن رسته .

(٣) أمصار التماسيم في معرفة الأقاليم : المقدسي .

أما ياقوت فإنه توسع في أصل (أصبهان) - بكسر الهمزة وهي بالفتح أشهر - ويقول فيما يقول إنها مدينة معروفة من بلاد فارس ، سميت باسم أول من زلها وهو أصبهان بن فلوج بن لطفى بن يافت بن نوح ، بينما نزل آخره همدان فسميت به ، ويشتمها ياقوت من كلتي فارسيتين : (أصبه) بمعنى البله و (هان) يعني الفرس ، فهي بلاد الفرسان ؛ لنجدتهم ، وكانوا معروفين بها وبالبأس والفرسية ، وعنده أنها مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها ، وهي اسم المدينة التي أصلها (جَيّ) ثم (اليهودية) واسم للإقليم كله ، ثم يقول بعد عرض مشتقاتها عند الجرجاني وابن دريد : « وقد لهج بهديث اشتقاق أصبهان عوام الناس وهو امهم » ، وقيل في الأساطير ما يفيد أنهم - لشجاعتهم - حل إليهم اللواء .

ونحن نعلم أن الصحابي الجليل سلمان الفارسي من أصبهان ، وأنه صاحب فكرة الخندق التي رحب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الخندق عام هـ وأمره بتنفيذها ، اقتباساً من خبرات أهل فارس في الحروب قبل أن يعرف العرب فن الهندسة الحربية ، وليس أدل على براعة أهل أصبهان بالذات في العلوم الهندسية والمساحة وتخطيط المدن من أن أحد أبنائها وهو المهندس محمد بن لدة الاصبهاني هو الذي مسح أصبهان مسحاً هندسياً ، ونوه بذلك ابن رسته الاصبهاني المنسوب إلى (جروآن) أصلاً .

ويقول ياقوت إن مساحتها ثمانون فرسخاً في مثلها ، وأنها تشتمل على ستة عشر رستافاً (مدينة) بكل منها ٣٠ قرية قديمة غير المجدثة ، وهي على الجملة صحيحة الهواء ، ينفب عليها الجفاف ، وترتّبها أصح تراب الأرض .

## ابن البلد

هذه لمحة خاطفة عن أصبهان البلد . . المدينة والكورة أو الإقليم ، سواء من الجوانب الطبيعية أو العمرانية أو التاريخية أو البشرية ، وقد درج على أرضها الحافظ الساني وهو في ميعة الصبا ، واستنشق هواءها ، ونشأ في بيت من بيوت الإسلام ، ورثه الفروسية والتجدة والشهامة بين أخطاط من الأديان والملل والنحل ، وانطبعت أحاسيسه ومداركه بما يجري حوله من الأحداث اليومية ، فما هي الظروف التي أحاطت به - وهو في هذه السن الباكرة - لتسغه إلى الرحيل عن بلاده ؟ وهل كانت هذه الرحلة برضاه أم على كره منه ؟ ولماذا غادرها إلى غير رجعة ؟ قبل هان عليه الأهل والوطن إلى هذا الحد ؟

على هذه التساؤلات سنحاول باجتهادنا أن نجيب ، مادام المؤرخون السلفي لم يذكروا لنا شيئا عن ذلك في قليل أو كثير ، بل أغضوا أيضا عيونهم جميعا عن أمر له أهميته وهو : هل كان السلفي - وهو المسلم - عربيا الأصل أم هل هو فارسي ؟

ولسنا نملك حق المجازفة البت في عروبه ، في هذا التعموض الذي يكثف تاريخ أسرته ، وإن كنا نرجح أنه فارسي الأصل ، اعتنق الإسلام أبوه وجده القريب وجده الأعلى - وهو الرابع ( سلفة ) - وقد رأينا أن هذا الاسم فارسي معناه بالعربية ثلاث شفاة ، وعلى ذلك لو كان السلفي عربيا لنسبوه إلى القبيلة العربية التي انحدر منها ، وقد ذكرنا بعض هاتيك القبائل التي نزحت إلى أصبهان من الكوفة والبصرة واليمن ، ولم يكن منها السلفي ، حتى لقد حرص راوي « المشيخة البغدادية » على أن ينتهي بنسب السلفي هكذا : « .... بن إبراهيم سلفة السلفي » .

كما أن الطول النسبي لسلسلة آبائه وأجداده - على ما رأينا - كان كفيلا بأن يجعل لسان السلفى فصيحاً على عادة أبناء العرب في وراثتهم للفصاحة عنهم كآبر عن كآبر ، ولكن إشارة عابرة من كلام أبي جعفر بن الباذش ، توحى بأنه فارسى غير عربى ، إذ يقول : « هو على عجمته يقرض الشعر ، ويحييه منه ما ليس بردىه ولا جيده فهو إذن أعجمى ، وليس ثمت عربى يمكن أن ينكر عليه أحد قول الشعر على هذا النحو .

على أن تلك الفارسية لم تكن مطمئناً في أصالة الثقافة الواسعة التي أحاط بها السلفى ، وبز فيها فطاحل العرب ، ذلك أن ( الإسلام ) هو مصدر هذه الثقافة وليست ( العروبة ) ، لقد حفظ السلفى القرآن صغيراً ، ودرس المبادئ الأولى للكتابة والقراءة والحساب ، وتردد على حلقات الدرس ، دائرة في إثر دائرة في محيط أصهان ، فلما بلغ السابعة عشرة جلس للحديث ، وكان أول سماع له في العام التالي ، وظل يتنقل بين المعلمين في حلقاتهم وزواياهم ومساجدهم ، حتى إذا اكتمل له من العمر ثلاثة وعشرون عاماً ، رحل عن أصهان إلى بغداد وذلك سنة ٤٩٣ هـ .

ومن الطبيعي ألا يبقى مثل هذا الفتى اللطموح أكثر من ذلك في بلده ، وبين عينيه هدف بعيد يرى إليه ، بعد أن ضاقت بينه الأولى به ، ولم تعد تطفئ شوقه إلى الاعتراف من مناهل العلم ، الذي لا يعرف وطناً ، ولا يعرف بهواجز ، وعقبات . . . ومهما تكن المضايقات التي حوله من الطباع البشرية فقد رحل وهو غير ساخط ، حبا في الرحيل لذاته ، ورغبة في التزود من علماء بغداد ، وجرباً على ما كان يسمعه من رحلات الأصهبانيين إلى بغداد ودمشق .

وإذن فإن التحرك الثقافي الذي قام به السلفى لم يكن باعثة كراهية لقوم عاشهم فأساءوا إليه ، ففر من وجوههم يلتمس النجاة ، أو خالفهم في العقيدة

فطارده ، ولا باعثه صبيان الأهل والأولاد عن فساد خلق ، أو ارتكاب موبقة من الموبقات . . كلا ، بل الباعث هو طموح شاب تنوق نفسه إلى طلب المزيد من علوم الإسلام ، حيثما كان العلماء ومعاهد العلم . . والإسلام .

## أصبهان . . وأصبهانيون

فلنبحث إذن عن معالم الحركة الفكرية في أصبهان ، خلال القرنين الخامس والسادس للهجرة ، حتى يمكننا الوقوف على أثر البيئة الأصبهانية في النشأة العلمية الأولى للسلفي . . ابن أصبهان .

ولقد تفتحت عيناه أولاً على أبيه محمد ، وكان - على ما وصفوه - شيخاً عفيفاً ثقة واسع المعرفة كثير السماع ، وإذن فقد تلقى عليه ابنه بأصبهان ومكة في الحج وتأثر به في سلوكه الطيب ، وحسن معاملته للناس ؛ وتبجيلهم له ، حتى توفى إلى رحمة الله ، وإبنته في الثامنة والعشرين من عمره ، أي بعد رحيله عن أصبهان بخمس سنوات ، فلم يحضر وفاته سنة ٤٩٨ هـ أو سنة ٤٩٩ هـ كما في بعض الروايات .

قال الصاحب أبو القاسم بن عباد في إلمامة شاملة عن الحياة الفكرية في أصبهان في هذه الفترة التاريخية :

«وقد خرج من أصبهان من العلماء والأئمة في كل فن ما لم يخرج من مدينة من المدن ، وعلى الخصوص علو الإسناد ، فإن أعمار أهلها تطول ، ولهم مع ذلك عناية وافرة بسماع الحديث ، وبها من الحفاظ خلق لا يحصون ، ولها عدة توارخ ؛ وقد نشأ فيها الخراب في هذا الوقت وقبله في نواحيها ؛ لكثرة القتل والتمصب بين الشافعية والحنفية والحروب المتصلة بين الحزبين ، فكما ظهرت طائفة ، نهبت محلة

الأخرى وأحرقها وخربتها ، لا يأخذهم في ذلك إل ولا ذمة ، ومع ذلك ، فقل أن تدوم بها دولة سلطان ، أو يقيم بها فيصلح فاسدها ؛ وكذلك الأمر في رسائيتها (مدنها) وقراها التي كل واحدة منها كالمدينة ، (١)

أصبهان إذن تربة خصبة ، وبيئة صالحة ؛ لم يكن خروج السلفى منها بدعا من الأمر ؛ لا من حيث المناخ الصالح لعلم الحديث - وقد وجدت بذوره عوامل النماء بها كاملة موفورة - ولا من حيث الرغبة في الخروج منها ؛ كما خرج علاؤها وأئمتها ، للأسباب التي ذكرها ابن عباد .

وفي خلال سبع سنوات محصورة بين السابعة عشرة من عمره حتى الثالثة والعشرين ؛ وعلى أرض أصبهان ، استطاع السلفي الشاب أن يتردد على كثير من علماء بلده ، وأن يأخذ عنهم ، وأن يتأثر بهم ويحذو حذوهم ، فهو حينئذ - بحكم السن - على استعداد للتطبع بالتقليد ، وملكانه لا تزال مفتوحة كالزهرة في حاجتها إلى الماء والهواء والشمس والغذاء .

وإن أصبهان التي توفي بها الشيخ الرئيس الفيلسوف العملاق ابن سينا سنة ٤٢٨ هـ ، والتي فقدت غالبا الجليل المحافظ أبا نعيم الأصبھاني المتوفى بها سنة ٤٣٠ هـ عن ٩٤ سنة وقبل أن يولد السلفي بأربعين سنة تقريبا ، لم تعد أصبهان هذه من بعدها علماء أجلاء ، ساروا على نهج أبي نعيم في حلية الأولياء ، وتاريخ أصبهان ؛ وما وراء ذلك من شتى المعارف الإسلامية .

لقد كانت أصبهان منذ الفشاة الأولى للسلفي عامرة بالعلماء وأكثرهم من المعمرين ، وهذه ظاهرة عجيبة نسجها لهم على التاريخ ، ومنهم صاحبنا الجليل الإمام السلفي ، الذي عاش في عصر الأعلام الضخام المعمرين الذين ذاع صيتهم في كل أنحاء العالم الإسلامي ، ومنهم :

---

(١) مهم البلدان : ياقوت .

— الحافظ الإمام أبو نعيم أحمد سبط الحافظ صاحب « حلية الأولياء »  
المتوفى سنة ٤٣٠ هـ .

— أبو طاهر محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الرحيم مسند أصبهان  
والكاتب الثقة والرحالة المتوفى سنة ٤٤٥ هـ .

— والحافظ أبو بكر العطار الأصبهاني وكان إماما ثقة، عارفا برجال الحديث  
ومتونه ، وكان عظيم الشأن يلبده وتوفى سنة ٤٦٦ هـ .

— والحافظ عبد الوهاب بن محمد بن إسحاق بن منده وهو من بيت مشهور  
بالحديث ورحل في سبيله ومات بأصبهان سنة ٤٧٥ هـ وكان واسع الرواية حسن الحفظ  
كبير الشأن .

— ومحمد بن أحمد بن محمد بن الحسن بن ماجة أبو بكر الأبهري الأصبهاني الإمام  
العالم المشهور الذي انتهت إليه رئاسة العلم بأصبهان ومات بها سنة ٤٨١ هـ عن  
٩٥ سنة .

— والحافظ أبو العباس بن بشرويه الأصبهاني الإمام المحدث للحافظ الذي  
توفى سنة ٤٩٢ هـ عن ٩٦ سنة .

— والحافظ الإمام العالم المحدث أبو الفتح أحمد الحداد الأصبهاني المتوفى  
بأصبهان سنة ٥٠٠ هـ عن ٩٢ سنة .

— والإمام أبو سعيد محمد الأصبهاني المطرز المتوفى سنة ٥٠٤ هـ .

— وابن الهبارية الشاعر البغدادي الذي قدم أصبهان وتوفى سنة ٥٠٩ هـ .

— ويحيى بن عبد الوهاب ابن منده المبدى الأصبهاني المحدث الحافظ

المزوخ، ولد بأصبهان وروى الكثير عن أبيه وعميه، وقدم بغداد في حدث بها وسمع منه الشيخ عبد القادر الجيلاني وابن الخشاب والسلفي، وتوفي ببلده سنة ٥١١ أو سنة ٥١٢ عن ٧٩ سنة، وله كتاب «من عاش من الصحابة مائة وعشرين سنة»، و«تاريخ أصبهان» و«مناقب العباس» و«مناقب أحمد».

— وعالم أصبهان ومحدثها أبو منصور الأشقر الأصبهاني المتوفى سنة ٥١٤.

— والإمام إسماعيل الطلحي الأصبهاني حافظ عصره المتوفى بأصبهان سنة ٥٣٥ هـ عن ٧٦ سنة.

— والصوفي أبو القاسم التيسابوري الأصبهاني المتوفى سنة ٥٥١

— والحافظ أبو مسعود عبد الجليل ابن كوتاه الأصبهاني المتوفى سنة ٥٥٣.

— والنحوي الأديب البدائي أبو الفتح نصر بن عبد الرحمن الفزازي السكندري صاحب كتاب في أسماء البلدان والامكنة والجبال والمياه. دخل أصبهان ومات بها سنة ٥٦١ ذكره الصفدي.

— وأبو الحسن علي بن أحمد اللباد الأصبهاني المتوفى بها سنة ٥٦١.

— وأبو حنيفة محمد بن عبيد الله الأصبهاني الخطيب المتوفى سنة ٥٧١.

— وأبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الأموي الدياجي الأصبهاني العثاني الإسكندراني المحدث المتوفى سنة ٥٧٢ هـ قريبا.

— والعماد الكاتب صاحب الأصبهاني الذي ولد بأصبهان سنة ٥١٩ ورحل منها مع أبيه وعمل في خدمة صلاح الدين: كاتب لإنشائه وشاعره ومؤرخه ومرافقه في السماع على السلفي بالإسكندرية سنة ٥٧٢ وصاحب «خريدة القصر في شعراء العصر» والمتوفى سنة ٥٧٧.

— وأبو الفتح عبد الله بن أحمد الأصبهاني الحرق المتوفى سنة ٥٧٩ عن ٨٩ سنة .  
 — وأبو المكارم أحمد بن محمد التميمي الأصبهاني ابن البان العدل القاضي المتوفى  
 بدمشق سنة ٥٩٧ .

— ومتخب الدين أبو الفتح أسعد بن خلف العجلي الأصبهاني شيخ الشافعية  
 بأصبهان وتوفى بها سنة ٦٠٠ عن ٨٥ سنة .

— أليس في هذه المجموعة المختارة من الأصبهانيين — وما أكثرهم — ما يشير  
 إلى أن أصبهان في العصر الذي أدركه السلفي قد أنجبت الصفوة من علماء الإسلام :  
 أئمة وحفاظا وعلماء وفقهاء وأئمة وقضاة وشعراء وفلاسفة وأدباء ومؤرخين  
 ومتصوفة طالت أعمارهم ، ورحل بعضهم إلى الآفاق ؟

كما أن وفاء الكثير منهم لبلدهم حدام لتأليف الكتب النادرة عن أصبهان  
 وتاريخها وأعلامها وفنائها ، فأسموا بذلك في بناء صرح « علم البلدانيات »  
 الذي يفخر به التراث الإسلامي . من ذلك :

— « تاريخ أصفهان » لابن عبد الله حمزة بن الحسين المؤدب من أهل القرن  
 الرابع .

— « محاسن أصفهان » لمفضل بن سعد المافروخي وقد اقتبس من سابقه .

— « تاريخ أصفهان » لابن بكر أحمد بن موسى بن مردويه المتوفى سنة ٥٤١٠ .

— « تاريخ أصفهان » لابن منته الجلد والحفيد .

— « تاريخ أصفهان » لابن الشيخ ابن حيان

— « تاريخ أصفهان » لابن نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني في مجلدين .

— « تاريخ أصفهان » لابن بكر محمد بن أبي علي أحمد بن عبد الرحمن المعدل الأصفهاني .

— « قلند الشرف في مفاخر أصفهان وأخبارها » لعلي بن حمزة الأصفهاني .

— « تاريخ أصفهان » الفيروز ابادي المتوفى سنة ٧٦٦ هـ .

— « معجم أصفهان » للحافظ السلفي المتوفى سنة ٧٦٦ هـ (١) .

ومن هذا الثبوت يتبين لنا مسبقاً أن السلفي - كالماء - بلده أصفهان - عني بالتاريخ والبلدان والأعلام ، وسيكون على غرارهم فيما سيخلفه لنا من التراجم والمعاجم ، وعلى نهجه سيمرسم خطاه ياقوت الحموي .

ولقد جرى حدث تاريخي هام جمع بالصدفة بين أصفهان والإسكندرية ، آن الآن أن نذكره هنا لنضمه بين يدي القارئ ، ونحن نتلص أسباب رحلة السلفي من بلده إلى أن ينتهي به المطاف إلى الإسكندرية .

فإن لم يكن في هذا الحدث ما يكفي لذلك ، فلا أقل من أن نعرف لو لنا من الصراع العقائدي الذي اكتنف الفترة التي نشأ فيها السلفي ، وشاء الاقدار أن يجعل منه هو همزة الوصل بين البلدين الجليين .

ويتلخص الحادث في أن بعض أهل الفرس من الإسماعيلية قد نادى بإمامة نزار بن المستنصر بالله الخليفة الفاطمي المصري ، الذي دامت خلافته ستين سنة من سنة ٤٢٦ إلى سنة ٤٨٦ هـ ، وانضوى تحت علمه الأسود مشرق الإسلام ومغرب ، وإذا ذلك كان نفوذ الإسماعيلية ما بين الري وهمدان من إقليم الجبال الذي منه

---

(١) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ : السقاوي ( - ١٩٠٢ هـ ) .

أصبهان ، حتى استولوا على أصبهان، ونشروا بها دعوتهم بزعامة الحسن بن الصباح ،  
الذى رحل إلى مصر ليتعمق في دراسة المذهب الشيعي بدار الحكمة بالقاهرة ،  
بينما كانت الثورة في الإسكندرية على أشدها مع نزار ، وإن كانت على حالتها  
سنية لا شيعية .

وكان أمير الجيوش بدر الجمالي الأرمي الأصل وزير المستنصر قد دبر  
مؤامرة لإقصاء نزار عن الإمامة بعد أبيه ، ومن هنا كان الخلاف بين الحسن  
ابن الصباح وبدر الجمالي ، وسرعان ما قبض على الحسن ، وزج به في سجن دمياط ،  
ثم أمر بإطلاق سراحه ، وأركبه السفينة من الإسكندرية في رجب سنة ٤٧٢ هـ إلى  
الشام ، من حيث كان يريد بلاد المغرب فرست به السفينة على عكا ، ومنها ذهب إلى  
حلب وبغداد وخوزستان . فراح يتفقد مراكز المذهب الإسماعيلي حتى وصل إلى  
أصبهان ، فأعلن لإمامة نزار بعد أبيه المستنصر ، كيدا في بدر الجمالي ، ومن ثمت  
ظهرت طائفة (النزارية) في أصبهان .

ويبدو لنا أن مثل هذه الانحرافات السياسية المخلفة بنشأ شفاف من العقيدة  
لم ترض طبيعة فني سني شافعي كالسلفي ، ففر بعقيدته بعيدا عن كل صراع من  
شأنه إفساد العلاقات بين المسلمين .

## أوائل الشيوخ

لستنا نبالغ في القول بأن السلفي قد سلخ مائة عام بالتمام يطلب العلم ، ويسمع من العلماء وغير العلماء ، سواء في بلده الذي به نما ولشأ وشب وترعرع ، أو في البلاد التي رحل إليها ، إلى أن انتهى به المطاف بالإسكندرية وحتى آخر ليلة قضائها بها من عمره المديد ، وكان شيوخه يزيدون على الألف - كما يقول للتجبي - وجمع بعض أسماء به أسماء للنساء منهم في مجمع ، وهذا اتساع عظيم في الأخذ عن المشايخ ، على حد قوله (١) .

وإنه لمن الأهمية بمكان أن نذكر أسماء الشيوخ الأوائل الذين تلقى عليهم السلفي قبل أن يغادر أصهبان إلى بغداد ، ففي هذه الفترة القصيرة من حياته الأولى - وهي لا تزيد على سبع سنوات - قرأ القرآن سنة ٤٨٦ على إمام النجوبة الله محمد ابن الصفار (٢) ، وكان حافظا للحديث ، ولم يكن السلفي قد جاوز السابعة عشرة ، ثم كان له سماع في العام التالي سنة ٤٨٨ ، وهذا نبوغ وفضوح قبل الأوان ، واشتد ساعده ، واستقام عوده في الطلب ، بعد رحلات في الآفاق ، استغرقت ٣٨ سنة .

واتفق ابن الأبار والسبكي على أن أول سماع السلفي في أصهبان كان سنة ٤٨٨ على رئيسها ومسند عصره فيها أبي عبد الله القاسم بن الفضل الثقفي ، وكان أول شيء سمعه يتان من الشعر أنشداهما مؤدبه ومعلمه ، وقد بعث في حاجة فقال له : نعم ، وهما :  
إذا قلت في شيء : « نعم » فأتته فإن نعم وعسد على الحر واجب  
وإلا فقل : « لا » تسترح وترج بها لتلا يقول الناس إنك كاذب

(١) للمجم : ابن الأبار .

(٢) مهمة الرواة : السيوطي .

وعلى ذلك فإن (الصدق) أول درس تلقاه في الأخلاق التي هي ركيزة هذا العالم  
 اللدخري ليكون مسند الدينيسا ، ومحدث المحدثين ، وأصدق الرواة ، وأدق الثقاة ،  
 والفضل في ذلك كله يرجع إلى شيوخه الأول الرئيس الأصهباني مسند عصره أبي  
 عبد الله الثقفى ، وهو عربى أصيل ينتمى إلى ثقيف ، وقد نزح إلى أصهبان وعلا بها  
 شأنه ، وشاعت الأقدار أن يكون هذا العالم (العربى) أول معلم لهذا الفقيه  
 (الأصهباني) بعد أبيه ، وقد وافانا السبكي أيضا بعدد آخر من أوائل شيوخ  
 السلفي بأصهبان ، منهم من ينتمى إلى الكرخ (البتنادية) ، والمدنية (الحجازية)  
 مثل : مكي بن منصور بن علان الكرخي ، ومحمد بن محمد بن عبد الوهاب المدني ،  
 فضلا عن عبد الرحمن بن محمد بن يوسف السمسار ، وسعيد بن محمد الجوهري ،  
 والفضل بن علي الحنفي ، ومعمّر بن أحمد التتائي ، وأبي الرجا بشار بن محمد بن  
 جعفر الخلفاني (١) ، وأبي وفاء السلفي عليه نحو شيوخه إلا أن يسير على نهج  
 سابقيه ومعاصريه ، فوضع معجما حافلا لشيوخه الأصهبانيين ، وإلى وقتنا هذا  
 لم يتم النشر عليه .

ومما يكن من غموض هذه الفترة الأولى من النشأة العلمية للسلفي ، فإنه  
 خرج من بلدة أصهبان في رمضان سنة ٤٩٣ هـ ومنه زاد لأبأس به من الشعر الرخيم  
 الحكيم ، وكان قد حفظ القرآن الكريم ، وهو الأصل الأول في دين الإسلام الضنيف ،  
 وحدث بالكثير من أحاديث رسول الله ﷺ ، ذراية ورواية ، متونا وأسائيد ، إذ أن  
 الحديث الشريف هو المصدر الثاني للأحكام في الإسلام ، وبما لا شك فيه أن لسان السلفي  
 - وهو فارسي - قد أخذ يستقيم رويداً رويداً ويتدرب على الفصاحة العربية ،  
 على أيدي شيوخه الذين وفدوا إلى أصهبان من قبائل عربية ، لغتها الأصلية هي

---

(١) ألف بهاء : البلوى .

لغة القرآن ، ترى هل اكفى السلفي بهذا الزاد ، وهو يعلم أن التجوال في الآفاق هو السبيل الوحيد إلى تحقيق ما تطمح إليه نفسه الوثابة طلباً للزيد من العلم وهو أنبل زاد ؟ لعل السلفي قد استوعب القول السائد في عصره على كل لسان وهو « بلاد الحديث اليوم التي تشد المطايا إليها ثلاث : ( بغداد ) و ( أصهان ) و ( نيسابور ) .

### إلى بغداد

لم يكن السلفي من أهل الثراء لينوده أبوه بشيء من المال ، وقد أزمع الرحيل في طلب العلم ، بل آثر أن يتحل بالاخلاق الفاضلة وهو شاب نشأ في طاعة الله ، وأمله كبير في أن يظله الله تعالى بظله يوم لا ظل إلا ظله ، وتأدب مع ربه فقآثر أن يرحل وهو حافي القدمين ، مجاهداً في سبيله ، وتعرض لنفحات رمضان ، لا شاغل له إلا علباء بغداد ، يعترف من معين علومهم ، غير مهاجر إليها من أجل دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها ، ولستمع إليه وهو يتحدث عن دخوله بغداد ، دخلتها في الرابع من شوال ( أي سنة ٤٩٣ ) فلم يسكن لي همة ، ساعة دخولها إلا المضى إلى ابن البطر ، فدخلت عليه ، وكان شيخاً عسراً ، فقلت : قد وصلت من أصهان إليك ( أي لا جلك ) ، فقال : اقرأ ( جعل بدل الرأ غينا ) فقرأت عليه ، وأنا متكى لا أجعل دمايل بي ( من طول السير وهو حافي القدمين طوال أيام الرحلة تأديباً مع الله في طلب العلم ) ، فقال : أبصر ذا الكلب . فاعتذرت إليه بالدمايل ، وبكيت من كلامه ، وقرأت سبعة عشر حديثاً ، وخرجت ، ثم قرأت عليه نحواً من خمسة وعشرين جزءاً ( من الأحاديث ) ولم يكن بذلك <sup>(١)</sup> .

(١) الطبقات الكبرى : السبكي .

كان أول لقاء للسلفي ببغداد مع هذا ( الشيخ العسر ) الذي حرّمه الله نعمة الفصاحة ، غلظ في التعلق بين الرأى والفن ، كفيلا بأن يجعل التقي الطموح يرتد عن قصده يائسا من رحمة الله ، بعد وغورة الطريق ، ووعثاء السفر ، ولكن شعوره الرقيق ، وإحساسه بخيبة الأمل في هذا ( الشيخ العسر ) ، ودموعه التي ذرفها فيما بينه وبين نفسه ، وغريزة القروسية التي ورثها عن أجيال بلده ، كل ذلك لم يحل بينه وبين صروح الأمل التي بات يشيدها بخياله المجتحم على المدى الواسع البعيد .

ففي بغداد سمع السلفي أيضا من الفقيه الشافعي أبي الحسن الطبري الكيا الهراسي وكذلك من أعلامها المعاصرين ومنهم: أبو بكر الطريثي والنحوي المعروف الفصيح الاسترأبادي مدرس النحو بالمدرسة النظامية ببغداد وهو الخطاط الأديب ، وقد جالسه وروى عنه ، وأبو عبد الله بن اليسري ، وثابت بن بندار ، وكتب عنهم في معجم له باسم ( المشيخة البغدادية ) تمكنا من الاطلاع على صورة شمسية لمخطوطته ، غير أن حصرتنا على فقدان معجم شيوخه الأصفيانيين لآحد لها .

وأخذ السلفي طريقه من بغداد إلى الحجاز لأداء فريضة الحج مع أبيه وبعض أصحابه : فسمع بالكوفة من أبي البقاء المصممي محمد الحبال ، وبمكة من الحسين بن علي الطبري ، وبالمدينة من أبي الفرج القزويني ، ثم عاد إلى بغداد ، فأخذ الفقه من الكيا الهراسي ، وعلوم اللغة من ابن زكريا التبريزي . وروى عن الإمام أبي محمد جعفر بن السراج ، وأبي منصور السيوري الشاعر الأديب ، وسمع من شيوخه

ورفاقه كافي على البرقاني ، زهراشت بن عوض ، وأبي عامر العبدري ،  
وعبد الملك بن يوسف ، ومحمد الخير الأندلسي ، وكان الحريري في حلقته بالبصرة ،  
والناس يسمعون منه المقامات يملأها عليهم ، فلم يهرج عليه السلفي .

وقضى بعد ذلك تسع سنوات ، يتجول في عديد من البلدان الفارسية ، ففى  
زنجان سمع من محمد أبي بكر أحد بن محمد زنجويه ، وفي همدان سمع من غالب أحد  
ابن محمد بن محمد المزكي وغيره ، وتجول في الجبال والمدن ، وتلقى العلوم من علماء  
الري ودينور وقزوین وساهو ونهاوند وأذربيجان ودر بند ، وعاد إلى آمد  
وخلط ونصيبين والرجبة ، وكان تحصيله من علمائها ومعرفة بأحوالها الجغرافية  
والتاريخية والبشرية يفوق الوصف ، وسجل عنها مذكرات ضافية ، ومنتخبات  
وفوائد ، تركها عند أصحابه في سلباس وآمد وديار بكر ، على أمل ظل يداعبه  
طويلا في أن تصل إليه ، بعد أن استقر في الإسكندرية ، وهو على غيبتها عنه حزين  
أشد الحزن ، ود معجم السفر ، مليء بهذه الحصرات ، كلما تذكر أصحابه وبجالسه .

### في دمشق

وفي سنة ٥٠٩ هـ وصل السلفي إلى دمشق ، وكثيرا ما كانوا يذكرون له أن  
أصبهان تشبه دمشق ، وبها جلة كرام من الأعلام ، فإذا يمنع هذا الشاب الجوال  
من استكمال معرفته بمعالم الثقافة بها ، والاستماع إلى رجالها ونسائها ، وفي جمعيته  
حتى الآن محصلة علمية وافية وعاما من سفر وحج وإقامة طوال سبع سنوات ،  
هى قليلة في العدد ، ولكنها عند مجتهد متحمس غيور كالسلفي حافلة بشئ المعارف  
التي قد يقضى غيره العمر كله ولا يدرك عشر مشارها .

ودخل دمشق وقد ناهز الثلاثين من عمره ، ولم تقال إقامته بها أكثر من عامين ، فسمع من أبي طاهر الحناني ، وأبي الحسن بن الموازني وغيرهما ، وكم أبدى ابن عساكر الدمشقي من أسف لأنه لم يظفر بالسباع من السلفي بالشام ، ولكنه سمع بقراءته من شيوخ علة وأصحاب كثيرين ، ثم يعم ساحل الشام حتى وصل إلى (صور) وفيها لقي قلة من العلماء في فترة قصيرة من الزمن ، ومنها ركب البحر إلى الإسكندرية فدخلها سنة ٥١١ هـ ومن ذلك التاريخ كانت له رحلة أخرى ، دامت نحو خمسة وستين عاما ، رحلة بين الناس والكتب ، لا بين البلاد والأقاليم ، ولم يتأخر الإسكندرية إلا في رحلة علمية قام بها سنة ٥١٥ هـ إلى القاهرة ، حيث قضى ثلاث سنوات ، وعاد بعدها مباشرة إلى الإسكندرية التي استطاعها ، فديرها وتزوج منها وجعلها ببلد إقامته ، وأراد الله أن تكون مسرعا طويلا عريضا لأخصب فترة من حياته العلمية ، حتى تولى تحت أطباق ثراها سنة ٥٧٦ هـ .

ولما لم تقال إقامة السلفي بالقاهرة ، فقد استطاع أن يسمع بها من أبي صادق المديني وغيره - كما سئى ذلك في حينه - ، وتأقت نفسه بعد أن استقر به المقام في الإسكندرية إلى أن يضع معجمه الثالث لشيوخه ، وضمنه أسماء من تلقى عنهم بعد مشيخة أصبهان ومشيخة بغداد ، وهو «معجم السفر» .

وقد كثر الرواة عن السلفي إلى درجة نادرة ، وروى عنهم كثير غيرهم ، وكلهم علماء نفاذ عرفتهم العالم الإسلامي في المشرق والمغرب ، منهم سبطه أبو القاسم عبيد الرحمن بن علي ، وسعد الخير وعلي بن إبراهيم السرقسطي ، وكذلك أبو المرحوم ابن علي القصابدي ، والطبيب بن محمد المروزي ، وروى رواية آخرون عن هؤلاء الثلاثة مثل : الحافظ أبي سعد بن السمعماني ، وهبة الله بن عساكر ، ويحيى بن سعدون القرطبي ، ومئات غيرهم سند كرم في فصل الختام إن شاء الله .

وروى عنه جماعة آخرون بالإجازة ، وماتوا وهو على قيد الحياة منهم : القاضى عياض اليحصبي المغربي ، وحامد الحرائق ، والحافظ أبو الحسن المقدسى ، وعبد الغنى وعبد القادر الرهاوى ، والفتية بهاء الدين بن الجبير ، والسبط وآخرون ، وآخرهم أبو بكر محمد بن الحسن السفاقي ابن أخت أبي الحسن المقدسى المتوفى سنة ٦٥٤ ، فقد دروى عن السافى المسلسل بالأولية حضوراً ، ولم يكن عنده سواه ، كما يقول السبكي ، ونرى أن الآخذين عنه مباشرة وبالإجازة ظلموا نحو مائة سنة وهم يروون عنه .

وهكذا تتميز الرحلة السلفية بالمراحل الثلاث الآتية :

- ١ - مرحلة النشأة الأولى فى أصبهان ما بين مولده سنة ٤٧٠ ورحيله عنها سنة ٤٩٣ وفيها تلقى من أبيه ومعاصريه ، وكان فضجه الفكرى فيها قبل الاوان .
- ٢ - مرحلة الاسفار إلى بغداد والكوفة والبصرة ومكة والمدينة وبلاد القرس ودمشق وصور ، ما بين وصوله إلى بغداد سنة ٤٩٣ ووصوله إلى الإسكندرية سنة ٥١١ ، وفيها سمع وأسمع ، وتعلم وعلم ، وهو فى ريعان الشباب .
- ٣ - مرحلة الاستقرار بالإسكندرية من سنة ٥١١ حتى وفاته بها سنة ٥٧٦ ، وقدرها خمسة وستون عاماً ، وفيها كان مقصد الرافدين إليه من المشرقين والمغربين ، وبلغ خلالها أوج التضوج الفكرى فأعطى أمتى ما يكون الطاء ، ولا سيما بعد عودته من مصر ، حيث قضى ثلاث سنوات ما بين سنة ٥١٥ و سنة ٥١٧ .

وإذا كان الرجل عادة ما يبلغ مرحلة هذا التضوج فى سنن الأربعين ، فإن السلفى - كما رأينا - قد شذ عن هذه القاعدة ، ولاحت ملاح النجاة مبكرة فيه ، على غير المألوف عند طلاب العلم ، فقد جلس الحديث فى السابعة عشرة ، وكان له سماع

في الثامنة عشرة ، فما باله وهو يدخل الإسكندرية في الأربعين ؟

لقد أوق من بسطة الجسم وقوة احتمال الأجواء المتقلبة ما شجمه على اختراق الآفاق سائحا في الأرض ، فوضعت له الملائكة أجنحتها وهو يجاهد نفسه في سبيل العلم ، قائما بما رزقه الله ، عفيف القلب واللسان واليد ، عزيز النفس ، رافع الجبهة ، لا يتحول عن المثل العليا التي تزود بها من دروسه الإسلامية ، ولا يحيد عنها في حياته مع نفسه ، وحياته مع الناس ، فهل جاء الإسكندرية ، وما تزال به رغبة في المزيد من العلم ، أم كفاه ما حصله ليحلل كرمى الأستاذ بها ؟ . . إنما العلم كالبحر الزاخر لا أول له ولا آخر .

### نغر الإسكندرية

لسنا ندرى ولا السلفى نفسه يدري ، إن كان هذا الشاب الأصهباني الرحالة النابغة قد وضع لنفسه خطة وبرنامجا لرحلته التي تبيننا خطاه فيها ، وأغلب الظن أن الأقدار وحدها هي التي سأقه أخيراً إلى الإسكندرية ، عن غير قصد منه أو تدبير سابق ، فلم يكن له أقارب بها أو أصدقاء أو شيوخ سبقوه إليها ، فأغروه بالتحرك نحوهم ليصيبه من خيراتها ما أصابهم .

لقد كان يصح في الاذهان أن يتخذ السلفى من بغداد أو مكة أو المدينة أو الكوفة أو البصرة أو دمشق دار إقامة له ، وكل منها على مدى القرنين الخامس والسادس عامر بالحضارة والثقافة ، حافل بتراث المعرفة وفطاحل العلماء ، يقصدها طلاب العلم من كل مكان ويندق الملوك والولاة بسخاء عليهم كوسيلة للدعاية النبيلة لأبجادمهم ، بإنشاء المعاهد العلمية وملكاتها من مكبات ومدن هامة ، ومنح للطلاب ومخصصات دائمة ، لكي يتفرغوا للدرس والبحث .

فهل كانت الإسكندرية أكثر أضواء من مدائن الثقافة الإسلامية في هذا العصر حتى كان اجتذابها للطلاب أقوى وأشد؟ ولم لا، وهي ذات الموقع الجغرافي الممتاز على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وهوؤها طيب صيفا وشتاء، يمر بها ويزل القادمون من بلاد الأندلس والمغرب في الطريق إلى الحج، والقادمون بتجارهم من الشرق إلى أوروبا وإلى المغرب العربي قاصيه ودانيه . .

ثم هي هدف استراتيجي هام؛ غزاه القراصنة طمعا في سلب خيرات الشرق، وطالما شن المغامرون غاراتهم على ثغرها المحروس، فصدّم أهلها بكل بسالة؛ ونالت غلى من الأيام اهتمام الخلفاء والملوك والسلاطين، فأقاموا أسوارها وشيدوا أبراجها وأبرابها وطهروا خطيبها، وعمرُوا أساطيلها ومسالحها ومدارسها، وتخبروا حكامها وولايتها، وتفقدوا بأنفسهم أحوالها، وأكرموا شيوخها وعلماءها، وأنشأوا مساجدها ومدارسها، وفتحوا للوافدين إليها رباطاتها، فجاءوها من كل فج عميق ليرابطوا على سواحلها دفاعا عن حومة الإسلام، تطوعا وتبرعا، لعمانا بفضل الرباط في سبيل الله، ورغبة في أجر من عمل بالحديث الشريف: وثلاثة لا ترى أعينهم النار: عين حرس في سبيل الله، وعين بكت من خشية الله، وعين كفت عن عارم الله، أو كما قال .

تلك هي الإسكندرية العظمى، كما يسميها ياقوت، تميزها عن ثلاث عشرة إسكندرية أخرى في العالم، كانت عاصمة الديار المصرية منذ أنشأها الإسكندر المقدوني، إلى أن فتحها عمرو بن العاص سنة ٦٤٠هـ. وهو تاريخ مقارب لفتح أسبهان - فانتشع الظلم والظلام اللذان اتسم بهما حكم الروم بمصر، وحكم المغوس بفارس، وعلى الرغم من انتقال مقر الحكومة الإسلامية العربية من الإسكندرية إلى القسطنطينية وأخيرا إلى القاهرة، فإن منار الإسكندرية لم يزل عاليا، حقيقة

وبجازا ، وسرى أن المدرسة السلفية ، ستكون أبعد أصداء من إشعاعات منار الإسكندرية .

ولم تكد تنقضي أربعة قرون على الإسلام في الإسكندرية ، حتى كانت هذه المدينة العريقة مركزاً هاماً للثقافة الإسلامية ، على الرغم من التقلبات السياسية ، التي سادت هذا العصر ، وعمت تلك المنطقة بأسرها ، كما سئرى ذلك بالإسباب في موضعه ، وسئرى في الوقت نفسه السبب المباشر لقدم السلفي إلى الإسكندرية .

### ما بعد الإسكندرية

لأشك أن التحرك الثقافي الذي قام به السلفي كان من أجل طلب الحديث ، وكما كان شائماً في عصره أن بلاد الحديث التي تشد إليها الرحال ثلاثة هي : بغداد وأصبهان ونيسابور ، ولأن لم تدخل الإسكندرية في برنامج رحلة السلفي ، فإذا كان يقصد من وراء مسيرته العلوية إلى الإسكندرية ؟ وهل كان يستهدف بلاداً أخرى بعدها كالقاهرة والفسطاط وما بعد الديار المصرية ؟ ولماذا ؟

لقد كان للسلفي مجلس علم بأصبهان قبل أن يفادها ، أي عندما كان في ريعان شبابه لم يتجاوز الثلاثين ، وكان ممن سمع منه بها ابن يحيى بن عبد الرحمن ابن عبد المنعم بن عبد الله القيسى الدمشقي الأصبهاني ، ودفعه حب الرحلة في طلب العلم لأن يستوطن غرناطة حيث توفي سنة ٦٠٨ هـ ، وكان من الطلائع الرواة عن السلفي بالاندلس ، ولقد رأينا في قول الصحاح بن عباد تلك الموجات المهاجرة من أئمة أصبهان وعلائها إلى خارج البلاد ، والذوابع إليها .

ولم يكن بالسلفي ساجدة إلى الترحال : لا للزهة ولا طلب العيش أو الفرار من اضطهاد ، ولكنه كان كما يقول ابن نقطة وجراً في الآفاق ، سآلاً عن أحوال الرجال .

وأوجز الديبش هذه الرحلة بمفهومنا نحن وهو (التحرك الثقافي) فقد قال عن السلفي:

« حافظ متقن مشهور رجال سمع ببغداد الكثير ، وخرج منها ستة خمسمائة ،  
وطاف الأقاليم ، ثم سكن الإسكندرية ، وبعد أن جعلها آخر المطاف استطرد  
قاتلا ووعمر وحدث بالكثير ، ورحل إليه من الآفاق . وقد رأينا تفاصيل هذا  
التحرك ، ووقفاته عند كل مدينة أخذ فيها ، وأخذوا منه فيها .

وأورد ابن عساكر قدوم السلفي إلى دمشق في طلب الحديث سنة ٥٠٩ هـ ،  
وذكر بحالسه بغير سلاسل ، ثم خروجه إلى مصر ، فسمع بها ، ثم استوطنها وصرات  
له بها وجهة - كما يقول - حتى بنى له ابن السلار مدرسة بالإسكندرية ، وتوقف  
ابن عساكر عند هذا الحد .

أما ابن الأبار فأكل هذه الرحلة بعد ابن عساكر دون أن يذكر لنا  
صاحب هذه التكلة الذي قال إن قدوم السلفي الإسكندرية سنة ٥١١ كان لسباع  
الحديث على عالمها ومحدثها أبي عبد الله بن الحطاب الرازي ، وفي نية السلفي  
من قدومه هذا أن يخترق بلاد المغرب إلى الأندلس للأخذ عن أصحاب ابن عبد البر  
القرطبي المالكي الفقيه الحافظ المحدث المتوفى سنة ٤٦٣ هـ صاحب « الاستيعاب  
في أسماء الأصحاب ، وغيرهم ، فإذا تم له المراد من رب العباد ، عاد إلى بلده  
أصبهان ، وتلك كانت نيته ، ولكن أهل الإسكندرية شغلوه بالسباع وصرفوه عن  
أي تفكير آخر في الانصراف عنهم ، ووجد منهم الصدر الرحب وعندهم الكرم الزائد ،  
فأقام بها حتى مات الرازي سنة ٥٢٥ هـ ، وقد استوفى المائة ، فكان السلفي خير خليفة  
له بها ، وهو يومئذ ابن خمس وخمسين سنة . فطابت له الإقامة ، وتزوج منها  
بامرأة ثرية صالحة ، وطال عمره . كما طال السباع منه والانتفاع به .

وإذا كان أصله الذي كان يراوده في الأخذ عن علماء الأندلس لم يتحقق

في السفر إليهم فقد كتب هو إليهم من الإسكندرية ومنهم : أبو عمران بن أبي تليد ، وأبو محمد بن عتاب ، وأبو الحسن بن بتي ، وأبو الوليد بن طريف ، وأبو الحسن ابن عفيف ، وأبو القاسم بن صواب ، وعلى رأسهم جميعاً القاضي أبو علي ابن سكرة الصدوق الرقسطي ، وكان السلفي يعظم شأنه ، فيعجب من نفاء حديثه ونباهة شيوخه ، وإذا بابن الأبار يضع لنا الملعج في أصحاب القاضي أبي علي الصدوق ، وفي مقدمتهم السلفي الذي شاعت الأقذار أن تأخذ عنه الأندلس ، بعد أن حرّمته من أخذه هو عنها ، وتكون له عند أعلامها على مرّ العصور حرمة وافرة ، سواء في السماع منه ، حضوراً أو إجازة أو مناوله .

## بلاد .. وعلما

لم نعلم أن أحدا من العلماء قبل السلفي أو بعده طاف ببلاد كثيرة مثله ، أو أخذ عن علماء كثيرين مثله ، ويكتفى هنا أن نستخرج أهم هذه البلاد وأشهر العلماء والشعراء الذين لقيهم بها في رحلاته ، كما صورها بنفسه في «معجم السفر» ، وكثيرا ما كان يلتقي أحدهم في بلد ثم يلقاه في غيرها فيما بعد ، أو لا يلقاه ، ويعلق السلفي عنهم كثيرا من المسموعات فيقيدها في كتبه التي يجعلها مجموعات أو أجزاء ، يودعها أحيانا عند أحد أصحابه على أمل العودة إليها ، وتشاء المقادير ألا يراها إلى الأبد ، ومع ذلك يشير إلى أما كتبها والأشخاص المودعة عندهم ، كالأجزاء البتدائية والأجزاء السلباسية وغيرها .

وفيما يلي لمحة عاطفة إلى تلك البلاد التي سمع بها ، والرجال الذين عرفهم هناك من مختلف الجنسيات والميول الثقافية التي عرفوا بها ، قبل دخوله مصر والإسكندرية ، لأننا آثرنا أن نخصص لها فصلا خاصا ، عندما يستقر بالديار المصرية فيما بعد .

أصبهان : القرميسيني وأبو الحسن علي بن بادس الكرجي .

الكرج : الكرجي المذكور وأبو محمد شعيب السليمي الصوفي وابن عيسى القيني .

همذان : الجنزي المقرئ وأحمد الغزالي أخو أبي حامد الغزالي ، وقاضي همذان أبو المظفر شيب البروجردى الذى حج مع السلفى سنة ٤٩٨ هـ وكتب عنه السلفى فى « الأجزاء العراقية » ، وأبو شجاع شيويه بن شهردار بن شيويه الديلى . وأبو بكر عبد الله الدندنافى المروزى . وأبو الحسن على النهاوندى الأشرى الأصفهسلار . ورآه السلفى بالاشتراء وقبله ينفذاد وهو رحالة عالم بالمنازل بين الكوفة ومكة ودخل الشام وخراسان وغزنة . وابن سيفه الآملى (١) ، ورآه السلفى ينفذاد أيضاً . والطوسى وعبد الكريم بن دشمتريار الوفراوندى ، وقد رآه ينفذاد سنة ٤٩٩ هـ . وناصر بن مهدى عبد الله المشعلى الطائى .

نهاوند : أبو فرج بن ورده النهاوندى ، وابن علان النهاوندى

واسط : أبو بكر أحمد بن محمد القادسى . وأبو الحسن صدقة بن عمر بن أحمد القصار المغربى . والقاضى أبو الأزهر بن يعقوب الكنائى رئيس واسط . وابن شيران الحنفى المقرئ

شهرستان : أبو الفتح أحمد بن رشيد الأدمى

ساوة : أم أحمد زليخا بنت إلياس الغزنوية الواعظة المحدثه . وأبو محمد العالم الأديب . وست البلد الرومية ، وابن علان الساوى .

آمد : أبو منصور سالم بن المظفر العمري القاضى ، وأبو الحسن على  
بن هبة الله القافى

قزوين : أبو إسحق إبراهيم بن مخير الخبارجى . وكاسول الأهرى الصوفى  
ثم سيقاه السلجوقى رباط الاسكندرية .

الوزن (١) : أبو عبد الله صالح النهاوندى .

نيسابور : الفارسى .

زنجان : أبو العباس التنورى الانصارى .

السوس : أبو طالب أحمد بن سوار الأهوازى .

الزى : الرويانى ، والياضى ، وابن سهلون الرازى (٢) ، وابن شهر آشوب  
النيسابورى ، وأبو الليث المرازى ، وكأربن ناصر الحدادى الفقيه ، ومحمد بن  
إسماعيل البخارى ، والمصارى القزوینى .

الأهواز : أبو محمد راشد المقرئ الاسدأبادى ، والامير أبو نصر رزمآشوب  
ابن زياد الديلى الأهوازى ، وأبو موسى الجوخانى ، وابن على الرازى .

مرند (٣) : أبو بكر صديق بن وندر الازدى المرندى الشاعر ، وأبو  
البركات عبد السلام السلمى الشيرازى ، وقد نزل السلجوقى عنده بها .

زوتد : أبو طاهر على البربادقانى .

---

(١) من مناقات همذان .

(٢) نسبة إلى الزى .

(٣) من مدن أذربيجان .

دربند : الفقيه أبو عمرو عثمان بن شاذى القفعاى ، وعلق عنه السلفى فى أجزاء تركها فى نهر سلماى .

الحسين (١) : أبو الزلال صفوان بن عطاء الماكسى .

بالوان ، (٢) : أبو زرعة عمر الأنصارى .

الدينور : ابن صخر الطوسى . وسيراه فى بغداد وهاوند وجزرة ، وقد صحبه السلفى مع المتصوفة فى قستان وأذربيجان وأرانىة ، وعبد الله بن علان المعدل وقد نزل السلفى عنده بها .

تستر : الحافظ أبو السمح عبد الله التيمى ، وابن رامك التستري .

الدون : أبو نصر ظفر الدونى ، وأخوه أبو محمد الدونى شيخ السلفى ، والإمام أبو محمد عبد الرحمن بن وشته الدونى المتصوف .

سلماى (٣) : أبو محمد عبد الله الطنطنى ، ونعمة الله بن عمر بن أبى الحسن رئيس سلماى ، وكان السلفى يأنس له طول مدة إقامته بها ، وقرأ عليه كثيراً من الأجزاء التى تركها هناك عند سفره منها إلى ديار بكر .

للنصر (٤) : أبو عمرو عثمان البيرونى .

ماردين : أبو الحسن على الأملدى .

(١) على نهر الخابور .

(٢) من أعمال الدينور .

(٣) من أعمال أذربيجان .

(٤) من أعمال خوزستان .

ميفارقين : أبو الحسن علي الفارقي الشروطي ، وكتب عنه السلفي في الأجزاء التي أودعها ثغر آمد مع فوائد ديار بكر .

شروان : ابن علي المفضض ويسميه السلفي بالجيني ، واختار من أجزائه جزءاً أودعه كُتبه التي تركها في سلماص .

وقد جمع المفضض أخبار الحسين بن منصور الحلاج ورواها السلفي ببغداد بعض من سمعها عنه ، وأراد السلفي أن يجتمع بالحلاج شخصياً في شروان ، وسميها منه وطلق عليها « بعلم الثقة في روايته المجاهيل » .

قرميسين : أبو علي الحرائي .

سهرورد : ابن حماد الكاتب المنحوت بالكافي لنفسه .

الولتين : ابن موسى القاضي .

أبهر : ابن أبي حماد الأسدي ، والقاضي عبد الغفار الرازي شيخ الصوفية ، والقاضي نصر السروي ، كتب عنه السلفي في الأجزاء التي جمعها بأذربيجان وأرمينية وشروان وأودعها ثغر سلماص .

عرا بان وقنا (١) : أبو موسى عطية القنوي .

الفاوروت (٢) : ابن سنبر الشيباني، وسيراه السلفي في بغداد .

المافز : علي بن الحسن المذكر .

نصيبين : المنجي .

---

(١) من أعمال سنجان .

(٢) تحت واسط بيع فراسخ .

هسكر مكرم : أبو سعد المبارك الدياجي .

نفر نشوى : المفرج بن أبي عبد الله النشوى .

نفر حانى : المباركة بنت أبي الحسن الحنبلى ، انتخب السلطان من فوائدها  
في الأجزاء التي أودعها مدينة آمد .

الدوق : ابن الحسن الدونق .

النعمانية : المجرجاني المقرئ .

بروج (١) : أبو عبد الله الأسردي .

مزدقان :

مكة : أبو القاسم عبد الله البغدادى . وأبو التمام غالب الانصارى الأندلسي .  
وسيجد له السلطان بالإسكندرية أجراء كثيرة بخطه . والطبرى والهمداني الزكي .  
وقد قرأ عليه أيضاً بالمدينة .

بغداد (٢) : أم الفضل رابعة بنت أبي حليم عبد الله بن إبراهيم الحنبرى .  
وابنها العالم الأديب أبو الفضل محمد . وشت البلد الرومية . والنيسابورى .  
وأبو القاسم المينى وهو من أقران السلطان في السراى وسمع معه ، وسمع معه بمكة  
والكوفة وجزرة وأذربيجان . وشت الأهل بنت علي الباحشى العكبرى وشهرتها  
المحادرة . وأبو المصالى عبد الله الحلوانى المروزى . وأبو الحسن عبد الودود  
النحوى المتغرى . وكرامة بنت أبي بكر الدقاق الحافظ ، وهى عمة سمعت من شيوخ

---

(١) من بلاد الهند .

(٢) راجع أيضاً « الشجرة البغدادية » لسلطان (مخطوط) .

السلفي وعبد الرحمن بن حسان البوصيري ، وسمع السلفي من ابنته مريم بالإسكندرية وهي امرأة كبيرة السن صالحة وكتب السلفي عن أبيها . وأبو زكريا يحيى بن أبي ملول بن عشيرة الزناتي وافترق هو والسلفي إلى أن لقيه بالإسكندرية ودرس بها وتزهد وأفنى مدة إقامته بها ، وله رحلة إلى الحجاز واليمن والعراق . وأبو منصور يلتكن ( ابن البوق ) وهو من أترك مصر ، وكان يحضر على السلفي ببغداد ، وكان تاجراً بعد أن كان جندياً ، وسمع من السلفي بالإسكندرية ، ومات بها سنة ٥١٢ هـ

الكوفة : الخزرجي الجابري . وأبو الحسن علي بن الرطاب المقرئ . وابن قنين المبدئ . وابن الجليل القرشي . وابن علي الحال البرمكي ، ثم لقيه في بغداد . وأبو زكريا يحيى بن محمد الفلالي . وابن حمزة الثقف .  
البحيرة : ابن حفص المعدل ، وابن غفيل العامري .

دمشق : دريع بن كامل الباني . وأبو طاهر شبل الحارثي السراج وقد انقطع للسلفي عند دخوله دمشق وفارقه عندما غادرها سنة ٥١١ هـ . وأبو إبراهيم شعيب الواغري الفرغاني . وأبو حفص عمر بن هرون الحنظلي . والتقياً معا ببغداد . وأبو المكارم عبدالله الشيباني قاضي بعلبك . وأبو محمد عبدالله بن النصار الحيمري . وأبو محمد بن كالويه المروزي . وأبو بكر عبدالله بن ثنية المقرئ . وابن مسرخر الكازروني . وأبو الحسن علي الكاتب القصري . وأبو طالب علي بن أبي عقيل الصوري . وابن إبراهيم الفروشي الخشوعي . والطائي . وابن هبة الله الموصلی الراعظ الشهير بالحنيك . وأبو محمد الديلمي المقرئ . وأبو القاسم النازي بن عمار ابن عبد الله القدسي . وأبو البركات كاتب السلمي الجاني الحنفي . وقد دخل أصحابان وسمع بها وكتب عنه السلفي عندما دخلها .

خلاط : أبو الحسن علي الآمدي النحوي الفقيه :

الرحبة<sup>(١)</sup> : ابن سهل الغزنوي الذي تفقه مع الساني ببغداد ، وكتب إليه الساني قصيدة يذكره فيها بما كان بينهما من ود أيام طلب العلم ببغداد .

تدمر : أبو المسيب وهيب بن مَرْف بن مهيوف التيمي « وإنما كتبت عنه لغرابة اسمه والموضع كذلك » (٢) .

النخلة : وصية بن عبد الله البكري . سمع الساني منه شعره ، فقيده ولكنه سرق منه وهو في ( منى ) مع ملايسه ولم يلتقيا .

صور : أبو محمد عبد الجليل بن المسلم الحيني المشكك الأشعري وكان يسكن تنيس ، وكان يحضر عند الساني ، وهو في صور ، سمع الحديث .

—————

(١) وهي رحبة مالك بن طوق بالشام .

(٢) معجم السفر : الساني .



( ٣ )

## السلفي .. على الطبيعة

« وكان حافظ الحديث » ، وعالم به ،

سافر في طلب الكثير . »

— ابن الأثير —



## أقرب المسالك

لم تعد دراسة الشخصيات العلمية مجرد نبش للقبور ، واستخراج توابيت الموتى وعرضها في دواليب من زجاج يقسلي برؤيتها الأحياء ، وما كان ذلك ليكون إحياء لآباجد السابقين بحال من الأحوال ، وليس فيه مطلقا أى أثر من الوفاء لذكرياتهم ، من حيث نريد تمجيدهم والاحتفاء بأعمالهم ، التي أثروا بها التراث القومى ، وهو الشغل الشاغل لكل أمة عريقة .

ولأنما تكمل الدراسة حقا وتفى بالمطلوب ، إذا أمكننا أن نعتبر هذه الأعمال — بعد طول عهدنا بها — كائنات حيا لا يزال ينبض في موقعه الصحيح من المكان والزمان ، بين الأرض والسماء ، وهذا هو البعث الحق ، الذى به نعيد إلى الشخصية المدروسة عناصر وجودها في بيتها الأولى ، لمعايشة أجدانها من جديد : تأخذ منها وتعطي ، تؤثر فيها وتتأثر بها ، تتحرك في محيط أبعادها ، كيلا تبقى جملة محنطة في متحف يزار .

نحن إذن بصدد عملية (خلق) لا (تأليف) ، وشتان بينهما ، نحن نحدد تاريخ الولادة والوفاة ، ونحدد كل طاقاتها للبحث عن الفترة المحصورة بينهما ، من خلال المراجع التي بين أيدينا . ونحاول تقويم المعوج وتصحيح الخطأ ، في حدود خبرة وافية بمجريات الحياة عبر القرون ، ومن غير افتئات على منطق المعقول ، ونعنى أن الدارس المخلص المؤمن بعلم (الانثروپولوجيا) هو الذى لا يمتنع بمعطيات المادة التاريخية ، وإنما يسبغ عليها الحياة التي كانت تحياها في عصرها وعلى أرضها ، أى يرد إليها أنفاسها من جديد ، ويتابعها في حركاتها ومسكناتها . من المهد إلى الحد ، متمشيا مع كافة الروافد التي أسهمت في خلق مجرى

حياتها العلمية ، بالسلب أو بالإيجاب ، ذلك أن الإنسان جزء من التاريخ ، لا ينفصل عنه ، ولا يمكن أن يستغنى عنه ، أو يخرج عن نطاقه ، ومن هذا المنطلق ناهد القارىء على أن نعرض لشخصية السلفى . . على الطبيعة . . ومع التاريخ خطوة خطوة . . وعلى الرغم من صعوبة هذا النهج ، إلا أنه أقرب المسالك إلى الهدف .

وقبل أن نقوم بإجراء مسح شامل للعالم الإسلامى فى العصر الذى ظهر فيه الحافظ السلفى ، نرى أن من الضرورى اقتباس نظام والخريطة المضئمة ، فى تحقيق المنهج الذى أئرمنا به أنفسنا أمام القارىء . وكلنا يعلم أن كل مدينة كبرى فى العالم الحديث ، تضع فى ميادينها ومخطاتها التى فى أنفاقها خرائط مضئمة كدليل أو مرشد لكل من يريد الوصول إلى مكان لا يعرف كيف يتجه إليه ، فما عليه إلا أن يضبط على زر يحمل اسم المكان المقصود فما تلبث الخريطة أن تضاء بالكهرباء ، فىرى عليها خط السير ، والمواصلة التى يسلكها وأسماء المحطات التى سير بها ، ونحن بدورنا سنسلك مع القارىء أسلوب الخريطة المضئمة ، لتعرف على أبعاد الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية ، كلما ضغطنا على أزرار أصبهان وبنداد ودمشق وأخيرا الإسكندرية ، فلنبدا إذن بالمسح الشامل العاجل لنحصل على دقائق وتفاصيل الخريطة المضئمة التى هى الوسيلة الوحيدة للتعرف على مقومات الثقافة السلفية ، والعناصر الخفية التى تكن وراء عطفاته الفكرية ، وإلى أى مدى من الأصالة كانت مكاتبة فى تراثنا الإسلامى ، بما أضافه إليه من جديد ، ظل الانضاع به بارزا وملحوظا فى مختلف الأجيال التى جاءت بعده ، على أوسع نطاق فى العالم الإسلامى .

وسبق أن عرفنا أن سنة ٤٧٠ هـ كانت سنة ميلاد السلفى ، وهى ساعة الصفر بالةة العسكرية . للاطلاق عبر المكان والزمان ، حتى توفى بالإسكندرية سنة ٥٧٦ هـ .

ولكن الشخصية التي بين أيدينا ، لا يمكن أن تتخذ سنة مولدها بداية البحث ، ولا سنة الوفاة نهاية له ، فهناك عوامل شتى كان لها تأثيرها في الجنين قبل أن يولد ، لا بسنة ولا بسنوات ، ولا بخمس ولا عشرات ، وبالتأمل في تتابع الأحداث يتبين لنا جليا أن الربع الأخير من القرن الخامس ، قد انحدرت إليه مؤثرات ترجع إلى الربع الأول من القرن الرابع ، وعلى ذلك ، وفي ضوء ذلك ، سنبدأ المسح التاريخي ، الذي سنجعله عن عمد شاملا وعاجلا .

## من المحيط إلى المحيط

عندما بزغ نور الإسلام على الأرض من الجزيرة العربية ، بدأت أكبر دولتين في العالم كله تصدع أركانها وهما : الفرس والروم ، واتصرت الإسلام بمبادئ السلام ، والجهاد في سبيله ، وعلت راياته التي سايرت مواكب فتوحاته ، بعد أن لقي محمد عليه السلام ربه وهو عنه راض ، وسار الخلفاء الراشدون في الأمصار على هذه الرسالة الخالدة التي لا يملكون لها بديلا أو عنها تحويلا ، وجاءت دول الخلافة ، فنقلت معها عاصمة الإسلام من المدينة إلى الكوفة إلى دمشق إلى بغداد إلى القاهرة ، تباعا مع بنى أمية والعباسيين ثم الفاطميين ، فالأيوبيين ، وعدم سنوقف بالبحث ، لأن السلفي عاش في أكناف الدولتين الفاطمية والأيوبيية ، وهما الدولتان الوارثتان للدولة العباسية التي كانت تمتد من المحيط إلى المحيط .

كانت الدولة العباسية - ومذهبها السنة الشريفة - قد بسطت نفوذها من بغداد إلى المشرق والمغرب ، ومنها يمتد حكم الخليفة العباسي على الولاة في كل مكان ، حاملين شعار الدولة ، وعلى الرغم من اتساع رقعة الخلافة فإن كل مصر من الأمصار كان يتأثر بكل ما يجرى سحوله من التيارات السياسية التي كانت تحيط

بكل نوايع الدولة تحت راية الحكم، وتجمع رعاياها تحت راية العلم، وأصبح المؤرخون حينئذ يذكرون سنة من السنين، لا يتحدثون عن بلد مستقل، أو عالم منقطع فيه عما وراءه، بل تجمع هذه السنة أخبار الخليفة في العاصمة وأحداثها وما جد في غيرها، ووفيات الأعلام بها وبغيرها في آن واحد، كما نلاحظ ذلك في متجددات السنين عند ابن الأثير، في «الكامل» وابن كثير في «البداية والنهاية»، وابن واصل في «مفرج الكروب»، وابن تقي بردي في «النجوم الزاهرة»، وأبي شامة في «الروضتين»، وغيرهم من بعدهم، فثلا يذكر ابن تقي بردي سنة ما فيقول: السنة الأربعون من خلافة المستنصر الفاطمي بالقاهرة، ويحطوف بكل أحوال البلاد والمباد في هذه السنة في جميع أرجاء العالم الإسلامي.

ويذب الضعف شيئاً فشيئاً في خلافة بني العباس، ويستقل كل وال بولايته، وقد يترسع على حساب جيرانه الضعاف، فتكون إمارات في الموصل وأنطاكية والرها وطب ودمشق والقدس، من غير حدود فاصلة بينها.

ومن أقصى المغرب الإسلامي يمتد تيار مضاد جارف يأتي في طريقه على كل نفوذ للعباسيين، وتبرز على وجه التاريخ دولة جديدة في مصر، وتؤسس بها (القاهرة) عاصمة للعالم الإسلامي تتحدى بغداد، وتتناطح الخلافتان، ويتصارع المذهبان: خلافة لا تنتسب إلى رجل أو جماعة، وإنما إلى سيرة جليلة، لها مكانتها من الرسالة المحمدية، وهي زوج الإمام على آخر الخلفاء الراشدين، وأم شهداء كربلاء، وهل هناك شرف أسنى من أن تنتسب (الدولة الفاطمية) إلى (فاطمة الزهراء) بنت رسول الله محمد عليه السلام ومن اسمها الشريف أشق اسم أكبر جامعة لتدريس علوم الإسلام، على المذهب الشيعي وهو (الجامع الأزهر).

ويتوالى الخلفاء الفاطميون — أو المصريون كما كانوا يسمونهم أحياناً — وتنتشر دعوتهم ، ويشتد أزر دعائهم ، وتتولد أركان ولايتهم ، ومن فوق المآذن ، تسمع إضافة لم يعرفها المسلمون من قبل للأذان ، وهى ( حى على خير العمل ) ، وينقطع الدعاء من فوق المنابر . لخلفاء بنى العباس ، فور قدوم المعز لدين الله الفاطمى سنة ٣٤٢ هـ ، وتنصيبه خليفة بعد تأسيس القاهرة .

ومن هذا التاريخ وبغداد لاتصبح ولا تسمى إلا على فوهة بركان ، والناس فى المشرق والمغرب ضحايا الخلاف المذهبى بين التسنن والتشييع ، ولا يكاد يمر يوم على بغداد العباسية السنية إلا وتجتاحها الحشرات وحالات الساب والنهب ، والمجاعات والصراخ ، والزلازل والطوفانات وتخريب القصور والمدارس ، والفتك والفقر ، وتفتح أبواب الرشوة والنفاق على مصاريحها أمام المغامرین اللاعبين بالنار ، عشاق السلطة والصولجان .

ومن ( الأحصاء ) — على الخليج العربى — يتحرك القرامطة ، وينضم إلى بدعتهم عرب من الشام ، أخذوا يزحفون إلى مصر ويعيثون فيها فساداً ، ويردم المعز لدين الله على أعقابهم ويمنعهم الأصفر الزنان ، ليأمن شرورهم وغوائلهم ، وهم رحبون بما قبلظفروا به ، ولكن النهب لم يلبث أن انطلقاً بريقه ، وتبين لهم أنه خدعهم بأموال زائفة ؛ وقد اشتهر المغاربة بطلاء المعادن بما يشبه الذهب الذى يطمع فيه كل مغامر ، ولم يكف المعز بذلك ، بل أرسل فى إثرهم عشرة آلاف فارس (استردوا دمشق من أيديهم .

وفى كلمة واحدة : لم يكد ينقضى القرن الرابع حتى كانت الدولة الفاطمية قد فرضت إرادتها على دمشق وحلب ومكة والمدينة والموصل وما وراء النهرين ، بينما تنحصر الموجة العباسية عن بغداد ، تحت ضربات تفتتد وتشتد على امتداد مائة سنة أخرى ، برغ فى الثلث الأخير منها نجم أحمد السلفى بأصبهان .

## ٠٠ وأطل القرن الخامس

وأطل القرن الخامس بالفتن والمآسى التي اشتد أوارها واضطربت مراجلها في بغداد ، ولم تقف المجازر المتبادلة بين السنة والثبيعة عند حد ، وبالأموال والهدايا استطاع القواطم أن يكسبوا من العراق إلى صفوفهم صنائع يدعون بدعوتهم ، وساعدوا على ذلك بقاء الخليفة المستنصر بالله الفاطمى ، فى الخلافة ستين سنة ، ثم نظهر دولة السلاجقة سنة ٤٢٩ ، ويستولى منهم طغرل بك على جرجان وطبرستان وخوارزم ودهستان وكرمان وقزوین وبلاد الجبل بما فيها أصهان ، وينزع حلب من المصريين ، ثم يستردونها منه ، وفى سنة ٤٥٤ يشق ابن باديس صاحب المغرب عصا الطاعة على القواطم ويخطب للعباسيين ، وتدين بلاد المغرب بالولاء لبغداد ، مع ما تمناه من بلایا ورزايا ، وتتعضى دولة بنى بويه ، بعد ١١٠ سنة بينا يبعث المستنصر بالله جيشاً من مصر لتأديب الخارجين عليه بالمغرب ، كما يقطع أهل الحجاز — من فوق المنابر — دعاءهم للخليفة الفاطمى سنة ٤٦٢ ، ويعيدونها للعباسيين .

ولما أحس المستنصر بانحسار نفوذه فى الأمصار استدعى بدر الجمالى الأرمنى من الشام وولاه الوزارة ولقبه أمير الجيوش ، ويشهد هذا القرن مغامرة البساسيرى — التركى الأصل — الذى انشق على العباسيين ، واحتدم الصراع بين الترك والدلم ، فاستعان البساسيرى بالخليفة المستنصر بالله الفاطمى ، فنحه ولاية الرجة ، وها به العرب والعجم جميعاً ، واستنجد الخليفة العباسى بالسلاجقة ، لنفس مؤامرة البساسيرى ، فدخل طغرل بك بغداد ، وتزوج من أخت الخليفة ، فتفانى فى خدمته وأظهر براعة فى طرد البساسيرى منها ، بعد أن دخلها سنة ٥٠٠هـ ، رافهاً أعلام الرافضة الفاطميين المصريين ، وفى هذا يقول الذهبى :

وكان القبط الشديد بديار مصر ، والوباء المفرط ، وكانت العراق تموج بالفتن والخوف والنهب والسلب من عسكر طغرل بك ومن الاعراب ومن البساسيري ، وخطب بالكوفة وواسط والموصل للمستنصر المصري ، وفرحت الرافضة بذلك ، واستفحل أمر البساسيري ، وجاءت الخلع والتقليد من مصر له ولقرئش صاحب الموصل ، ولدليس صاحب القنرات وأقاموا شعار الرفض (أى الشيعة) <sup>(١)</sup>

وبعد أن ظلت سطوة الفاطميين قائمة في الشام زهاء ١٦٠ سنة ، خرجت البلاد الشامية من أيديهم سنة ٤٦٨ هـ ، بينما كان صاحب حلب قد اتخذ موقف الحياد من المعسكرين المصري والعباسي ، لأن حلب عرضة لأي خطر من هنا أو من هناك ، وأوقف الملك الخوارزمي الدماء الشيعي (حتى على خير العمل) ، وأعاد الخطبة للمقتدى بالله الخليفة العباسي ، وأبطل ما كان مكتوباً - على عهد الفاطميين - من لعن الصحابة على جدران المساجد ، واشتد أزر الخوارزمي ، عندما استعان بالسلاجقة في محو آثار الشيعة سنة ٤٧١ هـ ، حيث كان التاريخ قد جمحل مولد الخافظ السلفي بأصبهان ، وهي يومئذ في قبضة السلاجقة ، وبها من علماء الإسلام المشاهير عدد كبير ، لهم مؤلفاتهم في اللغة والحديث والفقه والبلديات ، وكلهم توفي إلى رحمة الله ، بعد عمر طويل على نحو ظاهر ، ولعل السافي - وهو يومئذ طفل صغير - لم يدرك أحداً منهم كالتيسابوري وابن منده وابن ماكولا .

في هذا النضج المتلاحم من الصراع بين الترك والدلم ، وبين السنة والشيعة ، وبين الأشاعرة والمعتزلة ، تظهر الدولة الخوارزمية في خراسان سنة ٤٩٠ هـ ، وبعد سنتين يطمع الصليبيون الأوروبيون في العالم الإسلامي فيغزون (بيت المقدس) ،

وكان السلفي قد خرج من أصبهان إلى بغداد سنة ٤٣٩ هـ ، وتكون أصبهان - مسقط رأسه - مسرحا لحوادث دامية بين السلطان بركياروق وأخيه محمد لعدة سنوات ، ويكون الفتك بالشيعة الذين بها على أشده ، بينما الغزو الإفريقي يجتاح الشام بلدا بلدا ، ومع ذلك يواصل السلفي رحلته من دمشق إلى صور إلى الإسكندرية .

إذ ذاك كانت الشام في قبضة الدولة النورية ، دولة نور الدين محمود زنكي ، ومذهبها سني ، وشاءت الأقدار أن يتقدم الشاب الكردي صلاح الدين هذه الدولة ، وسيكون على يديه جمع شمل العالم الإسلامي المبعثر الأشلاء ، وتكون الوحدة بين مصر والشام ، سبيل الجهاد لتحرير الأرض المقدسة من براثن الصليبيين ، في ظل دولة مجاهدة سنية معتدلة هي الدولة الأيوبية التي أسسها صلاح الدين الأيوبي ، وقد عاش السلفي في عصره الذهبي بالإسكندرية ، ونال تقديره بها ، حتى لقي ربه سنة ٥٧٦ هـ .

إذن كان تيار القرن الخامس عنيفا ، لأنه بلغ أقصى مدى العنف الذي بدأ مع القرن الذي قبله ، ثم كان القرن السادس تصحيحا للأخطاء الجسماء التي ترسبت في أعماق البيئة التي نشأ فيها السلفي ، حيث قام صلاح الدين برفع أعلام السنة ، ومحو آثار الشيعة ، بوقاة آخر عنقود من خلفاتها وهو الماضد بالله سنة ٥٦٧ هـ ، وقيام الدولة الأيوبية ، بينما بقيت الدولة العباسية على حالها ، وليس لها غير الاسم ، على الرغم من انقطاع الخطبة لخلفائها بمصر ، في الفترة الطويلة ما بين سنة ٣٥٨ وسنة ٥٦٧ هـ وإلى أن قضى على التار يغزو بغداد سنة ٦٥٦ هـ ، بعد ٥٢٤ سنة من الزمان ، وعاصرتها الدولة الفاطمية من ٢٩٧ طوال ثلثمائة سنة ، وانقضت خلالها رايات القواطم ، المصريين في الأندلس والمغرب ومصر والشام ومكة والمدينة وبغداد والموصل والكوفة والبصرة وأصبهان وخراسان .

ومع هذا النفوذ الواسع في الزمان والمكان ، نالت من التجريح والتشنيع ما لم تنله دولة غيرها ، ولم تكن مظاهر حضارتها في القصور والمنشآت والمعاهد والمساجد لتحول دون انقراضها ، فاقطع خصوصها - من أهل السنة والجماعة والسلف الصالح والأشاعرة - الصفائح التي كانوا قد ثبتوها على باب الكعبة (١) ، تحمل اسم الخليفة الفاطمي ، وحل محلها اسم الخليفة العباسي من جديد .

ثم انقضت تلك السنون وأهلها . كأنها وكأنهم أحلام

وتصدى ابن واصل لنقد الدولة الفاطمية نقداً لا ذعاً (٢) ، وقال إنهم أدياء ، لاحظ لهم في النسب الهاشمي ، وأن دعوتهم باطنية إسماعيلية رافضة ، ومنهم انتشر في الآفاق دعاة الملاحدة الباطنية ، وأن عقيدتهم في الإمامة - بعد النبي عليه السلام - لملي بن أبي طالب ، ثم الحسن والحسين ، وغالفوا الزيدية والاثني عشرية ، حتى آلت الإمامة إلى المعز لدين الله ، مؤسس الدولة الفاطمية أو المصرية الشيعية ، ومقرها القاهرة ، وقال فيهم أحد الشعراء :

زنادقة شيعية باطنية مجوس وما في الصالحين لهم أصل

وكذلك ابن تغري بردي (٣) الذي سلق دولة الفواطم بالسنة حنّاد ، فنسبهم إلى اليهود والمجوس والملاحدة والباطنية والعبيدية ، وسميت العبيدية لأن والده عبيد من نسل القداح المجوسي الملاحد ، وقيل لأنه كان يهودياً ، ودامت دولتهم من زمن المهدي بالمغرب من سنة ٢٩٩ حتى سنة ٥٦٧ هـ .

(١) البداية والنهاية : ابن كثير .

(٢) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب : ابن واصل .

(٣) التهجيم الزاهرة : ابن تغري بردي .

ولأن قد آن الأوان لهذه المراحل أن يبدأ أوارها ، وتنظف نيرانها ، وكيف يكون ذلك ، والصليبيون قد احتلوا الأراضى المقدسة بالشام ، وطمعوا في مصر ، وأمعنوا في البلاد سلبا ونهباً ، وقتلا وتشريدا ، فهضمت (الدولة النورية) بالشام لتتحمل مسئولياتها التاريخية ، وتصد باسم الإسلام غزوات القراصنة الأوروبيين للشرق ، ويكون السلتي قد استقر في الإسكندرية أكبر ثغور الشرق ، ومقل الفكر الإسلامى في ذلك الوقت ، وملتقى المشارة والمناخية ، ولأن فقد عاش الرجل في كنف الدولتين الكبيرتين الفاطمية والأيوبيه ، وشهد لفضال صلاح الدين الأيوبي في بدايته ، عندما وحد بين مصر والشام ، كعمل طليعى لسحق غارات الصليبيين ، ونسف الخلافات المذهبية بين المسلمين .

## أضواء على أصهبان

والآن ننقل مع السلتي في كل مكان حل به ، ولننضبط على أزرار الخريطة المضيئة ، ابتداء من أصهبان وانتهاء بالإسكندرية ، وسنرى فيما سنرى أهمية المناخ الذى نشأت فيه مدارك هذا الفتي ونمت ، سواء من عوامل الطبيعة ، أو تقلبات السياسة ، أو معالم الثقافة . وهانحن معه من بداية الطريق ، من أصهبان وستكشف لنا الاضواء ما كان غافيا علينا من حياته فيما بين ٤٧٠ و ٤٩٣ هـ ، والروافد الثقافية التى أمنت بحره الزخان بمواجهه الفكرية التى بزجها كل عالم من قبله ومن بعده .

فتح السلتي عينيه ، فإذا به من مواليد جروا آن وهى محلة كبيرة من أصهبان التى كانت يومئذ تحت حكم ملك السلاجقة السلطان ملكشاه ، ووزيره نظام الملك قوام الدين الطوسي ، وقد نالت أصهبان وبنداد من عنايتهما ورعايتهما الكثير ، قبل

أن يولد السلفي ، أما ببغداد فقد أنشأ بها نظام الملك مدرسة كبرى سميت باسمه ( النظامية ) ، وذلك سنة ٤٥٧ هـ ، وبدأت الدراسة بها سنة ٤٥٩ هـ ، واستدعى للتدريس بها الإمام أبا إسحق الشيرازي ، وكان من عادة هذا الوزير أن يستدعى معلميا من فارس وغيرها ، مثل الدبوسي والغزالي ، ولم يكتف بإنشاء ( المدرسة النظامية ) ببغداد فأنشأ بنفس الاسم مدرسة أخرى في ( نيسابور ) أي في بعض الأمصار التابعة للدولة السلجوقية ، التي اتسعت — بعد خروج ملكشاه سنة ٤٨٥ هـ من أصفهان لغزو بغداد ، وخطع المقتدى بالله العباسي من الخلافة — فشملت ماوراء النهر وماوراء نهر جيحون ، وبلاد الروم والجزيرة والشام والقسطنطينية وبلاد الخزر والهند ، ومات ملكشاه مسموما ، فحملوا تابوته إلى أصفهان حيث كان مدفنه ، وخلفه ابنه الأكبر : ركن الدولة بركياروق ، وما لبث وزيره نظام الملك أن لحق به ، إذ امتدت إليه يد غلام من الديلم بمنجر غادر وهو في طريقه إلى بغداد ، بعد أن قضى في وزارة السلاجقة نحو أربعين عاما ، وكان شغوفا بسباح الحديث ، على الهمة ، وافر العقل ، عجا للمباه والصلحاء .

كان ذلك سنة ٤٨٥ هـ ، وهو حادث أليم هز أرجاء أصفهان وبغداد ، وتأثر به الصغار والكبار ، العلباء والتململون على السواء ، وأدركه السلفي ووعاه ، قال الراوي عن السلفي ، وهو الحافظ عبد الغني : سمعته يقول : « أنا أذكر قتل نظام الملك في سنة ٤٨٥ هـ وكان عمري نحو عشرين سنة (١) . » ويقال إنه كان ابن عشر سنين إذ ذاك (٢) ، ومهما يكن من أمر الخلاف هنا فالأرجح أن السلفي قد ولد سنة ٤٧٠ هـ ، والثابت عن المؤرخين الثقات أن نظام الملك قد مات شهيدا في هذا

(١) الطبقات الكبرى : السبكي .

(٢) البداية والنهاية : ابن كثير .

الحادث سنة ١٨٥٤ ، والمهم أن السلفي قد أدرك هذا المصائب الفادح ، الذي جرى لوزير خطير ، بكى عليه العلماء قبل غيرهم واضطربت لمصره أحوال العباد في أصبهان وبغداد جميعا .

وتولى الوزارة من بعده تاج الملك أبو الفنائم ، فسار على نهج نظام الملك ، وأنشأ مدرسة باسمه هي ( المدرسة التاجية ) لتخليد ذكره ، كما خلدت ( المدرسة النظامية ) ذكرى نظام الملك ، وبهما علا صيت بغداد ويسابور .

أما أصبهان فكانت يومئذ مركز إشعاع ثقافي ، ينبض بالحياة والصراع الفكري العنيف ، فيها أهل السنة والمعتزلة والأشاعرة والإسماعيلية الزارية ، فيها دعاة للعباسيين المراقبين ودعاة للفاطميين المصريين : هؤلاء شيمية باطنية ، وأولئك سنية معتدلون ، وكذلك منهم غلاة الحنابلة وغلاة الرافضة ، ومعهم جميعا يهود ، يحرصون عند اللزوم ، ليعيشوا في جو الفتن التي لا بقاء لهم إلا في مناخها .

وإذا سلطنا بعض الأضواء على إحدى الحقائق التاريخية الواردة ، تبين لنا أن الوزير نظام الملك كان يعقد مجالس العلماء في أصبهان ، ودخل عليه في أحد مجالسه ذات يوم شيخ المعتزلة عيد السلام القزويني (١) ، وعنده بعض العلماء ، فقال له : أيها الصدر قد اجتمع عندك رموس أهل النار ، فقال له نظام الملك : وكيف كان ذلك ؟ فقال : أنا معتزلي ، وهذا مشبه ، وذلك أشعري ، وبعضنا يكفر بعضا . فضحك الوزير .

---

(١) رحل إلى مصر وأقام بها ٤٠ سنة ومات بأصبهان سنة ٤٨٨ هـ .

ولقد رأينا فيما كتبه ابن ميسر في « تاريخ مصر » ، كيف أن زعيم الإسماعيلية الحسن الصباح قد رحل إلى المستنصر بالله بالقاهرة ، ودرس المذهب الشيعي ، ووقف على أسرار الباطنية (١) ، وعاد إلى أصبهان ، فنشر بها المذهب المعروف بالزارية ، ثم نشره في حلب وبغداد وخوزستان ، كما أن السلاجقة قد دانوا بالولاء للدولة الفاطمية ، ورفضوا الألوية المصرية ونادوا بشعار ( حتى على خير العمل ) سنة ٤٨٩ هـ ، وما لبثوا سنة ٤٩٤ هـ أن نكلوا بالباطنية في أصبهان ، وصادروا أموالهم ، وصارت أصبهان سنة ٤٩٦ هـ مسرح الفتنة بين بركياروق وأخيه محمد ، بينما الصليبيون يستولون على ( بيت المقدس ) الذي كان بأيدي المسلمين خمسة قرون طوال ، منذ العام السادس للهجرة ، ويحاول الخليفة الفاطمي أن يصدحهم . فبيعت إليهم بجيش قوامه عشرون ألفا ، فارتد مهزوما ، وتثور الحمية في النفوس ، مما أذاعه الثمراء في كل مكان ، للحث على استرداد مقدسات الإسلام في الشام .

إذن فقد جاوز السلفي - وهو لا يزال في أصبهان - العشرين من عمره ، وأصبح يتنفس في جو خائق ، من الصعب على موهوب ناضج مثله أن يعيش فيه ، وكيف يبقى هو ، بينما سبقه إلى الهجرة من بلده من هم أكبر منه سنا ، وأكثر علما وإمامة .

الملوك والوزراء يتهاونون صرعى بالسم والغدر ، مع ما لهم من الآيادي البيضاء على العلم والمال . لا يدرون أن يكون الولاء : لخليفة القاهرة الفاطمي أم لخليفة بغداد العباسي أم لملك أصبهان السلجوقي ؟ . المذاهب الفكرية مزقت الشمل ، وخطفت التعصب الأعلى باسم الدين ، والدين من كل هذه المذاهب

---

(١) اقرأ للامام الزنالي كتاب « فضائح الباطنية » حققه وقدم له الدكتور

الظاهرة والباطنة براه... والإفرنج يطمعون فى خيرات بلاد الإسلام ، لجأوا  
بغلبهم ورجلهم ، ليفرسوا باسم الصليبية الأوروبية دولة لهم فى قلب العالم الإسلامى  
بأفريقية وآسيا ، بعد أن أدركوا هذه الخططة ، فآغثتموها .

كيف إذن يطيب المقام بأصبهان البلد الطيب المغمور بالخيرات ، المشهور  
بالإيجاد ، والأعلام والأئمة . ١ .

لقد استوعب السلفى الفتى هذه الفترة المبكرة من حياته على صعيد أصبهان ،  
واختزن الحشرات - وهو فى مقتبل العمر - على مصير بلده وأمه ، واجترأ  
الأوجاع صباح مساء ، من جراء ما ظل يعلق بقلبه وعقله من منازعات  
وخصومات .

أما السلفى فقد عاش من غير شك فى الصورة المضطربة ، ولم تجرفه التيارات  
العنيفة إلى الجانب المظلم من تاريخ أصبهان ، الذى هائشه وعاصره ، فى تلك  
السنوات القلائل من صباه الأول ، فهل كان السلفى إذ ذاك فى صف المعارضة ؟  
أم كان هناك فى صف الحيداد السلبى ؟ ليكون بمن يؤثرون العافية ، ويثفرون  
على المآسى ولا يحركون ساكننا ؟ لسنا ندعى هذا الرغم ، وإنما الواقع أن الخير  
فى أمة محمد عليه السلام إل يوم الدين ، بفعل الدعوة الداعية إلى الحكمة والموعظة  
الحسنة ، فقد كان بأصبهان رصيد ضخم من (الإسلام الصحيح) البعيد عن الفتنة  
والشغب ، ومن هذا الرصيد استمد السلفى مسلكه المهادى المستأنى فى كل ما أخذ  
وأعطى ، ومادامت البداية سليمة على هذا النحو ، فإن العواقب على الرغم من  
الحزن والخطوب ستكون أسلم وأهدى سبيلا .

أدرك السلفى بعض العلماء من (بيت ابن منته) المشهورين بأصبهان ،  
وهم الذين توارثوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعلوم الحديث ،

وكانت لهم الإمامة والصدارة بأصبهان ، ومنهم من اشتهر بالرحلة إلى الآفاق ،  
كالخافظ المحدث عبد الوهاب بن محمد بن إسحق .

ولإى جانب هؤلاء ، أدرك السلفى ببلده — وهو يافع — بعض الجسلة من  
الاصبهايين ، عرفوا بالتبوغ فى علوم اللغة وآدابها ، والفقه والتفسير والحديث  
وتاريخ المدن وعلى رأسهم مسند العصر ورئيس أصبهان ومحدثها الإمام أبو عبد الله  
الثقفى الذى كان أول سماع للسلفى على يديه سنة ٤٨٨ هـ ، كما سمع من السمسار  
والجوهرى والمدينى والحنفى والكركشى والتبائى من ذكرهم فى معجم شيوخه  
الاصبهايين .

ويجب ألا ننسى أن السلفى كان شاهى المذهب ، وبالاضامه إلى صفوف  
الشافعية ، نجأ ونجوا معه من غلاة الحنابلة فى بلده ، كما أنه ورث عن أبيه قبل  
رحيله عنه إلى بغداد ، الفكر المعتدل ، والسلوك المترن ، فقد روى أبو الحجاج  
البلى<sup>(١)</sup> عن أستاذه السلفى بالإسكندرية أنه قال : سمعت أبى يقول بمكة ، سمعت  
معمر بن أحمد العبدى بأصبهان يقول عن مشايخ المتقدمين : « الصوفى إذا تمذهب ،  
يصفع فقاه حتى يذهب » .

## أضواء على بغداد

نحن الآن مع السلفي على أبواب بغداد ، بعد أن قضى بعض أيام من رمضان سنة ١٩٣٤م في السفر إليها من بلده أصبهان ، يطلب علم الحديث ، فرحل منها حافيا حتى تورمت منه القدمان في الطريق ، وقد نسي ما أصابه ، حتى بلغ بغداد فقصده على التوشينغا محدثا بغداديا سمع به من غير شك قبل الرحيل ، وهو نصر بن البطر ، وساقته الأقدار إلى بيته ، فجلس إليه ، وسرعان ما غاب أمل السلفي فيه كما رأينا ، إذ وجد منه الغلظة والفظافة ، عندما سمع منه وهو ينطق الراء غيتا ، وأسمعه السلفي من محنوظاته ، وهو على ثقة بما يحفظ ، كثرة وإتقاناً ، ومع ذلك لم يعبأ به فهو كما وصفه السلفي « رجل عسر » ، وبات ليلته شاكيا يا كيا : يشكو الدمال التي أصابت قدميه من طول المشي ، ويبيكي من خيبة أمه الذي كان قد عقده على أول رحلة له إلى بغداد ، ليتلقى العلم بها على أيدي أعلامها الأفاضل ، وربما ساءل نفسه : هل سيطلع عليه النهار ، وهو على هذا الحال من اليأس ؟ وهل البغاددة جميعا من هذا الطراز ؟ وهل من الخير له أن يعجل بالعودة إلى بلده ، ليجد من توجيهات والده ما يشفي غليله ؟

غير أن السلفي كان يحمل بين جنبيه همة عالية كريمة بأن تزج عن صدره كل هم أصابه ، فهو طموح النفس ، فروسى للفريزة والثرية ، فليحتمل ، وليض حتى النهاية من الشوط ، وما إن شق أذان الفجر سمعه ، بعد ليل طال به أو قصر ، حتى ترددت في أفق بغداد مع الصبح عبارات المؤذنين ، وقد اختلط بعضها ببعض ، ومن فوق المساذن السامقة يحاول كل مؤذن أن يصل بصوته إلى السماء السابعة : هذا سني وذاك شيعي ، وخرج السلفي إلى الصلاة في أقرب جامع ، وهو في حيرة من أمره ، وسرعان ما تذكر أنه شافعي أي من أهل السنة ، فليختر الطريق الذي

يوصله إلى الصلاة مع أهل السنة ، والبعد عن الشيعة من أول يوم .

وكان السلفي قد قرر فيما بينه وبين نفسه أن يكون اسمه من الآن — طالما هو في بغداد — أحمد بن محمد يعرف بسلفه (١) . . . وهذا عرف بين كل من اختلط بهم خلال سنوات ، وصلى ( سلفة ) مع المصايين ، واندس بين أفراد الحلقة ، وسمع الدرس ، وهو يتأمل في وجوه المستمعين من شباب وشيوخ ، وينقل عيظه منهم إلى الشيخ الوقور ، الذي يلقي درسه بكل بشاشة ، على غير ما وجدته بالأمس في الشيخ نصر ، ولم يشأ أن يتعرف بأحد ، إيماناً في الحذر والحيلة ، إذ لا يزال غريب الوجه واليد واللسان .

واندج السلفي في بغداد اندماجاً كلياً ، وبسرعة فائقة ، فاستوعب جوها السياسي ، وتعرف على معالم حضارتها وثقافتها ، وتغير من بين علمائها من راح يسمع منه ويلتقي عنه ، غير متمصب ولا متحيز ، فإن خير الأمور الوسط .

يوئذ كانت بغداد مقر الخليفة العباسي المستظهر بالله سنة ٤٨٧ هـ ، وعوامل الضعف تدب في أوصال الخلافة من سنوات طوال ، والخليفة لاحول له ولا قوة ، مع تلك التيارات الجارفة التي تتفاعل في العالم الإسلامي من الشرق إلى الغرب ، فهز كيانه هذا : الفاطميون من القاهرة يحاولون صد الحملات الصليبية عن سواحل مصر والشام ، ويحثون بالجيوش والأساطيل ، فلا يزداد الصليبيون إلا ككرة وتمسكاً بالأماكن المقدسة ، وفي الوقت نفسه ينشر هؤلاء الفاطميون دعوتهم الشيعية في كل الأرجاء عن طريق الدعاة تارة ، والمناصرين والمنشقين على العباسيين تارة ، وعن طريق المرتفين وعباد الأصفر الزنن تارة أخرى ، وإذا

ببغداد نفسها تصبح مسرحا للفن الدامية التي لا تنقطع بين الشيعة وأهل السنة ، ولكن عندما دخلها السلفي ، كان ثمت هدوء نسبي ، وتحت الرماد وميض نار لا تنطفئ أبدا ، وآثار الخرائب والحرائق والقبور المنبوشة لا تزال شاخصة أمام السلفي ، وهو يتأمل ، ويكتم الألم في نفسه ، أما الأتراك السلاجقة فقد اتخذوا لأنفسهم من أصبهان ما يمكن أن نسميه عاصمة لدولتهم ، فهم ما بين حين وحين يغزون بغداد ، ثم يعودون إلى قاعدتهم أصبهان ، في نزاع مستمر بين بركياروق وأخيه محمد ، وكلاهما طامع في الملك وفي بغداد ، ولكل منهما جيش جرار ، ولا تسلم أي من المدينتين من غزوة أو حصار ، ثم يتعقد الصلح بينهما ، وتمضي على ذلك الأيام والسنوات .

وقبل أن تأذن شمس القرن الخامس بالغروب ، يموت بالقاهرة الخليفة الفاطمي المستعلي بالله ، وكان يغالى كل المغالاة في الرفض ويأق بالاعمال الشنيعة الفاحشة في ذكرى كربلاء ، أشد بما كان معروفا عند آبائه وهم جميعا شيعة ، ويخلفه ابنه الأمر بأحكام الله ويتخذ (الأفضل) وزيرا له وهو ابن أمير الجيوش بدر الجمالي الأرمني ، والنخبة في بغداد للسلطان السلاجقي محمد بن ملكشاه ، وليست للخليفة العباسي المستظهر بالله ، ويموت بركياروق بن ملكشاه صاحب العراق وبلاد المجر ، ويخلفه ابنه جلال الدولة وعمره أربع سنوات ، وتكون النخبة باسمه على منابر بغداد ، ويطمع السلطان محمد في ملكه ، فيحاصر بغداد بمحشيه ، لتعود النخبة باسمه كما كانت سنة ٤٢٩ هـ ، ويكاد ينشب بينهما القتال ، وصار الصلح المعقود من قبل بين بركياروق وأخيه جبرا على ورق ، بعد أن كانت أذربيجان وديار بكر والجزيرة والموصل للسلطان محمد ، والباقي للسلطان بركياروق ، ولا يقف الخلاف بينهما بعد هذا الصلح عند هذا الحد ، حتى بعد الموت ، لقد

كان الخلاف بين الأخ وأخيه ، والآن أصبح بين الأخ وابن أخيه ، وعلى بغداد ، فيتدخل بينهما بالصالح لإمام الشافعية في بغداد الكيا الهراسي الشيخ الذي يأخذ عليه السلفي ، وتكون الخطبة في شرق بغداد لآلهمما ، وفي غربها للآخر ، بهذا فض الهراسي ذلك النزاع ، بينهما الخليفة العباسي حتى يرزق ، وليس له من الخلافة إلا اسمها أو رسمها . هذا والزحف الصليبي يزداد كل يوم قوة ، ولا قبل للعباسيين ولا للفاطميين ولا للسلاجقة بمحوشهم الجرارة ، التي تنتزع الشام بلدا بلدا ، من أيدي الخلفاء المتنازعين ، يوما بعد يوم .

## بغداد : معالمها وأعلامها

لقد طاف السلفي ببغداد وعرف أسوارها وأبوابها ولا سيما ( باب النوب ) وأالباب الشريف من دار الخلافة ، ومرر بالقصور الفخمة التي الخلفاء والسلاطين ، وعرف درب حبيب ، ودرب شوكة ، ودرب العضدي ، ودرب صالح ، وباب المراتب ، وباب البصرة ، وسوق المعطر ، وسوق البلقاء ، وسوق الصيارف ، والحرم الطاهري ، وغان الخليفة ، وخزانة البيارستان النصيرية (١) ، ومرر بالرصافة والكرخ ، وشاهد آثار التخريب التي خلفتها المنازعات المستمرة بين الأحزاب المنهية من شيعة وسنية ، غير أن ما كان يحلم السلفي أكثر من هذا كله هو معاهد العلم ومناراتها العالية ، وخزائن الكتب التي اشتهرت بها بغداد ، وعلى الرغم مما انتشر حولها من ضباب سياسي ، كانت ( المدرسة النظامية ) بها منارة العلم (٢)

(١) ورد : هذه المعالم في « الشيعة البغدادية » لسلفي .

(٢) وأطلق اسم للمدرسة النظامية أيضا على مدونة أخرى يتيمامور وغيرها .

في الشرق كله ، منذ أقامها الوزير السلجوقي محب العلم والعلماء نظام الملك سنة ٤٥٧ هـ ، وبدأ التدريس بها بعد سنتين ، ثم قامت ( المدرسة التاجية ) ثم ( المدرسة المأمونية ) ثم ( المدرسة النعمرية ) إلى جانب جوامعها العديدة ومساجدها مثل : جامع القصر ، وجامع الرصافة ، ومسجد العمري ، والمسجد المعلق ، وكذلك الخانات والخزانات والدور ، وكلها على الدوام عامر بحلقات التبرس ، وتضم أهل بغداد وقصاد العلم بها والواردين إليها من طوس والكوفة والبصرة وفارس ومصر والشام والحجاز والمغرب ، كل حسب مذهبه الديني ، واتجاهه السياسي ، يلتفون حول أساطين العلم يؤمّنون في بغداد ، وهم النخبة الحية التي تزود منها السلفي ، في الفترة التي قضاها بها ، وتخلتها فترة حجه ، ثم عودته ، إلى أن غادرها نهائياً إلى دمشق .

دخل السلفي بغداد ، ومدارسها وجوامعها ومساجدها أشبه ما تكون بخلايا النحل ، من كثرة العلماء والطلاب ، وتعدد حلقات الدروس في كل مكان .

كان ببغداد إذ ذاك عدد كبير التي بهم وسمع منهم — كما رأينا في سجل البلاد التي زارها والعلماء بها — وفضلاً عن كل ذلك كان بها أبو الحسن العبادي الواعظ ، وسعد البولة بن الموصلاني كاتب الإنشاء ، الذي ظل وزيراً نحو ٦٥ سنة ، وكان نصرانياً فأسلم ، وكان حريصاً على ترغيب الناس في العلم بحضور دروس الكيا الهرامى أبي الحسن الطبري ، أحد كبار فقهاء الشافعية ببغداد من اشتغلوا على إمام الحرمين أبي المصالي الجويني ، وقد تولى الكيا الهرامى التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد — مع الإمام الغزالي — وعليه تفقه السلفي ومنه سمع .

كان الكيا الهرامى — والكيا يعني « كبير القدر » — جريئاً في الحق لا تأخذه فيه لومة لائم ، وكان معتدلاً في فتاواه ، قال السلفي إنه امتنعت في كتبه

الحديث الشريف ، هل يدخلون في الوصية كالفقهاء ، فأجاب بالإيجاب اعتدالاً على قول النبي ﷺ : « من حفظ على أمتي أربعين حديثاً بعثه الله عالماً » . واستغنى أيضاً في شتم يزيد بن معاوية فأجازه ، وخالفه الغزالي بحجة أنه مسلم ، ولم يثبت أنه رضى بقتل الحسين ، ولو ثبت ، لما كان ذلك مسوغاً لشتمه ولعنه ، لأن القاتل لا يلعن ، مادام باب التوبة لا يزال مفتوحاً ، ولعله اعتمد أيضاً على قول الرسول ﷺ « المؤمن ليس بفحاش ولا بلعان » .

كان يبتدأ أيضاً الفقيه الشافعي أبوالمظفر الخولاني ، وهو أنظر أهل زمانه ، وتلميذ أبي المعالي الجويني بطوس ، وكان بها أبو محمد جعفر بن أحمد بن حسين الحنبلي البغدادي القاري، الشاعر المحدث صاحب « مصارع العشاق » المتوفى سنة ٥٠٠ هـ ، وإمام النظامية وعلمها الخفاف أبو إسحق عبد الوهاب الشيرازي الفارسي إمام الشافعية الفقيه المحدث الذي استدعاه نظام الملك للنهوض بمهمة التدريس بالنظامية عند إنشائها ، وظل يقوم بهذه المهمة مدة طويلة وله « التنبية » و « المهذب » ، وكذلك إمام الشافعية أبو المحاسن الروياني ، وأصله من طبرستان ، وله رحلات في طلب العلم ، وكان يحفظ كتب الشافعي عن ظهر قلب ، وكذلك أبو سعيد السمعاني صاحب « الأنساب » وهو الفقيه الشافعي الحافظ المحدث وله ذيل طويل على « تاريخ بغداد » لابن الخطيب البغدادي ، وله كتاب جمع فيه ألف حديث عن مائة شيخ ، لإستاداً ومتمناً .

ومن كبار الأعلام البارزين في النظامية أيضاً غفر الإسلام إمام الشافعية أبو بكر محمد بن الحسين عمر الشاشي الشافعي ، وكان الوزير والأعيان حريصين على حضور دروسه ، وكثيراً ما عزل عن التدريس ثم أعيد ، وكان يسمى الجنيد لورعه وتقواه ، وانهت إليه رئاسة الشافعية ببغداد ، وكان يقتصر لمذهب أبي حنيفة

في مجلس النظر وتوفي سنة ٥١٢ هـ ، وكذلك إدريس بن حمزة أبو الحسن الشاشي الرملي النخائي ، وهو من فحول الشافعية في المناظرات ، وقد تفقه ببغداد على الشيرازي ، ودخل خراسان ، ووصل إلى ماوراء النهر ، وأقام بسمرقند ودرس بـ مدرستها المشهورة حتى لقي ربه .

وسمع السلفي من أبي منصور السيوري ، وحضر دروس اللغة على أبي زكريا يحيى بن علي التبريزي شيخ أدباء بغداد المتوفى سنة ٥٠٢ هـ ، وروى عنهم ، والدماغاني قاضي القضاة نزيل باب الطلاق ببغداد ، وأبو الوفا بن عقيل شيخ الحنابلة ببغداد كان لا يزال بها ، وكان معتزلي المذهب وتوفي سنة ٥١٣ هـ وكان أنظر أهل زمانه والسلفي كلام عنه سراه فيما بعد ، كما حضر أبا الحسن علي النحوي المعروف بالتصفيحي الاسترأبادي ، وقد استوطن بغداد ، وتولى تدريس النحو بالنظامية ، واشتهر بالخط الجيد ، والأدب الوافر ، روى عنه السلفي كثيراً وقال : « جالسته ببغداد وسأله عن أحرف من العربية » .

وعاصر السلفي أيضاً في هذه الفترة الطغرائي الأصمهاني صاحب « لامية المعجم » تلك القصيدة الخالدة التي كان لها دور كبير في تطور الأدب العربي والتي شرحها شرحاً وافياً الصنفدي باسم « النيث للمعجم في شرح لامية المعجم » في مجلدين ، أما الحريري صاحب المقامات فكان رجلاً لغوياً نحوياً محدثاً ، أقام ببغداد ، وقد مر السلفي يوماً بحلقة كبيرة بجامع البصرة ، فسأل عن المتصدر فيها ف قيل له إنه الحريري قد وضع شيئاً من الأكاذيب ، وهو يملئه على الناس ، فسكت ولم يرج عليه . (١)

: أما الزعشري الخوارزمي المعتزلي فقد كان إمام عصره في التفسير والحديث واللغة والنحو والبيان ، استجازته السلفي عندما كان بمكة فرد عليه بما لم يشف غلبه ، فكتب إليه في العام التالي كتاباً أرسله مع أحد الحجاج .

وجاء في ختام رسالة السلفي إلى الزعشري : « ولا يحوج - أدام الله توفيقه - إلى المراجعة ، فالمسافة بعيدة ، وقد كاتبه في السنة الماضية ، فلم يجب بما يشفي الغليل ، وله في ذلك الأجر الجزيل » . فرد عليه الزعشري يقول : « ما مثل من أعلام العلماء إلا كمثل السها مع مصاييح الساء ، والجهام الصغير مع الرمام ، مع الفوائد الغامرة للقيعان والآكام ، والسكيت الخلف مع خيل السباق ، والبغات مع الطير المتاق » .

ويعلق ابن خلكان على هذه المراسلات بقوله : « وما أعلم هل أجازته بعد ذلك أم لا » . وإن كان معروفاً أن الزعشري قد توفي سنة ٥٣٨ هـ .

كانت بغداد في هذه الفترة ملتقى الوافدين إليها من أقصى البلاد ، كأبي بكر الطرطوشي ، وعبد الله بن محمد بن العرب الأنديلسيين ومحمد بن تومرت المغربي ، وكان من أبرز أعلام بغداد يومئذ : أبو الحسن المبارك بن عبد الجبار الصيرفي المعروف بابن الطيورى صاحب ( الطيوريات ) الذائمة الصيت في الحديث ، وهو المحدث الثقة ، ذو الأصول الصحيحة والعلم الواسع ، والمتوفى سنة ٥٥٠ هـ ، وكذلك أبو الحسن علي بن علي الحسين بن علي بن أيوب السباز ، المتوفى سنة ٤٩٢ هـ ، وأبو المعالي ثابت بن بندار البقال المقرئ المتوفى سنة ٤٩٨ هـ ، والقاضي أبو البركات طلحة بن أحمد بن طلحة الماقلو الحنبلي المتوفى سنة ٥١٢ هـ ، وكذلك الحافظ أبو عامر محمد بن سعدون بن رجاء الميبرقي البصري أحد فقهاء مذهب داود ، وقد توفي سنة ٥٣٤ هـ ، وأبو الحسين أحمد بن عبد القادر اليوسفي المتوفى سنة ٤٩٢ هـ .

وأبو بكر محمد بن طرخان التركي الشافعي تلميذ الشيرازي وقد توفي سنة ٥١٣ هـ ،  
 ومسنند العراق ونقيب النقباء بها أبو الفوارس طراد بن محمد العباسي الزيني المتوفى  
 سنة ٤٩١ هـ ، وكان يحضر مجالس العلم المفتوحة التي تعقد بدار عميد الدولة الوزير  
 ابن جبير المتوفى سنة ٤٩٣ هـ ، وكان ينفد أيضاً إذ ذاك حجة الإسلام أبو حامد  
 الغزالي وكان يدرس بالنظامية وتوفى سنة ٥٠٥ هـ ، وكان ينفد أيضاً رزق الله  
 ابن عبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحارث بن أسد أبو محمد التميمي البغدادي  
 الحنبلي وقد ولد بهما سنة ٤٠٠ هـ وتوفى سنة ٤٨٨ هـ<sup>(١)</sup> ، وهو آخر من روى عنه  
 السلفي مطلقاً بالإجازة ، كما روى السلفي عن يحيى بن علي بن بسطام الشيباني  
 أبي زكريا التبريزي الإمام في النحو واللغة ومدرس الأدب بالنظامية وخزانة  
 الكتب ، وله مصنفات عدة في التفسير وشرح الحاشية لأبي تمام وديوان المتنبي ،  
 كان يمدن الحر ويقرومون عليه وهو سكران ، روى عنه السلفي وتوفى سنة ٥٠٢ هـ  
 عن ٨١ سنة<sup>(٢)</sup> . . يا للعجب !

ومن كل هذا يتبين لنا بعض ملامح الحياة الفكرية ، التي عايشها السلفي من  
 حين دخوله بغداد ، إلى حين خروجه منها ؛ في رحلات الحج والدرس ، ثم عودته  
 إليها ليغادرها نهائياً إلى دمشق ، وسيكون هذا الرصيد الضخم من الثقافات  
 أساساً متيناً ، أقام عليه السلفي بنيانه العلمي السامق ، قبل أن يسلم الأربيعين  
 من عمره .

(١) طبقات النسرين : الداودي .

## أضواء أخرى .. على أجواء أخرى

قبل عام ٥٠٩ الهجرى وهو العام الذى وطئ فيه السلفى بقدميه أرض دمشق ، قضى سبع سنوات ، أكثر فيها من التنقل فيما بين بغداد والحجاز وفارس ، واكتسب خلالها ثروة ضخمة من المعرفة الدينية والدينية ، كان لها أكبر الأثر فى صقل شخصيته ، وهو يقترب من سن الأربعين ، وهى مرحلة النضوج الفكرى ، والمطاء الوثيق .

غادر السلفى بغداد إلى الحج وأداء الفريضة ، والتزود من أرض الحرمين بروحانية الإسلام ومواقف انتصارات رسول الإسلام على أعداء الإسلام ، لأول مرة فى حياة هذا الأصهبانى النابغة الرحالة ، ويومئذ كانت بلاد الحجاز تتمتع بهدوء نسبي ، وهى بمنأى عن الصراع السياسى والمنهبي العنيف الذى وقفنا عليه فى أصفهان وبغداد والقاهرة ، وذلك على الرغم من بسط نفوذ الدولة العباسية على مكة والمدينة ، بينما ترهق دعوة القاسميين فى قرأت متضاوة ، تحت اسم ( العلوية ) وأحقيتها بالذبوع والانتشار من ( العباسية ) ، واستطاع المصريون من القاهرة أن يعيشوا بالهدايا والخلع والأصفر الرنان ، حتى وجدوا من أهل الحجاز من يسمح لهم ويستجيب لدعوتهم .

أما السلفى فقد اتخذ لنفسه خطاً سليماً واضح المحجة هو ( الاعتدال ) ، من خلال تمذهبه بتعاليم الإمام الشافعى ، فلما غادر بغداد نزل بالكوفة ، حيث التقى بأبي البقاء الميمون بن محمد الحبال ، ومضى إلى مكة وأتم شعائر الحج ، ولقي بها الحسين بن على الطبرى ، ثم سمع من أبي فرج القزوينى بالمدينة ، ومنها عاد إلى بغداد ، وتزود بها فقهاً ولغة ، ثم رحل إلى البصرة سنة ٥٠٩ هـ فسمع من

محمد بن جعفر العسكري ، وأغراه طلب العلم بالرحيل إلى زنجيان ، فأخذ عن أبي بكر أحمد بن محمد بن زنجويه ، وهمدان فاقصلا بعلمائهما الذين منهم أبو غالب أحمد بن محمد بن محمد المزكي ، واخترق السهل إلى الجبل ، وتعرف على أحوال المدن الجبلية ، وسمع من علماء الري ودينور وقزوين وساهو ونهاوند ، وطاف ببلاد أذربيجان حتى دربند وآمد وخلصا ونصيبين والرجبة ، وانتهى به اللطاف إلى الشام فزل دمشق سنة ٥٠٩ هـ ومعه ذخيرة ضخمة من حصائل العلم الفيزي ، الذي استوعبه من مختلف الأجواء على أيدي العديد من العلماء والأدباء .

هذه هي دمشق سنة ٥٠٩ هـ وقد نزل بها السلفى ، ولعله تذكر في التسو واللحظة ماكان لها من مجد على أيدي الأمويين الذين اتخذوها عاصمة لدولتهم ، وقد امتدت ، حتى استوعبت الأندلس ، وبها ترعرعت الثقافة الإسلامية ، وازدهرت أيما ازدهار قروناً طويلة ، وظلت خلالها تستمد المزيد من المشرق ، ثم تعود به إلى المغرب خصباً وفيراً ، عبر الإسكندرية ذهاباً وإياباً .

وإذا ضغطنا على أحد أزرار الخريطة المضيق فلنضع إصبعنا الآن على دمشق الفيحاء ، لنكشف أحوال الشام ، في هذه الفترة القصيرة ، وهي عامان أو نحو ذلك ، أشهر من عرف خلالها من العلماء : أبو طاهر الحناني ، وأبو الحسن بن المازني . ذلك على الرغم من الغزو الصليبي الذي روعت به سواحل الشام ، وسقوط بيت المقدس في أيدي أمراء أوروبا ، الذين استساقوا التنازلات المتوالية على الديار الشامية ، بعد أن ظلت سنتين طويلة مسرحاً لصراع مذهبي متشابك أسهمت في خلقه أطباع السلاجقة ، الذين بظهورهم أوشكوا على طمس معالم الدولة العباسية في بغداد وتوابعها ، ثم زحفوا إلى الشام أملاً في وقف التيار الفاطمي الجارف ، الذي أصبح في القرن السادس الهجري في أوج ازدهاره ، من حيث ( الدعوة )

و ( الجهاد ) مما ، فوجدت مصر الفاطمية نفسها تواجه مسئوليتها التاريخية في طرد الصليبيين من الشام ، وقد وضعت في اعتبارها أن مصر تتوقع أخطار الغزو عليها بعد غزو الشام ، وإذا بالجيوش البرية والأساطيل المصرية تتوالى على البلاد الشامية وتشتبك بالصليبيين في ملاحم ضارية ، كانت الدائرة في معظمها لهؤلاء الغزاة ، دون أن يدب اليأس في نفوس المصريين ، ودون أن يكفوا عن الاستعداد والجهاد للحرب هجوما ودفاعا ، مما يشير إلى أن بث الدعوة الفاطمية في الشام ، قد كلفها ممنا غاليا ، دفعته بالدماء والأشلاء .

يبدو ذلك جليا من ثنايا أقوال المؤرخين لهذه الحقبة ، وعلى رأسهم ابن تغرى بردى ، الذى كلما تحدث عن حملة صليبية على الشام ، تحدث عن استصراخ أهلها وأمرأء مدنها الساحلية والداخلية لمصر — لالعراق أو فارس — لكي تتجدهم بما هم فيه من الكرب .

على أية حال ، لم يطل بالسلفى المقام بدمشق أكثر من سنتين ، ثم غادرها إلى ( صور ) ، ومنها ركب السفينة فعبرت به البحر ، حتى رشت على ثغر الإسكندرية سنة ٥١١ هـ ، فاستوطنها منذ ذلك التاريخ حتى لقي ربه بعد ٦٥ سنة ، هى أنصب مرحلة في حياجه الطويلة ، وهى فى الوقت نفسه أهم حقبة فى تاريخ الأمة الإسلامية ، فيما بين أخريات الدولة الفاطمية ، وأوليات الدولة الأيوبية .

## القاهرة والإسكندرية

قصده السلفى ثغر الإسكندرية في فترة عصيبة محفوفة بالمخاطر ، حيث كان الطريق من الشام إلى مصر - سواء بالبر أو البحر - يكاد يشتعل ناراً ، فقد جرد نائب الموصل حملة قوامها ١٥ ألف فارس لنزول الشام ، فاستنجد أهل عسقلان بمصر عندما حوصرت يافا ، فأرسل إليهم المصريون سبعين مقيمة وضربت قواتهم الحصار عليها من البر والبحر ، كان ذلك سنة ٥٠٩ هـ ، والسلفى لا يزال بالشام ، وفي العام التالي ، قدم بلديون الذي يسميه المصريون ( بردويل ) ملك القدس إلى مصر ؛ للانتقام من حلاتها المتوالية لتجدة أهل الشام ، والكيد من الصليبيين الغزاة الطفلة ؛ فلما بلغ العريش أصابته الحصى ، فأتى غير مأسوف عليه ، بعد أن ظل ملكاً على القدس ، أكثر من ستة عشر عاماً ؛ استولى خلالها على معظم بلاد الشام ، ورد عدة نجدات لاهلها قدمت من الموصل ومصر .

وفي السنة التي قدم فيها السلفى إلى مصر وهي سنة ٥١١ هـ وصلت جيوش مصر وأساطيلها ، وانضمت إليها قوات الشام ، وتعاون القطران الشقيقان في البر والبحر على تنسيق الدفاع بينهما عن صيدا وعسقلان ، ودارت رحى القتال على أرض فلسطين ؛ وصمد المجاهدون أى صمود ، لفترة ستة أشهر ، ثم عاد كل جيش من حيث أتى .

ولاندري كيف غاطر السلفى بحياته في هذه الفترة ، فرسل إلى مصر ، ولاندري كيف نجا من الموت ، والبحر مشحون بالسفن المقاتلة ذاهبة آية ، ولكن هكذا كتب الله له النجاة من أخطار الحرب والبحر معاً ، حتى بلغ مصر ، فكانت الإسكندرية أول بقعة من أرضها الطيبة وطنتها قدماءه ، وهي يومئذ كالشركة

في خلق الدولة الفاطمية الحاكمة من القاهرة ، وهي باسطة نفوذها على الشام والعراق وفارس والحجاز واليمن ، وحتى الأندلس غرباً ، وإذا كان القواطم - أو المغاربة الشيعة - قد استطاعوا أن يقيموا لهم دولة ؛ منذ وضع جوهر الصقل حجر أساس القاهرة سنة ٣٥٨ هـ ، باسم مولاہ المعز لدين الله الفاطمي ، على الرغم من وجود الدولة العباسية التي عاصمتها بغداد ، فإن الإسكندرية وحدها كانت دولة داخل دولة ، بما كان يتمثل فيها من ثورات متوالية ، ضد الحكومة خلافة ووزارة ، سياسة وعقيدة .

ومهما يكن من أمر المناخ الذي حيت به الطبيعة ثمر الإسكندرية على مدار السنة صيفاً وشتاءً ، ربيعاً وخريفاً ، فقد طابت للسفلى الإقامة بها ، وما إن استقر قراره بالحي النعري منها قريباً من البحر (حي الجمرک حالياً) حتى راح يفتح منافذ حسه على الأحداث الجسارية فيما حوله ، وهي انعكاس من غير شك لمجريات الأمور في القاهرة .

الخليفة يومئذ هو الأمر بأحكام الله - بعد أيه المستعلي بالله - وقد جاوز العشرين ربيعاً ، وزمام الأمر لوزره المستبد أمير الجيوش (الأفضل) الأرفقي ابن بدر الجمالي ؛ وكان بدر الجمالي هذا والياً على عكا فاستدعاه الخليفة الفاطمي المستنصر بالله سنة ٤٦٦ هـ لإخماد ثورة عليه في مصر ، وليتولى أمرها إذا نجح في كسر شوكة الثوار ؛ فما لبث أن قضى على خصوم الخليفة من الأتراك والعرب والسود في سائر الديار المصرية ، فكافأه على ذلك بأن جعله كافل قضاة المسلمين وداعى دعاة المؤمنين وأمير الجيوش ، وظلت الوزارة من بعده لأولاده الذين استبدوا بالسلطة .

في ذلك الوقت كان (الأوحد) يقود ثورة في الإسكندرية ضد أيه بدر الجمالي؛

الذى أرسل جيشاً تمكن به من إخماد الثورة ، والقبض على أبنته ، ومصادرة أموال الثوار ، ومن الغرامة التي فرضها على الإسكندرية مسليها وأقباطها وقدرها ١٢٠ ألف دينار ، عمر جامع البطارين سنة ٧٧ هـ ، وجعل فيه الخطبة للفاطمييّن ، بينا أهل الإسكندرية يرفضون التشيع ولا يرضون بغير التسنن بدلا .

ومات الأوحّد سنة ٨٧ هـ خلفه في الوزارة (الأفضل) الذي حجر على الخليفة المستنصر حتى مات في تلك السنة ؛ وقد بلغ نفوذ الوزراء الأرمن أقصى درجة من الاستبداد بالحكم ؛ وأصبح الخلفاء معهم أصفارا على الشمال ، فلما مات المستنصر بعد خلافة دامت ستين عاما ، أبعد الأفضل عن الخلافة ولي العهد (نزار) ابن المستنصر وهو المستحق لها ؛ وباع أخاه المستمل بالله ، والمستمل ابن أخت بدر الجمالي والأفضل عالة ، وإلى هذا القدر من الاستبداد بلغ نفوذ الوزراء .

ووقفت الإسكندرية مع نزار ، وبايعه أهلها بالخلافة — برغم أنف الأفضل — ولقبوه بالمصطفى لدين الله ، وإذ ذاك كان والي الإسكندرية أحمد بمالك بدر الجمالي وهو الأمير التركي ناصر الدولة أفتكين ، وقاضيا لجلال الدولة ابن عمار .

وخرج الأفضل سنة ٨٨ هـ من القاهرة لإخماد ثورة نزار في الإسكندرية ، ولكن الثوار صمدوا ، وعاد الأفضل مهزوماً ، ولأسيا بعد أن ضم الثوار إلى صفوفهم عرب الوجه البحري ، ومع ذلك لم يئأس الأفضل فعاود الكرة على الإسكندرية ، لحاصرها وهدم أسوارها ، وحطم أبوابها وأبراجها بالمجانيق ، وقطع عن أهلها الميرة ، وتمكن من القبض على نزار وأفتكين وقتلها ، وجعل قضاء الإسكندرية لابن الحسن أحمد بن حديد بدلا من قاضيا ابن عمار الذي كان ضالعا في ثورة نزار وبايعته بالإمامة .

. وأصبح الأمر بأحكام الله خليفة ، وفي سنة ٥١٧ جعل ولاية الإسكندرية للقبّتين سلطان الملوك نظام الدين أبي تراب حيدرة ؛ وضعت إليه أيضاً الأعمال البحرية ، فأصلح ما تهدم من أسوار الإسكندرية ، وعمر أسطولها وأقام بها مسجده الذى نسب إليه ، وأدرك الاخطار التى تعرض لها فى هذه الفترة من إغارات الصليبيين على الشام ، وبالتالي على سواحل مصر ، وعلى رأسها الإسكندرية لى يكب الفاطميون عن إرسال قواتهم البرية والبحرية ، لتخليص الاراضى المقدسة من براثنهم ، هذا والسلفى يتردد فى القاهرة ما بين سنة ٥١٥ وسنة ٥١٧ على علماتها : يسمع منهم ويسمعون منه ، وقد أصم أذنيه عن كل هذه الاحداث .

. ومع هذا فقد عاشت الإسكندرية فى العصر الفاطمى عموماً ، وهى فى بذخ وترف ورواج اقتصادى ، فوق أتون ملتبس من تلك الثورات الدامية المتوالية على الحكومة المركزية ، ويسمى السلفى هذه الفترة بأيام القننة ، وقد تنافداها بالسفر إلى القاهرة ، حتى لا يصيبه ما أصاب الطرطوشى وابن عوف وسائر علماء الإسكندرية ، وقد اندكت بالمجانيق حصونها وأبراجها وأسوارها وأبراجها ، ومع ذلك ظلت مساجدها تملو وتملو ، وقصور ولايتها وقضاتها وتجارها - ولاسيما بمنطقة الرمل - عصفرة بالبساتين الرائعة ، ذات اليتاييع والنوافير والأزاهير التى وصفها لنا شعراً ونثراً شعراؤها وعلى رأسهم ابن مكنسة المتوفى سنة ٥١٠ وظافر الحداد المتوفى سنة ٥٢٩ وابن قلاوس المتوفى سنة ٥٦٧ .

أما الخليج فقد عنت به الدولة أيماء عناية ، فطهرته حتى جرى فيه الماء ، وازدهرت ضفافه بالمزارع والحدائق والمتنزهات والقصور ذات الرياض اليبانة ، فى ذلك الثغر الضاحك الذى اشتهر بسبائه الصافية ، ونسيمه العليل .

. تلك هى الإسكندرية ، برمالها اللناعية ، وأفقها الصافى ، وبحرها اللازوردى ،

وخليجها الرقراق . بضافته السندسية ، وهى بهذه الخصائص والمزايا ، جديرة بأن تجذب إليها أفواج الوافدين من كل مكان ، سواء بوصفها همزة الوصل بين الشرق والغرب ، على أى نحو من أنحاء هذه الصلة ، من مرور بها للتجارة أو لطلب العلم ، أو موقعها فى الطريق إلى الحج ، أو بقصد الاستقرار بها ، وقد طابت الإقامة فيها للجميع من كل مكان .

ومن هنا نجد سكان الإسكندرية فى هذه الفترة أختلاطاً شتى من سلالات القبائل العربية التى فتحت الاسكندرية مع القائد الفاتح عمرو بن العاص سنة ٦٤٠ هـ ، ونشرت بها الإسلام والعروبة ، ومن توافدوا عليها بعد الفتح من الشام والحجاز واليمن والعراق من العرب والترك والفرس ، ومن جاء أيضاً من جزر البحر المتوسط وبلاده المطلة على سواحله ، ومن الأرمن والمغاربة والسودان وأهل الاندلس ، كالتجار والحجاج وطلاب المعرفة والوزراء ، وقد شادت الأقدار أن تمتنع الإسكندرية كافة المؤهلات الطبيعية والتاريخية ، فبلغت مكائنها المرموقة من الحضارة والثقافة والنضال ، وانصهرت كل هذه العناصر بمحضاراتها فى بوتقة الإسكندرية .

وكان السلفى نصيب من المكان فى مصر هو ( الإسكندرية ) ، وأن يكون له بها نصيب من الزمان هو خمسة وستون عاماً من القرن السادس الهجرى ، وقع اللتان الأولان منه فى ظل الدولة الفاطمية ، والثالث الأخير منه فى ظل الدولة الأيوبية ، وأدرك السلفى هذه وتلك ، حيث كانت الإسكندرية فى أوج ازدهارها ، عل الرغم من الأحداث والخطوب الجسام التى خاضتها مصر ، وانكسرت أصدائها على الاسكندرية ، بل شاركت فى خطوط سيرها مشاركة إيجابية تركت الإسكندرية فيها بصماتها واضحة كل الوضوح ، وغيرت مجارى التاريخ تغييراً رئيسياً وشاملاً .

وسرى فيما يلى من الصفحات كيف أن الصعيد الثقافى بالإسكندرية ، الذى عايشه السلفى وعاشه بها ، لا يمكن فصله عن الأحداث السياسية التى جرت على أرض الإسكندرية ، وتفصيل ذلك موجز فيما يلى من السطور .

## ثقافة الإسكندرية فى خضم الأحداث

إذا جعلنا الإسكندرية تحت نظرنا المدقق ، وألقينا على الجانب الثقافى بها كل ما تملك من قوة الإضاءة ، بحيث لا نخرج عن دائرة القرن السادس الهجرى ، وهو عصر السلفى بها ، تتضح لنا حقيقة ثابتة طريفة ، وهى أن الثورة السياسية فى الإسكندرية ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالثورة الثقافية بها ، وأن أهلها بمن فيهم من ولاية وقناة وعلباء وشعراء هم صنّاع هذه (الثورة) ، التى برأت للإسكندرية مكانتها التى انفردت بها عن مختلف عصورها ، فكانت بحق فى أوج عصرها الذهبى ولا نزاع .

فلنتأمل قول ابن تترى بردى (١) إن وزراء الفاطميين « كانوا تحت الحجر والصنيق .. وإنما كان يطلق عليهم (الوزراء) لكون المادة كانت جرت بأن الملك للخليفة لالتهيه ، وهم بلا مدافعة كانوا أعظم من سلاطين زماننا هذا .. » ولقد رأينا كيف استنجد المستنصر بيدر الجالى ، واستدعاه من الشام لإخماد الثورة التى كانت فى القاهرة ضده ، فلما فتك بالخصوم أشد الفتك وبلا رحمة استساغ هذا الأسلوب من قمع الحريات ، فاستوزره الخليفة ، وما لبك الوزير أن جمع زمام الحكم فى يده ، دون الخليفة ، على الرغم مما كان بينهما من مصاهرة ، كان جديراً

---

(١) النجوم الزاهرة ، وتكاد تكون المباراة منقولة عن القمى .

بالوزير أن يصون حرمتها ، ولكن الذى حدث كان غير ذلك إذ أن ظل الخليفة الفاطمى قد تقلص ، وصار الأمر إلى الوزير الأرمنى ، ودأب هؤلاء الوزراء على ذلك ، وشاعت المقادير أن يثور أبناء الوزراء على آبائهم ، جزاء وفاقا لما بشوه من اللسائس بين الخلفاء وأولادهم ، يالها من مضحكات مبكيات !

ولم تشهد مصر فى تاريخها حكاما أغلظ أكباداً ، وأقسى قلوباً من هؤلاء الأرمين الذين أصبحوا وزراء فى دولة القواطم ، فإذا بنا أمام الثورات المنيفة بالإسكندرية تواجه هؤلاء الوزراء جميعاً وعلى رأسهم بدر الجبالى ، فينضم الأوجد إلى ثوار الإسكندرية ضد أبيه — كما ذكرنا — فيحاصرها ويصادرها ، ويحبس أعيانها ويعزل قضاتها ، ثم يأتى الأفضل ، وما كان بأفضل من أبيه إلا بمظالمه وفظائمه ، التى قوبلت من أهل الإسكندرية بكل إباء وشمم ونضال مرير .

أما الأفضل فقد ظل وزيراً مدة ثمان وعشرين سنة ، خلت بالحسف والعسف ، ولقى منه خلافا علماء الإسكندرية أشد العنف ، وعلى الرغم من أن وزراء الأرمين فى العصر الفاطمى كانوا يعتنقون المذهب السنى كراهية فى المذهب الشيعى — لأنه مذهب خلفائهم وأولياء نعمتهم — إلا أن علماء الإسكندرية كانوا سنية ويرفضون التشيع ، وقد أخذت الإسكندرية — عن بكرة أبيها — على نفسها عهداً وميثاقاً أن تحارب الظالمين ، والأفضل على رأسهم جميعاً بعد أبيه .

لقد كان حكم الأفضل جائراً أشد الجور طيلة سنى وزارته ، فسفك دماء العلماء بالإسكندرية ، سواء كانوا من أهلها أو ممن قصنوها واستطابوا الإقامة بها ، أما من كبت لهم النجاة من برائته ، فقد أمر بتشريدكم أو عزلمكم عن القضاء — إن كان أحدهم فاضحياً — أو حبسهم أو تقيهم ، حتى لا يذكروا عليه صفوه ، ويشيروا الجاهيلين ضده .

ولقد صور لنا السلفى ما كان يلقاه علماء الإسكندرية فى هذا العصر من

الفتك الذريع وحصد الأرواح ، ومع ذلك يفزعون عندما يتقدمون إلى الموت إيماناً منهم بالشهادة في سبيل الله ، فيحدثنا عن علي بن أحمد بن الطوير القيسراني المعدل فقيه الإسكندرية الذي كان مسموع القول فتمزيت عنقه مع غيره من الفقهاء ، فالتفت في تلك الحال إلى آخر وهو أبو خص بن النوا ، وقال : يا فلان : فرعت ؟ لا تفزع فليس بيننا وبين الجنة إلا ضرب الرقبة . وكان ابنه عبد الله قد أخذ معه ، وسبق إلى الموت طلباً وعدواناً . فقال : يا هؤلاء إن كنتم أمرتم بقتله فقدموه قبلي حتى أجده في ميزاني . فتعجب الناس من قوة قلبه (١) .

هؤلاء هم شهداء الإسكندرية وضحايا الحرية في أيام الفتنة - كإسماعيل السلفي - ومن أجل ذلك - على الأرجح - غادر الإسكندرية إلى القاهرة فراراً من شررها وضورها . ونكتفي هنا بالحديث عن اثنين من علماء الإسكندرية كان لهما مع الأفضل مواقف محجبة ، أولهما :

أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسي ، الذي قدم مصر من الأندلس سنة ٨٩٩ هـ في خلافة المستنصر ووزارة الأفضل ، وكان عارفاً بالطب والتنجيم والموسيقى والرياضة والكيمياء ، وعرض خدماته على تاج المال ، عتار ، كاتب الأفضل وأقرب المقرين إليه ، فاستخدمه ، ونال الخطوة عنده ، فذبت الثيرة في نفس الأفضل منه ، فلما اعتقل الأفضل تاج المال ، اعتقل بالتالي بحسبه أمية ، بعد أن دمج فيه المدائح ثراً وشعراً ، وحسبه لهذا ، أو لسبب آخر ذكره ابن أبي أصيبعة وهو أن الأفضل قد طلب إليه للعمل على رفع مركب غارق في البحر ، فقام أمية بهذه المهمة ، ولما قاربت النجاح ، هبط المركب في اللقاع ، بعد أن كبذ النولة خسائر فادحة ، فحبسه بالإسكندرية ، فالف أثناء الحبس كتابه المعروف « الرسالة المصرية » ضمنها معلومات ومشاهداته في مصر ،

---

(١) صميم السفر : السلفي .

ولما بُئس من المقام بما غادر الإسكندرية سنة ٥٠٦ هـ قاصدا بلاد المغرب ، وخظم  
ابن باديس سلطان المغرب وأهداه هذه الرسالة القيمة ، وكان يتبادل مع شاعر  
الإسكندرية ظافر الحداد ذكرياته بها ويقتشوق حنينها إليها .

أما ياقوت الحموي <sup>(١)</sup> فقد ذكر أن السبب في حبسه هو أن أحد تلاميذه قد  
طعن فيه لدى الإفضل ، فحبسه في دار الحكيم أرسططاليس بالإسكندرية .

وإذا كان السلفى لم يلتق بأبي الصلت أمية في الإسكندرية ، إلا أن كليهما قد  
سمع بالآخر ، بعد أن قدم إليها السلفى ، وبعد أن رحل عنها أمية ، ومن الصدف  
العجيبة أنهما من مواليد سنة ٤٧٠ هـ ، هذا أصهباني توفى سنة ٥٧٦ هـ ، وذلك  
أندلسي توفى سنة ٥٢٨ هـ ببلده المهدية .

أما الأندلسي الآخر الذى ذاق المر أيضا من الإفضل في الإسكندرية فهو  
الزاهد العالم التقية المالكي أبو بكر الطرطوشى الذى ولد ببلده طرطوشة قبل السلفى  
بعشرين سنة ، وكانت له رحلة إلى المشرق ، فدخل بغداد ومكة والبصرة والشام ،  
وعاش في مصر على الكفاف ، مكتفيا بجمع الحطب والملح في برية ( رشيد ) ، هو  
وصاحب له سائح مده في آفة ، وكان الإفضل قد قتل جماعة من فقهاء الإسكندرية ،  
ولم يبق بها منهم أحد ، ولم يجد أهلها من يفقههم في أمور دينهم ، ويصرهم بشئون  
دينام ، وعلموا بوجود الطرطوشى برشيد ، فركب إليه الصفوة من أهل  
الإسكندرية ، وعلى رأسهم قاضيه ابن حديد ، ودعوه للإقامة بين ظهرانيهم  
وتكفلوا له ولصاحبه بالماشى السكافى ، فرضى بالذهاب معهم قائما من الحياة بما  
يسد الرق ، ويعين على العبادة .

---

(١) معجم الأدباء .

دخل الطرطوشى الإسكندرية سنة ٥١١ هـ - وهى نفس السنة التى نزل فيها السلفى بها - وتزوج من خاتمة تلميذه ومريده أبى الطاهر بن عوف ، ومن ماله الخاص بنت له مدرسة لنشر المذهب المالكي بالإسكندرية ، وكان سكنهما فوق المدرسة ، وكان البلد عاطلا من العلم ، فأقام بها وبث علما جماء - كما يقول ريبه ابن عوف - وبحق لقد بذل الطرطوشى جهدا فوق الطاقة ، حتى نشر الدين على حقيقته بالإسكندرية ، وخدم السنة ، وهزم البدعة ، مما جعل الدعوة الشيعية يتقلص ظلها بسرعة وينحصر تفوذها فى الإسكندرية .

وذاع صيت الطرطوشى ، فوفد عليه طلاب العلم من كل مكان ، حتى من خارج مصر ، واتبع طريقة أرسطو مع المشايخ من تلاميذه ، فكان الطرطوشى يخرج مع تلاميذه فى نحو ثلثائة وستين من طلاب المعرفة إلى المنزهات والخلوات ، فى لى بى ، ويقومون الصلاة ، ويتمتعون ، ويتدارسون الفقه والحديث ، والحلال والحرام ، فكثر أتباعه وأنصاره فى المدرسة والرحلة .

ولم تأخذه فى الحق لومة لائم ، لجهل على رموس الأشهاد بتقصد كل مسلك معوج ، سواء أكان من العامة أو الخاصة أو القضاة ، فامتد لسانه بتجريح القاضى ابن حديد ، ومظالم الوزير الأفضل ، والمنكرات والبدع التى يرتكبها العامة ، والدين منها براء ، وشاع أمره وذاع ، وكثرت الرشايات ، ونقلوا عنه أيضا أنه قال بتحريم الجبن الروى .

وتغير قاضى الإسكندرية من جهة ، فصار ينحرف عن الطريق كلما لقيه قادما عليه ، مع أنه أوصى بالآبى يسلمه يديه ولا يصل عليه عند موته غير الطرطوشى ، ففعل ، أما الأفضل فقد أمر بالقبض عليه وحبسه بالسباط وطال حبسه ، فدعا عليه ، فما لبث أن استجاب الله دعوته ، ومات الأفضل لساعته مقتولا سنة ٥١٥ هـ ،

وظفنه في الوزارة المأمون البطائحي ، فلما سمع بالطرطوشي ، أطلق سراحه وأكرمه ، واستمع إلى نصائحه وإرشاداته ، فعمل بها ، ووافق على بناء مسجد باسمه في الإسكندرية ، فرد إليه الطرطوشي هذا الجليل بما هو أجل منه وأخذ على الزمان وهو كتابه الجليل « سراج الملوك » ، وقد ضمنه آراؤه الصائبة القائمة على شريعة الإسلام ، بصدد الحكم العادل النزيه ، فكان حقاً سراجاً منيراً يهتدى به كل حاكم مسئول من ملك وسultan ووزير ، ويكفي دليلاً على نفوذ تعاليم الطرطوشي في الناس أن ابن تومرت - وهو تليفه - قد قام بثورته في المغرب ، وكان المشير الأول على ابن عبد المؤمن في حكومته الجديدة ، على هدى من سلوك الطرطوشي وسراجه واستمسكه بالسنة ، ومات الطرطوشي بالإسكندرية سنة ٥٢٠ هـ وبها دفن ، وهو القائل :

« إن سألني الله عن المقام بالإسكندرية ، لما كانت عليه في أيام الشيعة العبيدية من ترك إقامة الجمعة ومن غير ذلك من المناكر التي كانت في أيامهم ، أقول له : وجدت قوماً مضللاً فكنت سبب هدايتهم » :

في هذا الجو المشحون بالاضطراب النفساني واضطهاد العلماء ، دخل السلفي الإسكندرية ، وطرقت أذنيه الأنباء يوماً بعد يوم ، فإذا يفعل وهو أصهباني غريب ، وقد سمع بما فعل الأفاضل بالعلماء الغرباء ، وعلم أن مدائح أبي الصلت للأفضل لم تفلح معه ، وأن انتقادات الطرطوشي لتصرفاته قد أدخلته السجن ، ثم أكرمه من جاء بعده ، وهو المأمون البطائحي .

لقد استوجب السلفي كل ذلك ، فلم يورط نفسه في أي احتكاك بالباطلي ، أو اصطدام بالوزير ، وتحاشياً لهذه الفتنة شد الرحال إلى القاهرة ففضى بها ثلاث سنوات ما بين ٥١٥ و ٥١٧ هـ ، وهمه الأول والآخر لقاء العلماء وتعليم الطلاب

ثم عاد إلى الإسكندرية كما قلنا ، وقد من عليه الله تعالى بنعمة الاستقرار ، إذ تزوج بامرأة موصرة عرفت قدره وأماته ، فوكلت إليه التصرف في مالها ، وكانت هي الأخرى من أسرة يشتغل أفرادها بالعلم رجالا ونساء ، شيئا وشبابا .

خطا السلفى خطوات وثيدة في بث الدعوة إلى الدين ، على المذهب الشافعى ، ولم يلجأ إلى العنف أو النقد والتجريح ، بل رأى بثاقب فكره أن يلتزم بقوله تعالى : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » . وشنق طريقه ، فاختار عملا مقبولا لم يمهده أهل الإسكندرية من قبل في أحباب مجالس العلم بها ، ذلك العمل هو رواية كتاب « فتوح مصر » لعبد الرحمن بن عبد الحكم ، وذلك في أوائل سنة ١٠٥ هـ فأقبل عليه الجميع لسماع قصة الفتح الإسلامى لمصر والإسكندرية على يد عمرو ابن العاص ، نقلًا ورواية عن أوثق المصادر ، التي تناولت تاريخ مصر والإسكندرية منذ أقدم العصور - ومن العجيب أن تدريس السلفى هذا الكتاب للعامة والخاصة كان على نمط تدريس علم الحديث ، أى بالرجوع إلى الأسانيد .

وهذا التشويق الفريد في نوعه لفت السلفى الأنظار إليه ، وجمع الرواد حوله في حلقات تبغى السماع في تريدة وهدوء ، على أسس علمية وأدبية ، وبهذا جدد السلفى علما من علوم الإسلام ، قد اندثرت معالمه منذ فتح عمرو الإسكندرية ، ونعنى به (علم القصص) ، الذى كان (القاص) يقوم به : فيختلط بالناس في الدكاكين والأسواق والميادين والمساجد والحروب فيعظهم ويحرضهم على الجهاد في سبيل الله ، بالآيات القرآنية والأحاديث الشريفة والتوارد الأدبية وقصص البطولات والمغازى .

وهكذا جمع السلفى بين الدين والأدب والتاريخ والانساب والتشوحات والبلديات ، وبذلك يعتبر الرائد الأول للثقافة الشاملة في الإسكندرية ، بنشر تاريخها على أهلها ، وهذا مدخل طريف ، كان له أكبر الأثر في توطيد مركزها وفى خارجها ، لم يسبقه إليه غيره : ومن خلال هذا الأسلوب المدرسى استطاع

أن يغرس مبادئ الدين القويم في النفوس ، ويتأى بالدراسة عن كل ما يس  
السياسة والساسة من قريب أو بعيد :

وفي عهد الخليفة الفاطمي الظاهر ، كان وزيره ابن السلار الكردي الاصل ،  
قد تولى الوزارة سنة ٥٤٣هـ وكان منبها شافيا ، وعمر بالقاهرة وسائر المدن  
والقرى المصرية عدة مساجد ، فلما كان واليا على الإسكندرية وسمع بالسلفي ،  
أكرمه فعمله مدرسة ، فوض إليه التدريس بها وسميت بالعادلية نسبة إلى الملك  
العادل الوزير ابن السلار ، وسميت بالسلفية نسبة إلى عالمها السلفي ، وقال ابن  
خلكان « ولم أر بالإسكندرية مدرسة للشافعيين سواها » (١) ولما كانت وفاة ابن  
السلار سنة ٥٤٨هـ ، فإن المدرسة أُنشئت خلال السنوات الخمس التي سبقت وفاته ،  
والأرجح أن ذلك كان سنة ٥٤٤هـ ، حيث كان السلفي قد جاوز أو قارب من  
العمر خمسة وسبعين عاما ، وهو ما يزال قوي الذاكرة ، وافر العلم ، بجم النشاط ،  
ثابت الأركان ، لا يزعزع مكانته في الناس وأولياء الأمور همزات الخلافات  
السياسية أو المذهبية ، التي عصفت بغيره من قبل ومن بعد .

والآن آن الأوان لكي نتقل بالقارىء إلى مرحلة الذروة من هذا البحث ،  
ونقصد بها الفترة النخبية من الحياة العلمية بالإسكندرية التي قضها السلفي بها ،  
والتي نود أن نفسح لها أوسع أبواب الكتاب تحت عنوان « الإسكندرية السلفية ،  
والسلفي الإسكندراني » أو « السلفي والإسكندرية » ... فإلى هناك .

( ٤ )

## السَّلفي .. والإسكندرية

« والإسكندرية .. مازال بها الحديث  
قليلًا حتى سكنها السلفي ، فصار  
مرحلاً إليها في الحديث والقراءات ،  
— السخاوي —



## التفاعل مع الزمان والمكان

لاشك أن العلم لا ينمو ولا يتزعرع إلا بتفاعل العالم مع الزمان والمكان ، يأخذ منها ويعطى الأجيال والأمصار ، ولهذا ينبغي أن تتوغل في كيمياء هذه التفاعلات التي أدت في النهاية إلى بلورة المفاهيم السلفية ، فالتخلف مكانها من التاريخ ، وكان لها من هذه المؤثرات العريضة ، ما جعل الفكر الإسلامي يزداد ازدهارا ، فاستحق السلفي أن يكون شخصية فكرية ، أصيلة ، ولها مكانها وبرراتها وعلاقتها .

حقا إن الرجل شافعي المذهب ، والإمام الشافعي ركن من أركان هذا الفكر الإسلامي ، فهل جاء السلفي مكتملا ما فات الشافعي ؟ أم جاء مجدداً ومبتكراً ، لم يسبقه أحد في هذا العمل التجديدي الابتكاري ؟ . . . ستري ونحكم .

وتحدث في هذا الفصل من الكتاب عن الإسكندرية السلفية ، والسلفي السكندري ، بمعنى أن الإسكندرية - منذ نزل بساحتها السلفي ، وأقام بها ، إلى أن توفاه الله - قد كان لها طابعها المميز في هذه الفترة من الزمان ، فما هو هذا الطابع ، حتى نستشف البيئة الجديدة التي عاش فيها الرجل ، الذي - لطول مقامه بها - أصبح يمسد في الإسكندرانيين ، إقامة ووفاء ، وإن كان من الأصفيانيين أصلاً ومولداً .

## الإسكندرية السلفية

وهي بالذات إسكندرية القرن السادس الهجرى ، إسكندرية الفاطميين والأيوبيين ، إسكندرية الصراع المذهبي بين السنة والشيعة ، إسكندرية الثورة السياسية والثقافية ، إسكندرية الإعلام الشواخ في أزهى عصره الفكر الإسلامى الخلاق ، إسكندرية النضال المرير ضد القراصنة ومؤامراتهم .

خمسة وستون عاما قضاهما السلفى في هذه البقعة الفذة من أرض مصر ، لم يغادرها غير مرة واحدة في حياته ، عندما زار القاهرة ، زيارة سلخت من عمره ونشاطه ثلاث سنوات ، ثم قفل راجعا إلى الثغر الذى استطابه دارا ، وتحفيره بجلا ومصلا لفكره السابق ، ولم يرحه بعد ذلك حتى لقي ربه .

وفى سنة ٦٩٩هـ توفى نور الدين محمود زنكى بدمشق ، ودبر جماعة من المواليين للدولة الفاطمية مؤامرة مع ملك صقلية يقصدون بها إعادة الحكم الفاطمى إلى ما كان عليه ، وكان من المتآمرين عمارة اليمنى الشاعر ، وقد استطاعوا أن يضموا إلى المؤامرة قسما مجهولا من الإسكندرية .

وانخدع الصقليون ، فإذا بهم يشنون غارة بحرية على الثغر ، فى أواخر تلك السنة ، وعلى الرغم من استشهاد أكثر من مائتى مقاتل بالإسكندرية فى سبيل شرف الدناخ عنها من أتراك وأيوبيين وكنايين ومغاربة وعرب البحيرة ، فإن الحملة قد منيت بالفشل ، وارتدت على أعقابها خاسرة ، وكشف صلاح الدين أمرار المؤامرة وكان الإعدام جزاء الخونة .

ترى هل كان لهذه الواقعة (١) أثر فى تفكير السلفى ؟ كلا ، فقد كان الرجل

---

(١) يتحدث عنها القاضى الفاضل والمهاد الكاتب .

— على ماقلنا — بعيدا عن الأحداث ، منزويا في مدرسته ومنزله ، يعمل صامتا في ميدان العلم ، وهو لا يقل أهمية عن ميدان النضال ، ولكل منهما دولة ورجال .

الإسكندرية يومئذ (جزيرة) في (جزيرة) مفصولة عن (جزيرة) ، وليس في ذلك تلاعب بالانقضاء أو تنميق العبارة ، نقصد بهما التشويق والإثارة ، وإنما هو الوصف الجغرافي الدقيق للإسكندرية ، في هذه الحقبة التي نسلط عليها أضواءنا الكشفية ، لنوضح أمام القارئ معالم الصورة الحقيقية ، نابضة بالحياة ، ناطقة بصوتها المسموع ، دافقة بأضواء منارها ، على أوسع الآفاق ، وأبعد الأعماق .

(جزيرة فاروس) التي يتوسطها الفنار ، كانت مفصولة عن الساحل الإفريقي ببوغاز مائي ، ثم ردمه فيما بعد ، فالتصت الجزيرة بالساحل وسميت (جزيرة رأس التين) ، ثم (رأس التين) فقط ، ويذكرها السلفي باسم (الجزيرة) وهي التي عاش فيها ، ومات فيها .

قبل ذلك الردم ، كانت الإسكندرية أو (جزيرة الرمل) ، يحدها البحر شمالا ، ويحيط بها خليج الإسكندرية (ترعة المحمودية حاليا) ، تمتد من فرع النيل الغربي ، وهو الفرع الكانوبي حتى يصب في البحر من جانبها الغربي .

هذه (الجزيرة) كان يفصلها خليج الإسكندرية عن جزيرة أخرى من الغرب ، وتنحصر بين البحر وبين الشواطئ الشمالية لبحيرة مريوط ، وتضم الآن مناطق الوردان والقبارى والمكس والدخيلة ، ولهذا قالوا إن الإسكندرية كانت تمتد من (أبو قير) شرقا إلى (أبو صير) غربا ، على شريط من الأرض بين البحر والبحيرة ، يأخذ في الضيق كلما اتجهنا إلى الغرب .

ومنذ وضع تخطيطها الإسكندرية الأكبر ، وشق طرقها ونظم ميادينها ورثته البطالمة ، وهي كما وصفوها وشبهوها برقعة الشطرنج : شوارعها مستقيمة طويلا وعرضا ، أطولها من الشرق إلى الغرب يسمى ( الطريق السكائوني ) أو ( طريق أبوقير ) وهو ما يسميه العرب ( المحجة الكبرى ) ونسميه نحن ( طريق الحرية ) الممتد من ( باب القمر ) إلى ( باب الشمس ) ومكانه الحالي ( باب شرق ) أي الباب الشرقي للدينة حيث كانت تفتح عنده مظاهر العمران ، ثم تنسع المسطحات الرملية والخلوات حتى أبوقير ، وتسمى اليوم بمنطقة ( الرمل ) ، كما أن أهم شوارعها الرأسية ما يسمى الآن بشارع النبي دانيال ، ويمتد من البحر شمالا ، ويقطع طريق الحرية ، ويمضي إلى الجنوب حتى خليج الإسكندرية ، ذلك الخليج الذي يمد أرجاء المدينة بقنوات من الماء اللذب ، تكسوها أغطية أشبه بالقناطر ، يتصل بعضها ببعض ، وتمتلئ بها صهاريج سفلية وآبار ، وتزدهر بها الدور والقصور والبساتين التي تكتنفها ، وأهمها قصر الإسكندرية ، الذي توفي به الملك توران شاه أخو صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٧٦ : على ما ذكره صاحب الروضتين .

ومامن زائر أو رحالة حل بالإسكندرية إلا وذكر عظمتها وأشد بساتنها ، ووصف منارها وخليجها المعروف وآثارها ومستلثيها وعمود السوارى بها ، وملعبها الشهير ، وأسوارها ، وأعمدتها القائمة والثابتة ، وديوانها ( جمرها ) ومدارسها وبجانها وكنائسها وأديرتها وصهاريجها ومزارعها وفنادقها ، وقصورها وبساتينها .

أما منطقة العمران من مدينة الإسكندرية في هذا العصر فهي المحصورة بين البحر شمالا والضفاف الشمالية من الخليج في استدارته من الغرب والجنوب حتى الباب الشرقي ، حيث تبدو آثار أسوار الإسكندرية القديمة من الناحية الشرقية ،

وما بعد ذلك حتى أبو قير ، تقع (منطقة الرمل) ، وهي التي وصفها أبو الفداء بقوله :  
« وبالإسكندرية جزيرة الرمل وهي بين خليج الإسكندرية وبين البحر المسالخ ،  
وطولها بقدر نصف مرحلة ، جميعا كروم وإساقين وتراها ومل نظيف ، حسن  
المنظر ، وخليج الإسكندرية الذي يأتيها من النيل من أحسن المتزهات لأنه ضيق  
مخضر الجانبين بالبساتين » . (١)

وكتب كاتب مرا كشي مجهول من أهل القرن السادس يصف الإسكندرية  
فقال إنها « أعظم مدن مصر » ، و « تعجب كل من رآها لبهجتها ، وحسن منظرها ،  
وارتفاع مبانيها وإتقانها ، وسعة شوارعها وطرفاتها ، وهي برية بحرية ، وفيها من  
النعم والأرزاق والقواكه ما ليس ببلد ، مع طيب هوائها وترتها » . (٢)

ولذا كانت الإسكندرية في هذا العصر قد ازدانت بالكثير من معالم حضارتها ،  
وآثار أجدادها ، فإن ما يميم القاري منها هنا هو آثارها الإسلامية من المقابر العامة  
والمساجد والرباطات والخانقاه ، وقد برزت أسماءها من ثنايا مؤلفات السلفي نفسه  
ومن جاء بعده من المؤرخين والرحالة . على امتداد القرون الثلاثة من الخامس حتى  
الثامن ، مثل ( مقبرة وعلة ) عند باب البحر حيث دفن الطرطوشي والسلفي  
وسند بن عنان وغيرهم من الصالحين ، وهي الآن في آخر السكة الجديدة بجى الجرك ،  
( مقبرة الديماس ) وهي ( كوم الدكة ) الحالي حيث دفن كثيرون من أيام الفتح  
الإسلامي ، وعندما قامت البعثة البولندية بالحفر في هذه المنطقة ، بحثا عن آثار  
المصرح الروماني . ظهرت مقابر عربية كثيرة تحت أنقاض مترامية فوقها مع  
مرور الزمن ، وكان بالإسكندرية في القرن السادس « دار الحكيم أرسططاليس »

(١) المختصر في أخبار البحر .

(٢) الاستبصار في عجائب الأمصار .

وفيهما حبس الأفضل غريمه المهندس الأندلسي أبا الصلت أمية<sup>(١)</sup> وكان بها أيضاً «مجلس سليمان» من الأعمدة الرخامية .<sup>(٢)</sup>

ومن المساجد القديمة التي اندثرت ثم امتدت إليها الأيدي بالتجديد والتعمير، إبقاء على ذكرى أصحابها أرباب الفضل : (المسجد القروي) وكان يسمى (جامع الألف عمود) وأصله كنيسة قديمة ، ولعله مسجد عبد الله بن عمرو بن العاص ، الذي اشترك مع أبيه في فتح الإسكندرية ، ويسمى الآن (المسجد العمري) عند ملتقى شارعى الخديوى الأول وأبى الرداء .

أما أبرز المساجد والمدارس في الإسكندرية السلفية فتذكرها فيما يلي :

- ١ — جامع العطارين : أو مسجد الجيوشى أو جامع الاسكندرية أو جامع الثغر أو « الجامع » فقط ، وكان في الأصل كنيسة ، فانقلب مسجداً ثم عمره بدر الجالى أمير الجيوش سنة ٧٧٤ هـ من الغرامة المالية التي فرضها على أهل الاسكندرية مسلمين ومسيحيين وقدرها ١٢٠ ألف دينار ، تأديدا لهم على الثروة التي قاموا بها ، وقد أراد بإنشائه أن يكون مركزا للنشر المذهب الشيعى بالاسكندرية ، لإرضاء للخليفة الفاطمى، ولا يزال قائما إلى يومنا هذا ، وسمى باسمه شارع جامع العطارين، المتقاطع مع طريق الحرية الحالي ، وسمى بالعطارين لوجوده في «سوق العطارين» ، حيث راجت تجارة التوابل من الشرق في طريقها عبر الاسكندرية إلى أوروبا .
- ٢ — مسجد القمرأ : ويقع عند باب رشيد أو باب شرقى حاليا ، وكان يشتهر مدرسة عليية حيث قرأ فيه ابن الطفيل البغددي المقرئ ، كتاب « التذكرة »

(١) معجم الأدباء : ياقوت الحموى .

(٢) تحفة الألباب : للفرناطى وقد سكن الإسكندرية سنة ٥٠٨ هـ .

في القراءات لابن غلبون المقرئ سنة ٥٠٥ هـ (١) .

٣ — مدرسة الطرطوشي : بنتها للإمام أبي بكر الطرطوشي زوجته وهي خالة أبي طاهر بن عوف الزهرى من ماله الخايس ، وجعلت مسكنهما فوقها ، وتخصصت هذه المدرسة في تدريس الفقه المالكي ، وأغلب الظن أنها أنشئت قبل سنة ٥١٥ أى قبل وفاة الطرطوشي بخمس سنوات على الأقل ، وقد أشادوا بفضل الطرطوشي فقالوا إنه نقل العلم إلى الإسكندرية ، إشارة إلى تنكيل الأفضل بعلماها قتلا وتشريدا ، كما ذكرنا ذلك مفصلا ، وكانت تقع هذه المدرسة في حي الجمرك بالقرب من مسجده الحال ، وعلى هذا كانت هذه المدرسة نافذة الطرطوشي التي يطل منها بعلمه الغزير على الإسكندرية وما وراءها .

٤ — مسجد الطرطوشي : وهو لا يزال قائما إلى اليوم عند باب البحر ويضم ضريح الطرطوشي ، وقد أمر الوزير الفاطمي المأمون البطائحي بإنشائه من مال ديوانه سنة ٥١٦ هـ ، تكريما للإمام الطرطوشي ، وبناء على اقتراح تقدم به إليه عندما زاره بالقاهرة وأهداه كتابه « سراج الملوك » جزاء وفاقا على فك سراحه ، بعد أن زج به الأفضل في السجن ، وقد كتب المأمون إلى قاضي الإسكندرية ابن حديد بتنفيذ فكرة المسجد بظاهر الثغر على شاطئ البحر ، حسبما يراه الطرطوشي وأن يبالغ في إتقانه ، ومن الطبيعي أن يكون بناء هذا المسجد قد تم بعد بناء المدرسة ، وكلاهما مفسوب إلى الإمام الطرطوشي ، الذي اتخذ من المسجد والمدرسة مركزين لمكافحة التشيع وإعلاء كلمة السنة ، ومحاربة البدعة .

٥ — المدرسة المادلية : وهي المدرسة السلفية وكانت تقع في هذه المنطقة التي هي

---

(١) فهرست مارواه من شيوخه ابن خير الإشبيلي .

باب البحر بالقرب من ( مقبرة أوعلة ) عند ( السكة الجديدة ) . بناها للشافعية الوزير العادل ابن السلار سنة ٥٤٣ هـ وقبل سنة ٤٤٤ هـ ، وفوض التدريس بها للإمام الحافظ السلفي . وكانت بالقرب من داره ، داخل السور عند الباب الأخضر بالقرب من مدرسة الطرطوشي ، وتخصصت في تدريس الحديث والفقه الشافعي ، فسميت أيضا بالمدرسة الشافعية ، وفيها سمع عليه صلاح الدين الأيوبي في رمضان من عام ٥٧٢ هـ ، وقال ابن خلكان « ولم أر بالإسكندرية مدرسة للشافعيين سواها » (١) ولعله يقصد بذلك أنها أول مدرسة للشافعيين بها ، وإلا فهناك مدرسة أخرى ستذكرها بعد قليل .

٦ — مسجد المؤتمن : وينسب إلى بانيه المؤتمن سلطان الملوك نظام الدين أبي تراب حيدرة والى الإسكندرية في خلافة الأمر بحكام الله ، عندما تولى ولاية الإسكندرية سنة ٥١٧ هـ ، وكان مكانه بالحجة الكبرى ، أى طريق الحرية وهو الطريق الرئيسى بالإسكندرية الممتد من غربها إلى شرقها ، وهو أطول طرقها على الإطلاق وأوسعها ، وعلى جانبيه كانت توجد أهم منشآت الإسكندرية على مر العصور .

٧ — المدرسة المكيئية : وذكرها السلفي في « معجم السفر » وكان إمامها هو أبو القاسم السفاقي البصير ، ولعلها تنسب إلى أبي المعالي محمود بن ناصر بن القاسم الكاتب المكيئي المتوفى سنة ٥٢٥ هـ ، وقد كتب إليه بالإسكندرية وقرأ علوم الأوائل ولاندرى أين كان مكانها ، وهى من المدارس التى اندثرت مع مرور الزمن .

٨ — المدرسة العوفية : وتنسب إلى الحافظ أبي طاهر بن عوف الزهرى

المتوفى سنة ٥٨١ هـ تليذ الطروشى وكانت تقع فى المحجة الكبرى ( طريق الحرية حالياً ) من الجهة الغربية من غير شك ، وخصصت الذهب للمالكي ، بناها الوزير الفاطمى رضوان بن ولحشى سنة ٥٣٣ هـ ، غير أن ابن ميسر قد ذكر أنها بنيت سنة ٥٣٢ فى السنة التى تولى فيها شمس الخلافة مختار الأفضل صاحب بهرام ولاية الإسكندرية ، وقرر فيها ابن عوف لتدريس الفقه والحديث والتفسير ، وقال صاحب « تاريخ الخلفاء » (١) « وهى أول مدرسة فى مصر فى أواخر العهد الفاطمى ، وسميت بالرضوانية أيضا ، وكذلك بالحافظية .

٩ — مدرسة ابن جارة (٢) : وكانت مدرسة ومسجدا فى آن واحد ، حيث كان يجتمع الطلاب والفقهاء دارسين ومدرسين ولكل من للمدرس والدارس مرتب شهري وإن كان ضئيلا ، وقد شيدها صاحب الوزير الصق عبد الله بن على ناظر ديوان الاسكندرية فى أوائل عهد صلاح الدين الأيوبي تقديراً له لذكوى الفقيه المغربى المالكي السكندري أبى القاسم بن جارة المتوفى سنة ٥٣٣ هـ ، والذي كان من أكابر العلماء ولا يخاف فى الحق لومة لائم ، وكان يحضر عنده بالمدرسة أعيان الفقهاء وحنافى الطلاب وعلى رأسهم الوزير نفسه ، ولما مات ابن جارة فى عهده ، انتقلت لإدارة المسجد إلى ابنه فاته هو أيضاً فى عهد الصاحب ولم ينبج ، فرأى أن يتولاهما من بخلف الشيخ ، على أن يكون له تدريس الفقه والإفتاء بالمدرسة ، لإحياء لذكراه كما لم كان له قدره وهيبته ، فمهد بذلك إلى قاضى الإسكندرية وخطيبها جمال الدين الرينى ، الذى أبى أن يتناول على عمله هذا أجرا ، ووقف

---

(١) السيوطى .

(٢) للفاخر الدية : الحسن بن عتيق .

الصاحب على المدرسة - فيما وقف عليها - ما يسمى بالوقف الصاحي بالاسكندرية وقدره ديناران، كان القاضي ينفقهما على تعمير مساجد أخرى بالثغر .

١ - المدرسة الصلاحية : أو المدرسة الشافعية أو مدرسة الشافعيين ، بناها السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة ٧٧٠ هـ ، بعد وفاة السلبي بعام واحد ، وأراد بإنشائها الاستزادة من نشر المذاهب السنية ، لطمس معالم المذهب الشيعي الذي كانت عليه الدولة الفاطمية ، وربما أراد بإنشائها ، على ضريح أخيه توران شاه دفن الإسكندرية ، تخليد ذكراه ، وقد توفي في نفس السنة التي توفي فيها السلبي ، وكانت « لا تبطل القراءة منها ولا طلب العلم ليلا ونهارا » .

ولقد سمع صلاح الدين ومعه ولده والقاضي الفاضل كاتب لإنشائه والعماد الكاتب الأصهباني وسائر كبار الحاشية دروسا في الحديث على الإمام أبي طاهر بن عوف من موطأ مالك برواية الطرطوشي سنة ٥٧٧ هـ ، وقد سجل هذه الواقعة القاضي الفاضل وهنا صلاح الدين بهذا السماع ، وقارن بينه وبين الرشيد وهو يسمع من الإمام مالك نفسه ببغداد ، ومعه ولده الأمين والمأمون ، ولا ندري إن كان هذا قد تم بهذه المدرسة الشافعية ، أم بالمدرسة العوفية المالكية ، طالما أن صلاح الدين كان يحل الإمام ابن عوف ، وقد خلف الطرطوشي على المالكية ، والآخرى أن يسمع منه في مدرسته ، المهم هو أن المدرسة الصلاحية ، كانت المدرسة الشافعية الثانية بالاسكندرية .

وقد بالغ بعضهم فقال إن الإسكندرية كانت تضم بين أرجائها إذ ذاك مائة وثمانين مدرسة لطلب العلم ، منها الرشيدية والحافظية والبصائية والنبهية ومدرسة بني حديد ومدرسة ابن حياصة (١) وقد استطلعنا والحمد لله كشف الغبار عن بعض

(١) بدائع البداة : ابن ظافر - الاسلام : التوربي السكندري .

هذه المدارس ، مما يشير إلى كثرة مراكز الثقافة بالاسكندرية المسماة بالمدارس ، كما كان بها ( جامع الدوائقي ) والمسجد ( المزيدي ) ، وكان هناك رجال مهمتهم نقل الإجازات العلمية بين بغداد والاسكندرية ، فسموا بالإجازاتية ، منهم أبو الحسن علي بن النفيس البغدادى الإجازانى واشتهر بابن المقدسى وابن المكبر سمع ببغداد ودمشق ومصر والاسكندرية ومات بالقاهرة سنة ٦٤٠ .

١١ — دار المغاربة : لما كانت الدولة الفاطمية من أصل مغربى ، فقد استخدمت أبناء جاليتها فى المناصب الحكومية ، ومن الطبيعى أن تكون الجالية المغربية أكبر الجاليات الإسلامية فى مصر والاسكندرية ، وكان من سياسة صلاح الدين كسب هذه الطائفة إلى جانبه ، بعد أن انقضت أيام الدولة الفاطمية ، فأنشأ داراً للمغاربة بالاسكندرية ، لتحويل أنظارهم عن المذهب الشيعى ، الذى كانت عليه دولتهم القارية وهذه الدار أشبه بجامعة إسلامية جديدة بالاسكندرية ، فإذا كانت المدارس التى ذكرناها قد خصصت للفقه والحديث على أحد المذهبين الشافعى أو المالكى ، وعهد بذلك إلى السلفى الشافعى أو ابن عوف المالكى ، فإن دار المغاربة كانت شاملة لجميع المذاهب السنية بالإضافة إلى مختلف فروع الثقافة الإسلامية ، وجعلها لطلاب العلم والتعب من الوافدين إلى الاسكندرية من الأقطار النائية ، ولاسيما بلاد المغرب ، فيلقى كل واحد منهم مسكناً يأوى إليه ، ومدرساً يعلمه الفن (الفرع من العلوم الإسلامية) الذى يريد تعلمه ، وإجراء ( راتباً منتظماً ) يقوم به ( أى يكفيه ) فى جميع أحواله ، واتسع اعتناء السلطان ( أى صلاح الدين ) بهؤلاء الغرباء الطائرين ( أى الوافدين ) ، حتى أمر بتعيين حمامات يستحمون فيها ، متى احتاجوا إلى ذلك ، ونصب لهم مارستاناً ( أى مستشفى ) لعلاج من يمرض

منهم ، وكل بهم أطباء يتفقدون أحوالهم ، وتحت أيديهم خدام يأمرونهم بالنظر في مصالحهم ، من علاج وغذاء ، ورتب وجالا لزيادة المرضى الذين يترفعون عن العلاج بالمارستان من الغرباء خاصة ، ويعيشوا بما يرونه إلى الأطباء ليعالجوهم<sup>(١)</sup>.

وهذا عرفت الإسكندرية النظام الجامعي ، والتخصص في فروع العلم ، والمدينة الجامعية ، والاهتمام بالمقربين من طلاب العلم على نحو متكامل من توفير الخدمات العلمية والصحية والاقتصادية والضمان الاجتماعي ، والتفرغ للعلم ، كل ذلك عن طريق «دارالمعارف» بالإسكندرية ، أما شيخ السلفي المسمى محمد بن عبد الجبار الفرسانى المغربى ( المنسوب إلى فرسان وهى قرية بشمال إفريقيا ببلاد المغرب ) - وقد ذكره الذهبي<sup>(٢)</sup> - فلا يبعد أن يكون السلفي قد أخذ عنه في الإسكندرية .

١٢ - المساجد والرباطات : وعرفت الإسكندرية عدداً من دور العبادة الصوفية كالرباط والخانقاه ، التى كان يأوى إليها المتصوفة والمعتزلة من الزهاد والعباد ، وكان السلفي نفسه يسكن في رباط بالإسكندرية مع رفيقه ، ولعل ذلك كان عند قدومه إليها ، وفيما بعد أنشأ بها الأمير الهكاري - متولى الإسكندرية والمتوفى سنة ٦٨٣ - «رباط الهكاري»<sup>(٣)</sup> ، خارج باب رشيد وقد دُفِن فيه بعد موته .

وهذا ابن جبير صاحب الرحلة المعروفة ودفن بالإسكندرية بمقبرة<sup>(٤)</sup>

(١) رحلة ابن جبير .

(٢) للشلبه في الرجال .

(٣) وفيات الأعيان : ابن خلكان .

(٤) التكملة : المنبرى .

عمرو بن العاص ، وزجج انهما مقبرة الديماس أى كوم الدكة حيث توفي ودفن سنة ٦١٤ ، وقد اشاد بفضل صلاح الدين على الإسكندرية ، ورد إليه الكثير من الإصلاحات والمنشآت بها كالمدارس والمحارس والمسالح والاستحكامات فى الإسكندرية ، فى على حد قوله « أكثر بلاد الله مساجد ، ما بين اثني عشر ألفاً وثمانية آلاف ، فى كل موضع منها أربعة أو خمسة ، وربما كانت مركبة ، أى أنها مدرسة ومسجد فى آن واحد ، ولها أئمة يرتبهم السلطان ، للواحد خمسة دنانير فى الشهر أو أكثر أو أقل ، ثم يؤكد لنا أن لصلاح الدين ، جامعاً هو مصلى الجمعة البالكين . وذلك بخلاف ما شيده من مدارس للشافعيين ، ليستعين بهؤلاء وهؤلاء من أهل السنة ، على الشيعة والقضاء على مذهب التشيع ، وبحو كل أثر للفاطميين فى الإسكندرية بالذات .

وذكر المروى (١) أن ابن منقذ أخبره أنه وجد بالإسكندرية اثني عشر ألف مسجد ، فآل المروى القاضى الكاتب عن ذلك فقال له « إن الملك العزيز عثمان (وهو ابن صلاح الدين) كشف ذلك فوجدوا بها ألف مسجد .

ولما قدم ابن خزيمة الإسكندرية سنة ٥٦٠ وأقام بها أربعين سنة ، أى أنه عاصر السلفى بها ، قال إن بها ثمانمائة مسجد منها مائة وتسعون للخطبة « وكان بها مائتو ثمانون مدرسة لطلب العلم ، حتى كان بالمدرسة خطاطون يكتبون على الفتاوى (٢)

(١) رسالة فى فضل الاسكندرية : السيوطى

(٢) رسالة فى فضل الاسكندرية : السيوطى

وهناك جزيرة الإسكندرية - وهي رأس التين حالياً وقبل اتصالها بفاروس  
 بدم القناة التي كانت تصل ما بين المينائين - وكان السلفي يسميها (الجزيرة) ،  
 ويظهر أن كثيراً من المتطوعين للدفاع عن الإسكندرية كانوا يرابطون بها ، تقريباً  
 إلى الله تعالى وجهاداً في سبيله ، اعتقاداً منهم بما ورد من أحاديث عن فضل  
 الرباط بالإسكندرية ، وقد أورد السيوطي وابن الصباغ من قبله عدداً  
 من هذه الأحاديث ، وقال السلفي إن فلاناً « كان من المرابطين بالجزيرة من  
 الإسكندرية . »

ولقد أشار ابن جبير إلى أن أهل الإسكندرية - كما لمس ذلك بنفسه - كانوا  
 « يعملون في معاشهم بالليل والنهار على السواء ، مما يمكن أن نفهم منه أن الحركة  
 والنشاط في شتى ظروف الحياة الدنيوية والدينية هما السمة التي عرفت بها  
 الإسكندرية إذ ذاك ، ولا سيما إذا عرفنا أن هذه المدينة قد بلغت أوج ازدهارها  
 الاقتصادي والعمراني والثقافي في عصر السلفي ، وكان بها عدد ضخم من الطوائف  
 الأجنبية ولهم فنادق وأسواق ومصالح كثيرة فضلاً عن المسلمين من المشاركة  
 والمعاربة تجاراً وحجاجاً وطلاب علم وفقهاء ، وليس هذا بكثير على هذا الثغر  
 الإسلامي الذي أعده خلفاء الفاطميين وسلاطين الأيوبيين من بعدهم لسحق غارات  
 الصليبيين على مصر والشام والعالم الإسلامي .

وإذا كانت المسالفة قد مدت يدها إلى هذه الأعداد الضخمة من المؤسسات  
 العلمية بالإسكندرية ، إلا أن الحقيقة التي تبرز لنا - على الرغم من ذلك - هي  
 أن « الإسكندرية السلفية » كانت تحتوى على مراكز للثقافة الإسلامية الشاملة ،  
 وبها جميعاً ناطحت مدارس بغداد ودمشق والكوفة والموصل والحرمين وقوص  
 والقاهرة .

## الإسكندرية محظوظة

هذا ، وإلى جانب هذه الحقائق الناطقة بالمكانة التنافسية الكبرى التي تبوأتها الإسكندرية ، نرى أن هذه المدينة كانت محظوظة ، فهناك عوامل أخرى ساعدت على خلق هذه المكانة والحفاظ عليها عدة قرون

ذلك أنه كان من عادة سلاطين الدولة الأيوبية وملوكها أن يرسلوا الصدقات إلى الإسكندرية ، وكان يخصص منها قدر كبير للدرسين والائمة في المدارس والجموع ، فضلا عن الرواتب المقررة للطلاب المنقطعين للعلم ولاسيما الرافدين ، المقيمين بدار المغاربة ، أى أن الإسكندرية عرفت النظام الجامعي والمدينة الجامعية وبذل التفرغ قبل غيرها من المدن الإسلامية .

وأكثر من ذلك ، فإن الإسكندرية قد عرفت نظام ( المعاشات ) و ( الضمان الاجتماعي ) بالنسبة للعلماء وذرياتهم من بعدهم ، وكان ذلك بناء على رأى تقدم به فقيه الإسكندرية أبو الطاهر بن عوف ، ويقضى بتحديد رسم على صادرات ديوان الإسكندرية ( وهو الجسر ) من بلاد الإفرنج ، ويخصص لمرتبات فقهاء الإسكندرية وأهلهم من بعدهم ، وقد تبنى صلاح الدين هذا الرأى وعمل به ، وجعل للصادر مديراً يتولاه ، ويماونه موظفون آخرون .

ومن أهم العوامل التي ساعدت على تنمية المدارك العلمية عند علماء الإسكندرية وطلاب العلم معهم ، وجود الكتب الإسلامية فيها بكثرة ، فكان يملئها يكتبها أناس متفرغون للنسخة وتجليدها وتقدير أثمانها ، فظهرت طوائف النساخين والوراقين والمجلدين وسماسرة الكتب ؛ وكان مع هذا منهم علماء وفقهاء ، لهم وزنهم واعتبارهم في الحركة الفكرية .

وكانت الكتب بصفة عامة موضع اهتمام الفاطميين والأيوبيين على السواء ،  
ففي أيام المستنصر بالله الخليفة الفاطمي ، نهب المتمردون عليه «دار العلم الحاكية»  
بالقاهرة ، وأحرقوا الكثير من كتبها ، واتخذوا من جلودها نمالاً ، وما تبقى منها نقل  
عبر النيل إلى الإسكندرية سنة ٤٦١ هـ وما بعدها ، حلها الأتراك إليها فباعوها بشمن  
بخس ، وأحرقوا العديد من أوراقها ، لأنها كانت تنطوي على أسرار الفاطمية ،  
وما أشد كراهيتهم لهم .

« وكان السلفي نفسه مغرمًا بجمع الكتب ، حصل منها الكثير ، وكتب بخطه  
— ولا سيما من الأجزاء — مالا يعد كثرة » هكذا قال السبكي<sup>(١)</sup> ، ولما انتقل  
السلفي إلى رحمة الله ، سار الوجه بن صورة المصري دلال الكتب ومسارها من  
مصر إلى الإسكندرية ، ليبيع كتبه التي كانت وحدها عماد المدرسة السلفية ، لأن لم  
تكن عماد الإسكندرية كلها بل الشرق كله ، سواء منها مقتنياته أو مخطوطاته أو  
مذكراته أو أماليه .

وكان السلفي معنيًا كل العناية بعلم الحديث ، ولذا نراه يروي ويحدث بكتاب  
لابن الصباغ المتوفى على الأرجح بعد سنة ٤٦٠ هجرية عن «فضائل الإسكندرية»  
كله أحاديث لها أسانيد عن ثواب المرابطين بالإسكندرية ، وسمعه السلفي من  
إبراهيم بن الحصن الموسوي نقيب النقباء بمصر ، وسمعه من السلفي بالإسكندرية  
سنة ٧٣٠ هـ . الإمام عز الدين بن رواحة الأنصاري الحموي ، وهذا بدوره رواه  
بجلب سنة ٦٣٥ هـ .

وفيما بعد شئى الإمام السيوطي يكمل هذا الكتاب ويحدثه معالم جديدة عن

(١) الطبقات الكبرى : السبكي .

الإسكندرية، تحدث بها ابن خزيمة الذي دخل الإسكندرية سنة ٥٦٠ وعاش بها أربعين سنة، كأنها كانت أربعين يوما فيها لها من مدينة بها حدائق وماء رائق، وأهلها الخير فاعلون، لا تبطل القراءة منها ولا طلب العلم لا ليلا ولا نهاراً، على حد قول ابن خزيمة<sup>(١)</sup>.

وفي عصر السلفي عرفت الإسكندرية (دور الكتب) الموقوف عليها من الحكومتين المركزية والمحلية، وكان يتولى الإشراف على هذه الكتب القيمة رجال أمناء على العلم، ومن أهل البصر بأبعاد الثقافة، فقد ذكر السلفي أن أبا عبد الله الطائي محمد ابن الحسن بن زرارة الشاعر الأديب النحوي اللغوي، كان يشرف على بیمارستان الإسكندرية (المستشفى)، ويتولى الكتب المحبسة (أى الموقوف عليها من الدولة) فى الجامع، ولعله جامع عمرو بن العاص أقدم جوامع الإسكندرية أو جامع المالكية الذى أنشأه صلاح الدين، وحدثننا عنه ابن جبير، أو غيرهما. المهم أنه كانت للطائى هذا حطة لإقراء الأدب<sup>(٢)</sup>، إلى جانب وظيفته، كأمين للكتبة العامة ومدير للمستشفى العام بالإسكندرية،

واكتظت المعاهد العلمية بمخزائن المخطوطات فى دار الحديث ومدرسة الطرطوشى ومدرسة السلفي<sup>(٣)</sup>، ولقد ذكر أصحاب التراجم فيما ذكروا أن أبا عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة المرسي الأندلسى، المحدث، والمتوفى بشاطبة سنة ٥٦٦، رحل إلى الإسكندرية، فلقى أبا الحاج يوسف بن نادر الميورقي، ولنى السلفي، وقالوا إن ابن سعادة هذا كان عنده أصول بنط السلفي، لصحيحى

(١) رسالة فى فضل ثمر الإسكندرية: السيوطي .

(٢) راجع أيضا الفتى لقرنيزى وبنية الوعاة: السيوطي .

(٣) خزائن الكتب العربية فى الخاناتين: فيليب طرازي .

البخارى ومسلم فى سفرين ، لم يكن عند الشيوخ مثل كتبه فى صحتها وجودتها ولقائها .

كما أن أبا الحسن بن مشرف الأنطاكى — على ما ذكره السلفى — كان كثير الساعات ، محبا لطلب العلم ، وسمع السلفى منه كتباً لابن قتيبة — وهى فى القراءات كما نعلم — ولغير ابن قتيبة ، واقتنى من أصوله التى لا يرتاب فيها أكثر من مائة جزء ، وكان معنياً باقتناء الكتب ، وخلف منها ما لم يخلف غيره بالإسكندرية ، واشترى السلفى كثيراً منها . . .

تلك هى الإسكندرية السلفية ، فأين منها السلفى الإسكندرانى .

## السلفى الأسكندرانى

قلنا إن السلفى قدم الإسكندرية فى عام ٥١١ هـ ، وهى تموج بالاضطرابات السياسية ، ويمانى علماؤها وقهاؤها من الوزراء الفاطميين أبشع ألوان التنكيل والتفتيل والتشريد ، فى فترة يطلق عليها السلفى « أيام الفتنة » ، لهذا عاش السلفى عندما دخل الإسكندرية فى رباطها وكان وفيقه الراهب الأبهري كاسول بن أبى بكر ، وكان قد لقيه قبلاً بقزوين وصاحبه بها فترة ، فالبث غير قليل حتى عمد إلى مصر ، وهى تطلق يومئذ على القسطنطين ، هجرة منه إلى الله ورسوله ، وفراراً بدينه وعله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، ورغبة منه فى التعرف على معالم الثقافة القاهرية الفاطمية ، والالتقاء بعلمائها الذين عمرت بهم حلقات الدرس فى ( الجامع الأزهر ) الفاطمى القاهرى و ( جامع عمرو بن العاص ) السنى القسطنطينى بمصر القديمة ،

وبها ثوى (الإمام الشافعى) مفتخرة مصر والمصريين ، وصاحب المذهب الفقهى الذى عليه السلفى .

ولقد آثر السلفى بهذه الرحلة أن يكون على بحيثته ، فلم يشترك فى معمة الخلافات ، بل تخير المسالك الهادى ، والنفس الطويل ، سواء فى دراسته العلمية بالقسطاط على أيدي علمائها ، أو فى تدريسه هو لطلاب العلم بها حيث كان له حلقة لتدريس الحديث بجامع عمرو كما لساثر العلماء به من حلقات ، وبهذا نجح من كل سوء ، وساعدته فى ذلك منه الناضجة ، وخبرته بالطبائع البشرية ، وتمسكه بأصول الدعوة إلى الدين فى صبر وأناة ، مع مراعاة مقتضى الحال .

ولهذا نرى السلفى فى الفترة التى قضاها بمصر فى السنوات الثلاث وهمى ٥١٥ و ٥١٦ و ٥١٧ يقطن مع بعض الزهاد والمتصوفة فى ظرف يقتضى منه أن يلزم بعض المسالك الصوفية ، مع الاعتدال فى الأخذ على أيدي المصريين ، بعيدا كل البعد عن السلطان والوزير ، فإزهده فى التقرب إلى أحدهما أو كليهما للوصول إلى المكانة التى كثيرا ماكان يطمح إليها غيره .

ولم ينس أثناء إقامته بمصر أن يزور قبور الصالحين والصالحات كالسيدة نفيسة (١) كما يقول ابن ميهوب .

وبمصر فى هذه السنوات الثلاث ، تعرف السلفى بمجموعة طيبة ، وصفوة مختارة من العلماء ، نستطيع استخلاصهم من ثنايا السيرة السلفية ، ونجمع شتاتهم فى الثبوت الآتى :

---

(١) الكواكب الجاورة : ابن الزيات .

— أبو عبد الله محمد بن خذاذ بن إسماعيل الأهوازي ، العالم الصالح والتاجر الثرى ، النبطي الأصل ، تحدث عنه السلفى وعن إقامة بداره بمصر ، أيام إقامته بها ، وكان ظاهر المروءة على حد قوله ، ومن رؤساء مصر المولدين بها ، وكانت له دار وكافة ، وكان شافعى المذهب محباً للعلم وأهله .

— عبد الكريم بن الحسن بن المحسن بن سوار المصري المقرئ النحوى ، سمع منه السلفى ، وبرع فى القراءات وعلما والتفسير واللغة وغوامضها ، وكانت له حلفة إقراء بمصر وتوفى سنة ٥٢٥ عن ٦٨ سنة .

— أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الله بن الحسين بن بشر الجوهري الواعظ ، وقد سمع منه السلفى بمصر والإسكندرية وبها توفى سنة ٥٢٨ ، وربما يكون هو ( سيدى بشر ) صاحب الضريح والمسجد برمل الإسكندرية والذي لشهرته بها سميت منطقة كبيرة من الإسكندرية باسمه ، وقد سمع منه بمصر سكندرى آخر هو أبو القاسم نجما بن على بن الحسن الرملى المؤذن بدارا الطرطوشى ثم عند السلفى ، وقد لقي هذا الأخير بالإسكندرية .

— ظافر الحداد الشاعر الأسكندراني المتوفى سنة ٥٢٨ ، وقد التقى به السلفى وسمع شعره ، وتوطلت الصداقة بينهما ، وله ديوان شعر كبير طبع فى القاهرة مؤخرأ .

— أبو القاسم عبد الفتى بن الزهران الملعول ، سمع منه السلفى أخبارا عن أبى العباس أحمد بن تقيس المقرئ .

— أبو الاسوار عمر بن المنتهـل الباني التاجر ، دخل أصبهان وبغداد والموصل ودمشق واليمن ، ولقيه السلفى بمصر سنة ٥١٦ ، وقرأ عليه أحاديث ،

وسمع منه ومعه أبو صادق المديني وغيره ، مات بالحجاز ، وكان يلزم السلفي مدة إقامته بمصر .

— أبو الحسن بن روزه الخزاعي المحدث ، سمع عليه السلفي بمصر ، وتوفي بها . أما ابنه عبد الرحمن فكان أحد جيران السلفي بالإسكندرية .

— أبو عمرو عثمان بن علي بن عمر المرقوسي النحوي الشاعر اللغوي العالم بالفراءات والنحو والعروض ، وصاحب المؤلفات فيها ، وكانت له حلقة للإقراء بجامع مصر ( أى جامع عمرو بالقسطاط ) ، وكان يلزم السلفي مدة إقامته بها ، وسمع عليه وعلى من كان يقرأ عليه كتابي صادق المديني وابن بركات والفرا الموصل .

— أبو عمرو عثمان بن محمد المشكائي<sup>(١)</sup> الصوفي الجوال ، وكان إلى جانب تصوفه ميالا إلى سماع الحديث ، وكان تلاء للقرآن ، وسمع من السلفي بمصر .

— أبو الحسن علي بن الحسين بن عمر الفراء الموصل ، وهو من ثقات الرواة بمصر ، ومن شيوخها الذين كتب عنه السلفي ، وسمع بالإسكندرية أبا العباس الرازي ، كما سمع بمكة والقدس وكانت وفاته سنة ٥١٩ عن ٨٦ سنة .

— أبو عثمان عبد المنعم بن المسلم بن موسى بن حديد الأبنودي الصعيدي الذي انقطع في آخر عمره إلى قراقة مصر للعبادة والزهادة .

— أبو الطاهر عبد المنعم بن موهوب المحدث المجتهد الذي لازم السلفي مدة إقامته بمصر ، وسمع عليه وعلى غيره الكثير من الأحاديث وتوفي سنة ٥٦٠ هـ .

---

(١) مشكان : بضم الليم ، من مدل قصتان بفارس .

— أبو محمد عبد السلام بن علي بن أحمد بن الطوير القيسراني المعدل ، كان أبوه من فقهاء الإسكندرية ، وكان بها مسموع الكلمة ، فضربوا عنقه فأتى شهيد الحق ، وسمع بمكة ومصر ، وكان يحضر عند الساني ، وسمع منه أبو عبد الله الرازي ابن الخطاب .

— عبد الرشيد بن المظفر بن عبد الحميد الجهندي التاجر الذي سافر إلى بلاد الترك والصين والهند ، وكان يحب الحديث وقد تفقه من صغره ، وحضر على السلفي بمصر وسمع منه ٥١٥ .

— أبو الحسن علي بن يوسف بن فضالة المصلي اللواتي ، وقد سمع السلفي منه قصيدة لابن مكنسة الشاعر القرشي السكندري المعروف المتوفى بالإسكندرية سنة ٥١٠ هـ

— ابن سلامة الروحاني الرحبي (١) المقرئ ، سمع ببغداد ودمشق والقدس وتونس ومصر ، وحضر عليه الساني بجامع عمرو في مجلس أبي صادق المدني .

— أبو القاسم مجير بن محمد بن عبد العزيز بن أبي الحباب الصقلي المدني ، ولد بصقلية ، وانتقل إلى مصر سنة ٤٨١ ، وحضر على السلفي سنة ٥١٥ بمصر ، وكان يأنس به ، ونقل عنه الساني شعراً له ولشعراء صقلية ، وشهد بمصر .

— أبو الفتح نصر بن عبد المحسن بن سلامة الرشيدى (٢) ، وقد صامت أمه ضياء بنت الزينى خمساً وثلاثين سنة ، لم تقطر فيها إلا الأيام المحرم فيها الصيام .

---

(١) من رحبة مالك بالشام .

(٢) من مدينة رشيد شرق الإسكندرية .

— أبو الفوارس نجا بن عامر بن نجا الأزدي الأنصاري ، وكانت عمته سيدة بنت نجا امرأة صالحة تبيت عند السلفي ، ويأنس بها لعلها وتقواها .

— أبو كثير ناعي بن محمد بن موسى الحسيني ، وهو من ذرية سيدنا الحسن ابن علي سبط رسول الله ﷺ وابن ربحانة قلبه فاطمة الزهراء ، سكن مكة ، ومصر ثم قدم الاسكندرية ، ولفقيه السلفي بها .

— أبو الحسن هبة الله الكاتب ، روى السلفي أشعارا لابن مكنسة .

— أبو القاسم هبة الله بن عبد المحسن بن عيسى الطائي مؤلف المقامات على طريقة بديع الزمان الهمداني والحريري الطوسي ، وسمعا السلفي منه في الاسكندرية ، وقد تولى مناصب كبرى بها ثم عزل ، وعاد إلى مصر ، وكان من أهل السنة ، ولفقيه السلفي كثيراً .

— أبو العباس أحمد بن عبد الله بن الحطيئة النخعي القاسي رئيس القراء بالسبع ، جاء من بلده فاس وسكن مصر وتصدر للإقراء بها ، روى عنه السلفي ، عرضوا عليه قضاء مصر في العهد الفاطمي فاشتراط ألا يقضى بالمذهب الشيعي وهو مذهب الدولة فرفضوا فرفض ، ومات بالقاهرة سنة ٥٥٦ هـ ودفن بالقرافة .

هذه النخبة من المثقفين الذين اجتمع بهم السلفي بمصر دارساً على أيدي بعضهم أو مدرساً للبعض الآخر ، كانت لثقافتهم المختلفة تأثير كبير في شذوذه السلفي ، وزيادة معلوماته ، فهم كانوا أبناءنا بين محدث وفقه وشاعر ورواية ومتصوف وأديب ومقرئ ونحوي وتاجر جوال وواعظ ، منهم المصري ، ومنهم الوافد على مصر والقاهرة من مختلف الأمصار ، منهم من ينتسب إلى رسول الله ﷺ عن طريق سبطه الحسن ، ومنهم أرباب المناصب الكبرى الذين شبوا على التربة الدينية

مند نعمة أظفارهم ، وأخيراً منهم النساء الصالحات اللاتي نشأن في بيئة عليية ، وعاش فيها جيل صالح من أبناء مصر فأصبحوا علماء ، ومن هذا المين ، وفي هذه البيئة عاش السلفي ثلاث سنوات من عمره عاد بعدها إلى الإسكندرية، وقد تحدث أنفاس الفتنة بها بعض الشيء، واستأنف حياة جديدة زاخرة بالعلم والعمل من أجل إعلاء كلمة الإسلام .

ولنا أن نسمى هذه المرحلة الأخيرة من مراحل حياة السلفي بمرحلة الاستقرار النهائي ، ويبلغ طولها خمسين سنة إلا قليلا ، لم يقادر الإسكندرية خلالها ، بل لم يخرج إلى فرجة ليرفه عن نفسه ، لقد أحب « الإسكندرية الثغر المأنوس ، - على حد تعبيره - وأكرمه أهلها ، فظل عاكفاً فيها على التحصيل وجمع المعلومات ولقاء الوافدين ، والسماع منهم ، والتدريس بداره وبمدرسته ، ولأسيا بعد أن تزوج واستقر نفسانياً ومعيشياً ، ولم يعد يسكن رباط الإسكندرية مع الزهاد الاغراب الذين جاءوها بهدف أو بشير هدف .

وإذا رجعنا إلى الإسكندرية مع السلفي، وتلمسنا الطريق إلى رجال العلم بها، طوال هذه الفترة ، وجدناها حافظة بالأعلام الشواخ ، فهذا ابن عبد الملك الأندلسي المتوفى سنة ٧٠٣<sup>(١)</sup> يحدثنا عن ( أهل المشرق ) ويعني بهم أعلام مصر والإسكندرية وعلى رأسهم السلفي ومعاصريه في الإسكندرية بالذات، فيجمع بينه وبينهم ، في بحر خضم من التراجم ، نستطيع نحن بدورنا أن نوجزهم في هذه الباقية من الأعلام الذين عاشوا وعاصروا السلفي ، وكان هو كالبدر ، وهم كالحالة التي تحيط به ، وأشهرهم :

أبو طاهر بن عوف ، وابن النحام ، وأبو عبد الله الحضري وأخوه أبو الفضل أحمد الحضري ، وابن جارة ، والطروشى ، وابن المشرف بن مسلم

---

(١) القيل والكتلة لكتاب الموصول والمنة .

الأنطاكي وأبو الحسن المقدسي ، وأبو عبد الله بن عبد الرحمن التميمي ، وأبو الحسن مقاتل بن عبد العزيز البرقي ، وأبو عبد الله محمد بن حامد القرشي ، وأبو طاهر محمد الديباجي ، وأبو العباس السرقسطي بن الفقيه ، وأبو عبد الله الكركنتي ، والقزويني ، وأبو عبد الله الطوسي ، وأبو يعقوب بن الطفيل الدمشقي ، وفاطمة بنت سعد الخير ، وأبو عبد الله بن حباسه ، وأبو علي حسن بن محمد بن الحسن ابن الرسل ، وأبو محمد عبد المجيد بن أبي الحسن شداد بن المقدم التميمي ، والمقرئ الزاهد أبو المنصور مظفر بن سوار بن هبة بن علي اللخمي ، وأبو الفوارس نجما ابن تغلب اليكبي المقرئ ، وعبد الرحمن بن سلامة بن يوسف بن علي ، وأبو الحجاج ابن عبد العزيز وأبو محمد عبد المطلب اللخمي الأسكندراني ، وعبد الوهاب بن ظافر ابن علي بن قروح القرشي بن رواج ، وابن النفيس الحيمري الغرناطي المحدث المتوفى سنة ٥٨٦ هـ .

هؤلاء هم بعض العلماء الذين غالباً ما يجمع ابن عبد الملك بينهم وبين السلفي على صعيد الإسكندرية في عصره ، وعلى أيديهم تلقى علماء الأندلس في الإسكندرية ، ما وجعوا به إلى بلادهم من ثقافة هائلة اشتهرت بها الإسكندرية في هذا العصر الذهبي من تاريخها ، فقصدها من أجل ذلك طلاب المعرفة من أقصى الأرض وأدانها ، حتى تألق نجم الإسكندرية ، وأصبحت منارها العلمية - من غير مبالغة ولا إسراف - أعلى منابر الثقافة الإسلامية في الشرق والغرب على الإطلاق ، حتى غطت شهرتها على بغداد ودمشق والقاهرة وقرطبة .

ولقد كان السلفي إسكندرانيا حقاً ، عرف لوطنه الثاني الإسكندرية حقها كاملاً فأعطاهما من خلود الذكر ما جعلهما يتقاسمان شرف الانتماء ، ففي خلال الفترة التي قضاهما بها وهي أكثر من ستين سنة كما عرفنا ، أعطانا من المعلومات التاريخية

عنها ما لم يعطنا غيره ، بل لولاه ما كان لنا أن نعرف عنها شيئا على الإطلاق ،  
وفي المقدمة أولئك الذين عرفهم وعرفوه ، كما أعطانا معلومات دقيقة عن بعض  
معالم الإسكندرية كالباب الأخضر ، ومقبرة وعلة ، ومقبرة الديماس ، ومقبرة باب  
البحر ، ومقبرة السواري .

وحدد لنا مقابر كل من دفنوا بها عن أدرتهم وتواريخ وفياتهم ، بل تواريخ مولدهم  
بها أو بغيرها ، وأعطانا كذلك أسماء مساجد ورباطات ومدارس بها ، وكذلك  
أشهر شوارعها ، وبالجملة مظاهر الحضارة والثقافة بها ، فكان الذين جاءوا من  
بعده عالة عليه سواء من المؤرخين أو المترجمين . بهذا كله استحق السلفي الأصهباني  
أن نسلكه في سلك « الإسكندرانيين » .

والآن نتمسك : أين مكانة السلفي من الاسكندرانيين ؟ والجواب في  
البيان التالي :

طلع القرن السادس الهجري على الإسكندرية ، ليشهد أزهى عصورها في  
الثقافة الإسلامية . وليسجل أعلامها الذين لا تكاد تصدق كثرة عددهم ، هم  
وقصداً من أنحاء المعمورة ، سواء منهم من جاء حاجاً فعاد إلى بلده ، أو من  
استطاب المقام في الإسكندرية فتديرها واستوطنها حيناً من الزمن ثم توفي بها .

تذكر منهم في المقدمة ثلاثة ، يعتبرون القادة الأوائل للحركة الفكرية  
في الإسكندرية ، وقد سبق أن رأينا ما فعله الوزراء الفاطميون الأرم من بلماء هذا  
البلد الأمين ، حتى لم يعد به أحد منهم يفقه الناس ، ويصرهم بأمور دينهم وديارهم ،  
فلما أحس أعيان الإسكندرية وقاضيا ابن حديد بهذا النقص ، وسمعوا بالخطوطوشى ،  
ذهبوا إليه يستدعونهم من رشيد ، فقدم معهم سنة ٥١١ هـ ، فكان كما يقول شكيب

أرستان<sup>(١)</sup> إنه هو ، الذى نشر العلم بالإسكندرية ، وعليه تفقه أهلها ، إلى أن توفاه الله سنة ٥٢٠ هـ وقد لقيه السلفى .

هذا هو أبو بكر الطرطوشى الأندلسى الذى مات سكندريا ، نذكر معه

أندلسيا آخر هو ابن نادر الميورقى الذى قال عنه ابن بشكوال د وهو الذى أحيى علم الحديث بالإسكندرية ،<sup>(٢)</sup> وتوفى بها سنة ٥٢٣ أو سنة ٥٢٤ فى إحدى الروايات ، وروى عن السلفى ، فصار يعد من الإسكندرانيين أيضا .

وثالث هؤلاء الأعلام الشواخ هو السلفى الأصفهاني الذى أصبح إسكندرانيا كذلك ، وقد قال عنه السخاوى د مازال الحديث بالإسكندرية قليلا حتى سكنها السلفى ، فصارت مرسولا إليها فى الحديث والقراءات ، ثم نقص بعد ذلك والآن يقصد عصر السخاوى نفسه أى القرن التاسع الهجرى ، أى بعد مضى أربعة قرون ، عدم إلا من بعض الغرباء ، وغالبهم ما يكون ، على أنه قد ولى قضاءها عدة من الشافعية<sup>(٣)</sup> ، وقد رأينا أن السلفى قدم الإسكندرية سنة ٥١١ هـ ، وأقسام بها خمسا وستين سنة ، يشار إليه فيها بالبنان ، حتى توفاه الله بها سنة ٥٧٦ هـ ، فكان لإسكندرانيا بحكم طول الإقامة ، وحجم الجهود المبذولة فى نشر العلم ، وقال السيوطى عن السلفى أيضا بمناسبة الكلام عن حفاظ الحديث بالإسكندرية :

د . . انتهى إليه علو الإشتاد ، روى عنه الحفاظ فى حياته ، وله تصانيف ، وكان أوحـد زمانه فى علم الحديث وأعلمهم بقوانين الرواية ،<sup>(٤)</sup>

(١) المحلل السندية .

(٢) الصلة .

(٣) الاعلان بالتوبيخ .

(٤) حسن المحاضرة .

قلنا إنهم الثلاثة إسكندرانيون على ذلك الاعتبار ، مع أنهم ومن بعض الغرباء ، كما حرص السخاوى المؤرخ المصرى لما ودما أن يلفت أنظارنا إلى ذلك ، غير أن العلم لا وطن له ، والإسلام لا يعرف الحدود . وما كان أهل الإسكندرية ولا غيرهم يعرفون تلك التفرقة ، في الأصل أو البلد إلا مجرد ذكر الحقائق ، ولهذا لم نسمع إطلاقا في أى عصر من عصور التاريخ أنه كان هناك سخط أو غضب على الغرباء ، بل كان الترحيب المطلق .

وكل بلد إسلامى لكل مسلم وطن وسكن ، يحل به ويرتحل عنه ، كيف يشاء ومتى شاء ، والإسكندرية خير شاهد على ذلك .

على كل حال أمكننا أن نعرف مكانة هذا ( السلفى ) من الإسكندرانيين ، بشهادة السخاوى والسيوطى له بالمعارة الجامعة المسانعة ، قياسا إلى أبى بكر الطرطوشى وابن نادر الميبرى ، وقد جمعت الإسكندرية بين ثلاثهم في مكان واحد وزمان واحد ، فإذا بمكانة السلفى أعلى ، وميدانه أوسع ، والرحلة إليه أكبر من غيره ، في طلب علم الحديث ، وهو أكثر علوم الإسلام أهمية واهتماما .

وإذا كنا قد تتبعنا السلفى مع معاصريه بالفسطاط في مدى ثلاث سنوات فلنعد منها معه إلى الإسكندرية ، لتتابع مسيرته العلمية عبر الزمن بها ، ومن خلال اتصالاته بمعاصريه الإسكندرانيين ، نستطيع أن نوضح للقارئ صورة الحياة العلمية في هذه المدينة العظيمة ، وقطبها يومئذ هو الإمام الحافظ أبو طاهر السلفى مسند الدين ، والمعلم الذى ألحق الكبار بالصغار ، كما يقولون ، تاركين إلى فرصة أخرى من الكتاب حديثا آخر عن تلاميذه المقيمين والراطين والمستجيبين أيضا من مشارق الأرض ومغاربها ، من لا يمكن إحصاؤهم حقا

ويكفى أن نجمع أشهرهم من أمهات كتب التراجم والمآجم ، وما أكثرها ، لكثرة الآخذين عنه ، ويكفى أيضا أن نوجز سيرهم في كلمات ، ونرتبهم على قدر الإمكان حسب سنوات وفياتهم ، ومدى صلة كل منهم بالسلفى في حياته ، ومع ما في هذا العمل من مشقة لا تحفى ، إلا أنها في نظرى ، الصبيل الوحيد للتعرف على الحيوية النابضة للثقافة الإسلامية بالإسكندرية ، على مدى القرن السادس الهجرى ، الذى كان السلفى منه بمثابة قطب الرسى ، ومحور الارتكاز ، ولقد خصصنا لهم فصل الختام من هذا الكتاب .

## السلفى والإسكندرانيون

تحت هذا العنوان نجتمع أشهر العلماء بالإسكندرية الذين عاصروهم السلفى ، وأخذ عنهم أو سمع منهم ، وكانت له بهم صلة من قريب أو بعيد ، سواء بمن ورد ذكرهم عنه في «معجم السفر» أو عن غيره من أصحاب المآجم وأرباب التراجم ، ولقد حرصنا نحن هنا أن نضعهم في ترتيب زمنى حسب تواريخ وفاتهم لكي تتبين طول مدة الإقامة في زمن السلفى أو قصرها . ومن كانت وفاته منهم بعد السلفى ، أو قبل دخوله هو الإسكندرية بقليل ، مما يشير إلى اهتمامه الخاص ، حتى بمن كانوا فيها ، ورحلوا إلى عالم الخلود ، ومنهم :

— عمر بن عيسى السومى النحوى، قرأ عليه النحو أكثر أهل الإسكندرية، وقال عنه السلفى ومات بالإسكندرية قبل دخوله إليها بقليل .

— ابن قلنسا : وفى مخطوطات أخرى (ابن قلنبا) وهو محدث مشهور ، استملاه السلفى جزءا له بالإسكندرية وتوفى بها سنة ٥١١ هـ .

— أبو محمد عبد الكريم بن أبي عجيبة القبارى الخلقاني المؤذن المعمر الإسكندراني المالكي ، كان ابن مائة وعشرين سنة ، فكان شيخ الإسكندرية بالكبر ، وهو الجد الوحيد المعروف للقبارى الإسكندراني المتوفى سنة ٦٦٢ ، والذي وضعنا عنه كتابا مستقلا<sup>(١)</sup> ، ولولا السلفى ما عرفنا مطلقا للقبارى أصلا سكندريا ، قضى اثنتين وستين سنة لا يأكل إلا لحم الصيد ويتورع من شرب اللبن وأكل الجبن ، ويصطاد بنفسه ، ولا يأكل إلا من القبار المباح ، وكان عارفا بالأحلام وقلبا يخطئ في تفسيرها مع أنه كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ؛ وكان مؤذنا ، وسمع بالإسكندرية أبا العباس الرازى والقاضى أبا مطر المعافى وأبا عمران الفارسى ، لما قدم الإسكندرية حاجا ، قال السلفى : «توفى سنة ٥١٢ وأنا بالإسكندرية ، وحضرت جنازته ، وصليت عليه ، وكان مالكي المذهب ، وقد كان مع كبر سنه يقصدنى إلى ما ت كانه قفة وفى منزلى قرأت عليه ما قرأت ، وكنت أداعبه وأقول له : أنت مكبر معبر بحجر ، فيتسم»<sup>(٢)</sup> .

— أبو منصور يتيكن التاجر ، الشهير بابن البوق ، وكان أبوه من أترك مصر ، ترك الجنديّة وانقطع للمبادة ، سمع منه السلفى بالإسكندرية ، ومصر ، وكان معه ببغداد . وتوفى بالإسكندرية سنة ٥١٢ .

— محمد بن محمد بن على بن حكم الباهلى من المرية ويعرف بالقرقوبى أو ابن قرقوب ، وقد سمع من السلفى فى الإسكندرية . وحدث عنه بكتاب «تبيين المهمل وتمييز المشكل» وتوفى بالمشرق سنة ٥١٢ هـ<sup>(٣)</sup> .

(١) القبارى زاهد الاسكندرية : زيتون .

(٢) معجم السلفى : السلفى .

(٣) التكملة : ابن الأبار

— الإمام أبو الوفا على بن عقيل البخداى الظفرى الحنبلى صاحب «الفنون» من ٤٧٠ مجلداً ولد سنة ٤٣١ وتوفى سنة ٥١٣ قال عنه السلفى ، «مارأت عيناي مثله ، وما كان أحد يقدر يتكلم معه لفزارة عليه وبلاغته وحسن إرادته وقوة حجته ، وكان أنظر أهل زمانه .

— الحسن بن خلف بن عبدالله بن بليمة الأستاذ أبو الحسن القيروانى تزيل الإسكندرية المقرئ المتصدر للإقراء ، مؤلف «تلخيص العبارات فى القراءات» توفى بالإسكندرية سنة ٥١٤ عن ٨٧ سنة .

— أبو القاسم هبة الله بن رزق الله المقدسى الشافعى ، سمع بالقدس وشهد بها ، وناب فى قضاء الإسكندرية ، وكان يؤم بها جميعاً ، ومات بها سنة ٥١٤ ودفن بمقبرة الديماس (كوم الدكة) .

— أبو بكر يحيى بن إبراهيم بن عثمان بن شبل الاسكندرانى ، أخبر السلفى بمسموعاته فى (صور) عما سمع غيره فى بغداد والإسكندرية ، وقد مات بها سنة ٥١٤ ودفن بمقبرة باب البحر .

— أبو المكارم هدية بن عامر بن قنوح الحضرى المهندس . كان يحضر عند السلفى لسماع الحديث وعلق عنه السلفى حكايات عن كثيرين ، وقال عنه «كان من أذكى خلق الله فى الهندسة ، وبما يقرب منها ، وكان متديناً لا ينقطع عن مجالس أهل العلم» .

— أبو الحسن على بن المؤمل بن غسان الكاتب المصرى «توفى سنة ٥١٥ بالإسكندرية وأنا ببصر» كما يقول السلفى .

— ابن الفحام : وهو أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي بكر بن عتيق بن خلف  
ابن الفحام الصقلي المقرئ ، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالإسكندرية ، كان من  
كبار شيوخ السلفي . (١) أخذ عليه علم قراءة القرآن ، وكان ثقة ، قال عنه  
ابن عزم : شيخ الإقراء علواً ودراية ، وله « التجريد » في القراءات ، (٢) ولهذا  
وقد سده لعل إسناده وإتقانه . (٣) وتوفي بالإسكندرية سنة ٥١٦ هـ ، وما  
ذكره عنه تلميذه السلفي (٤) تعلم أنه رحل من المغرب إلى المشرق في طلب  
« القراءة » فأدرك بمصر ابن هاشم وابن نفيس وعبد الباقي بن فارس ، وأبنا  
الحسين الشيرازي وآخرين سنة ٤٣٨ هـ ، وتلمذ على طاهر بن بابشاد في النحو ،  
ومن أشهر مؤلفاته « التجريد في بنية المريد » ، وكتب عنه السلفي أسانيد كل  
قراءة من قراءات القرآن المعروفة .

— أبو البهاء عبد الكريم بن عبد الله بن محمد المقرئ الصقلي ، توفي  
سنة ٥١٧ هـ بالإسكندرية ، والسلفي بمصر .

— أبو الفضل عوض بن سعادة بن عبد الله الطرابلسي المغربي ، توفي  
في ذي القعدة سنة ٥١٧ هـ ، بعد خروج السلفي من مصر .

— أحمد بن سرور السمسطاري ( سمسطار قرية بالصعيد ) تلمذ السلفي بمكة  
سنة ٤٩٧ هـ ثم مصر سنة ٥١٥ هـ ، سمع بالإسكندرية أبا العباس الرازي ، وكان عارفاً

(١) التلخيص : تفرقة القراء الكبار على الطبقات والأصناف .

(٢) دستور الإعلام بعارف الأعلام .

(٣) ابن تيمية يردى : التلخيص الزاخرة .

(٤) معجم السلفي .

بالكتب وأمنائها وتوفي بالصعيد سنة ٥١٧ هـ . ذكره الصفدى في « نكت الهميان »  
لأنه كف بضره آخر عمره .

— أبو الاسوار عمر بن المنخل بن عبد الله الباني التاجر ، دخل أصبهان  
وبغداد والموصل ودمشق واليمن وغيرها ، رآه السلفى بمصر سنة ٥١٦ هـ وقال  
له : لى الآن ٧٥ سنة ، وسمع منه أحاديث وحضر على أبي صادق المدينى وغيره  
وكان يلزم السلفى مدة مقامه بمصر ، وتوفى بالحجاز سنة ٥١٨ هـ .

— أبو إبراهيم أحمد بن الميمون بن حمزة العلوى الشافعى المالكي توفى سنة ٥١٨ هـ  
- أبو الحسن علي بن عبد الجبار بن سلامة الهندى الترنس أصلا ؛ فقد ولد  
بتونس سنة ٤٢٨ هـ ، هو الشاعر اللغوى الذى لم يكن فى زمانه ألفى منه ، لأحد عشر  
ألف بيت من الشعر ؛ على قافية واحدة ، وتوفى بالإسكندرية سنة ٥١٩ هـ .

— أبو بكر محمد بن الوليد الفهرى الطرطوشى ابن رندقة أحد الأئمة الكبار ،  
أخذ عن أبي الوليد الباجى ، وكان عالما زاهدا ورعا متقشفا : ولد بطرطوشة  
من الأندلس سنة ٤٥١ هـ ، وشرق ، فلقى العلماء ببغداد ومكة والبصرة والشام ،  
ورشيد ، ودخل الإسكندرية سنة ٥١١ هـ ، دعاه أهلها ليفقههم فى الدين بعد أن  
انصدم العلم بها وأعدم علماؤها على أيدي المبيدين ، وهو الذى نشر العلم  
بالإسكندرية وعليه تفقه أهلها ، على المذهب المالكي ، كما قال عنه أبو الحسن  
المقدسى ، أخذ عنه أكثر من مائتى فقيه ومفت ، وذهب إلى بيت المقدس ، ليقى  
الغزالي فأنحرف عنه الغزالي ولم يلقيه ، واستقر بالإسكندرية وتزوج حالة الفقيه  
أبي طاهر بن عوف ، وكانت امرأة ثرية أقامت له مدرسة ؛ وجعلت مسكنها فى

أعلاما ، كان يخرج مع تلاميذه في جماعة إلى الحلات ، فيلقى عليهم دروسه ويؤمهم الصلاة ويحرضهم على محاربة البدع ومكافحة الظلم والظالمين ، فنكل به الوزير الفاطمي الأفضل وسجنه بالقيطاط ومنع الناس من الاخذ عليه فدعا عليه قات ، ولكن الوزير المأمون البطائحي أكرمه واستجاب لمقترحاته ، وأمر بإنشاء مسجد باسمه بالإسكندرية . فأهداه كتابه المشهور ( سراج المaulوك ) . وله كتاب في « تحريم جن الروم ود البدع » ود الخلاف » وغيرها . وله كتاب يعارض فيه آراء الفزالي ويرد عليه . وله مختصر تفسير الثعالبي ، وكان من أقرب تلاميذه إليه ربيه ابن عوف : الذي تولى التدريس بعده ، والفتية سندن بن عثان ، كما أجاز للقاضي عياض .

وعندما دخل الإسكندرية كان عمره ٩١ سنة ، بينما كان السلفي إذ ذاك ابن ١٤ سنة ، وكانت وفاة الطروش بالإسكندرية سنة ٥٢٠ هـ عن ٦٩ سنة ، بينما كان السلفي لا يزال في الحسنيين من عمره ، ودفن بالبواب الأخضر في مقبرة وعلة ، وعلى ذلك لم تزد مدة إقامته بالإسكندرية على عشر سنوات ، بينما قضى بها السلفي نحو ٦٥ سنة ، ومع ذلك كان تأثيره عميقاً ، وشهرته واسعة ، وأبعاد ثقافته ذائعة في الآفاق كان ابن الحاجب يلقبه بالأستاذ ، والسلفي ينعته بالفتية . وقد التقى السلفي والطروش ، عدة مرات :

مرة عندما كان الحديث بينهما عن أبي الروح المقرئ الأذربيجاني الذي تفقه ببغداد وقرأ عليه السلفي ، فقال له الطروش « كان معي لدى عند أبي سعد المتولي » ، وعقب السلفي بأن الطروش قد أثبت على أبي السهام غالب الانصاري الأندلسي وروى عنه بالإسكندرية ، وقد لقي السلفي بمكة ووجد له بالإسكندرية أجزاء كثيرة ، وذكر السلفي أيضاً أبا القاسم نجما الرملي المؤذن الذي كان يؤذن

عنده وعند الطرطوشى ، وثمت إشارة عابرة من السلفى في معجم السفر، أنه التقي بالطرطوشى سنة ٥١٤ في جنازة أحد الصالحين بالإسكندرية، وصلى كل منهما عليه، ومع هذا كله فإنه يبدو أن كلا منهما كان يحظى عند الآخر بالتقدير والإجلال، شأن الأعلام والشواخ أصحاب الخلق المتين والنفسية العالية ، ومع أن السلفى كان شافيا شافعيا والطرطوشى كان شيخا مالكيا ، فإنه لم يكن هناك مجال للخلاف بين المذهبين وعلماتهما بالإسكندرية ولا غيرها ، بل كان الواقع أنهم - كأهل السنة - عليهم أن تتوحد جهودهم للقضاء على المذهب الشيعى الطارىء .

- أبو حفص عمر بن محمود بن غلاب المقرئ الباجى (١) ، سمع منه السلفى بالإسكندرية ، ومات بها سنة ٥٢٠ هـ وصلى عليه ودفن في مقبرة واحدة بالباب الاخضر .

- أبو على أحمد بن محمد بن جرير بن ميمون الهمداني ويلقب بالعداس والجلبانى ، وقد توفى بالإسكندرية سنة ٥٢١ هـ ودفن بمقبرة الديماس .

- أبو محمد عبد الله بن يعلى بن الرماح الشيبانى المالكي، توفى بالإسكندرية سنة ٥٢١ هـ وصلى عليه السلفى ودفن بمقبرة وعلة بالباب الاخضر .

- أبو الحسين يحيى بن محمد الشيبانى ، واشتهر بابن النبقة لإسكندراني المولد، عراقى الاصل ، شافعى المذهب ، وتوفى بالإسكندرية سنة ٥٢٢ هـ .

- أبو محمد عبد العزيز بن بريك بن توهيب الكاتب الشاعر ، سمع منه السلفى شعره وأشعار الكثير من المصريين ، كان جيش وابن البر وابن القفاط وأخوه عبد الوهاب كان مالكيًا أيضا وشاعرا مثله وتوفى سنة ٥٢٢ هـ .

(١) نسبة لآل (باجة القمح) الأفريقية وليست الاندلسية

— أبو الحسن علي بن المسلم الأنطاقي ، أدرك ابن حزمة العلوي ؛ وسمع منه السلفي كتب ابن قتيبة في القراءات وغيرها ، وانتقى من أصوله أكثر من مائة جزء ، وكان يهتم بشراء الكتب واقتنائها . وخلف منها ما لم يخلف غيره بالإسكندرية ، واشترى منه السلفي الكثير منها ، وكان كثير الساعات عينا لطلب العلم ، وقد ولد سنة ٤٣٧هـ ، وأدرك الكثير من شيوخ مصر والواردين عليها ، وقد أخبر السلفي عن ابن حزمة العلوي الشافعي الذي ذكرناه والمتوفى سنة ٥١٨ .

— أبو الحسن علي بن عبد الجبار بن سلامة بن عبدون البذلي اللغوي : كان إماماً في الفقه حافظاً لها ، حتى إنه لو قيل لم يكن في زمانه ألقى منه لما استبعد ، وكان شاعراً ، أخذ عن أبي القاسم بن القطاع ، وتوفي بالإسكندرية عن ٩٦ سنة ، ذكره السلفي (١) والسيوطي (٢) .

— أبو محمد عبد الله بن مرزوق اليحصبي الأندلسي ، سمع منه السلفي في الإسكندرية كتاب « طبقات الأئمة » لصاعد الأندلسي ( — ٤٦٢ هـ ) .

— أبو الحجاج يوسف بن عبد العزيز بن علي اللخمي ، ابن نادر الميسوري ( من ميودة جزيرة شرق الأندلس ) ، حجج وسمع بمكة وبغداد ، ودخلها بعد خروج السلفي منها ، وتفقه على شيخه الكبير أبي الحسن الطبري ، وسمع الحديث من مبارك العسال وابن بدران والقاسمي رئيس هراة ، وسكن الإسكندرية ودرس الفقه ، وكان عالماً بالأصول متقناً في العلوم جامعا بين البراية والرواية ، وهو الذي أحيا علم الحديث بالإسكندرية ، سمع منه أجلة العلماء ، وحدث بدمشق ، وروى عنه أبو طالب أحمد بن مسلم بن رجا النونخي

وأبو محمد العثاقى ، وأبو بكر بن أسود القاضى ، وأبو القاسم بن غسائر ، وأبو عبد الله بن الحضرى ، والسلفى ، وله تصانيف وتعليقة معروفة فى الخلافات ، قال عنه أبو عبد الله محمد بن يوسف بن سماعة : « كان أفضل من لقيته فى رحلقى علما وعملا وزهدا وورعا » وكانت وفاته بالإسكندرية فى أواخر سنة ٥٢٣ هـ أو سنة ٥٢٤ هـ ، ذكره ابن الأبياء فى (الكفة) .

— أبو الحسين عبد الوهاب (ابن المقرض) مقدم الشهود بالإسكندرية وهو من بني الصفراوى ، مالكي سمع منه السلفى ، ولم يكن يتأخر عن المواعيد التى كان يعقدها السلفى ، وأبوه كان فارضا بالثغر ، وتوفى بالإسكندرية سنة ٥٢٤ هـ :  
— أبو المعالى محمد بن ناصر بن القاسم الكاتب المكيى الشاعر للفيلسوف ، كان حسن الخط ، وكان كاتباً بليغاً وشاعراً وجسوباً ومنجماً ومهندماً ، توفى سنة ٥٢٥ هـ .

— محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد أبو عبد الله الرازى (ابن الخطاب) المصرى المعدل الشاهد مستند الديار المصرية وشيخ الاسكندرية وأحد عدوها ، صاحب «السداسيات» و«المشيمة» ومع ذلك وضعه السيوطى فى محدثى الاسكندرية الذين لم يبلغوا درجة الحفظ ، وانفردوا بعلم الإسناد ، ويسميه السلفى «شيخنا» وتوفى بالإسكندرية سنة ٥٢٥ هـ عن ٩١ سنة .

— عبد الكريم بن سوار المصرى ، كان من أهل النحو والإقراء ، سمع منه السلفى وأخذ عنه ، وكانت وفاته سنة ٥٢٥ هـ وذكره السيوطى فى «حسن المحاضرة»  
— خديجة بنت أحمد الرازى ، وهى غالة زوجة السلفى ، وهى محدثة ، وهى وأختها وأخوها وأبوها ، وتوفيت بالإسكندرية سنة ٥٢٦ هـ .

— أبو حفص عمر بن يوسف بن محمد بن الجندب الصقلي الزاهد المحدث ، ولد بصقلية سنة ٤٣٠ وسكن الإسكندرية واجتمع به السلفي سنة ٥٢٢ ، وحج وعاد إلى صقلية وسفاس ، وعاد إلى الاسكندرية سنة ٤٧٢ ، وأقام بها حتى مات سنة ٥٢٦ ، قال السلفي « لم يقرأ عليه أحد قط من الحديث غيري عن أبي بكر السمطاري ، وقرأ عليه فوائد كثيرة عنه ، وكان يتحرز من الوقوع في الكذب على رسول الله ، دفن بمقبرة وعلة بالقرب من قبر أبي بكر الحنفي وأبي العباس ابن الخطيب الشافعي ، وأبي علي الحضري المالكي .

— بشر بن الحسين بن محمد بن عبد الله بن الحسين بن بشر الجوهري من أسرة بشر المروفة بالعلم والوعظ والارشاد ، هاجر من مصر إلى الاسكندرية واستوطنها وأخذ يعلم ويعظ بها واجتمع به علماءها ، ومنهم السلفي الذي أثنى عليه فقال « كان حلو الوعظ ، لم يكن في بيته أحلى كلاما منه ، وعلقت عنه حكايات كثيرة بمصر والاسكندرية » ، وتوفي سنة ٥٢٨ ، كما توسع القاضي في كتابه « الخطط » ، وترجم لأسلافه في كلامه عن تربتهم بقرافة مصر بشارع الليث بن سعد في مواجهة مقبرة الطحاوي .

— أبو طالب أحمد بن حديد بن حمدون الكثاني قاضي الإسكندرية من أسرة بها كلهم قضاة ولهم شهرتهم ، السني المالكي ، كان عريق الرئاسة ، مات قرب رشيد وحملوا جسده فدفن بمقبرة الديماس في بستان بجوار داره المروفة .

وقد سمع منه السلفي حكايات كثيرة ، وكان إذا رأى السلفي في الطريق انحرف عنه ، ومع ذلك أوصى بالآب يسئله ويصلي عليه غيره ، وقد كان ، وحضر جنازته وشهدا خلق لا يحصون من الكثرة ، ورفاه الشعراء ، وأخوه أبو علي كان قاضيا أيضا وبينها عشر سنوات ، وتحدث عنه مؤرخ الاسكندرية ومعتسما

فنعصور بن سليم ، وكانت وفاته بالأسكندرية سنة ٥٢٩ عن ٦٧ سنة .

- أبو الرجا بشير بن الميثر بن فاثك ، سمع منه السلفي بمصر

والأسكندرية ومن أخته الحفرة ومات بمصر سنة ٥٢٩ .

- أبو الحسن علي بن هلال الكتاني القوي <sup>(١)</sup> ثم الأسكندرائي القرافي

- لأنه كان يسكن القرافة بالإسكندرية - فقيه سكندري مالكي ، كان يصب

الانزواء في بيته ، وأخبر السلفي بالكثير وكانت وفاته بالأسكندرية سنة ٥٣٠

- أبو الحسن علي بن أبي الأشيم ، وهو من بيت مشهور ، وأمه من أسرة

بني حديد قضاء الأسكندرية ، أديب مالكي ، علق عنه السلفي كثيرا من المسح

الأدبية ، وكان يحضر عنده ، وتوفي بالأسكندرية سنة ٥٣٠ .

- محمد بن مسلم بن محمد بن أبي بكر القرشي المازري الإمام المتكلم

الصوفي الأصولي ، نزع إلى القيروان فأخذ بها ثم الحجاز ومصر واستقر بالأسكندرية

وتوفي بها سنة ٥٣٠ ، له البيان في شرح البرهان ، لأبي المعالي الجويني ، ووالهاد

في شرح الإرشاد إلى تبيين قواعد الاعتقاد للجويني أيضا .

- أبو محمد عبد الله بن أبي الطيب اليونشي الساج ، لأنه لني كثيرا من

الشايع في سياحته بالمغرب ومصر والشام وديار بكر وديار مصر والعراق

والحجاز وصحبهم ، ثم استوطن الإسكندرية ، وسعى في بناء عدة آثار بها

كمسجد وصريج سبيل ، سمع السلفي وكان يحضر عنده ، فلما عجز لازم محرسا

برحلة إلى أن مات سنة ٥٣٣ ودفن بمقبرتها الواقعة بالباب الأخضر .

---

(١) من قوة على التهل فرع رشيد .

— أبو الحسن علي بن حريفة القيرواني الإسكندراني وكان مثنيما ، وقيل مات حسن العقيدة ، وسمع منه السلفي بالإسكندرية ، ومات بها سنة ٥٣٣ هـ ودفن بمقبرة الديماس (كروم الدكة الحالي) .

- الإمام أبو القاسم بن مخلوف المغربي السكندري المالكي ، تفقه به أهل الإسكندرية طويلا وتوفي سنة ٥٣٣ هـ .

- أبو محمد عبد الله بن العريشي ، وكان يسكن محرس القشميري المشهور أحد محارس الإسكندرية ، وكان من أهل القرآن ، علق عنه السلفي فزائد جملة ، كما كان من أهل النحو ، وتوفي بالإسكندرية سنة ٥٣٣ هـ .

- ياقوت مولى أبي طالب البيهقي التاجر ، حدث السلفي بعد عودته من بغداد سنة ٥٣٠ هـ ، كما ذكر ذلك الإدفوي (١) ، وتوفي شهيداً بالإسكندرية سنة ٥٣٩ هـ ودفن بمقبرة الديماس .

- ترفة أو عائشة بنت أحمد الرازي ، من رواة الحديث ، ومن بيت علم ودين ، قرأ عليها السلفي بالإسكندرية سنة ٥٣٤ هـ وهي زوجة الشيخ الخولاني ، الذي تزوج السلفي ابنتها منه ، مات الأهل ، وكانت صالحة متدينة .

- الجديلة بنت المبشر بن فاتك الدمشقي ، وتسمى أيضا الحفزة ، وهي محدثة ، أخذ عنها السلفي .

- تقيّة بنت غيث الأرمنازي الصوري وتسمى أيضا ست النعم ، وقد أنشدت السلفي شعرا من نظمها ، وقال عنها « لم تر عني شاعرة قط سواها » ، وتوفيت سنة ٥٧٩ هـ بالإسكندرية عن ٧٩ سنة ، ولها ديوان شعر صغير .

---

(١) الطالع السعيد

- مكية بنت عمرو بن هانئ التميمي الاندلسي ، سمع منها السلفي بالإسكندرية عندما دخلها ، وكانت امرأة سالحة كبيرة في السن ، وكانت تأوي إليه وتزل عنده في طريقها إلى الحج ، فلما عادت منه ماتت بقوص .

- ابن العريف ، سمع من السلفي وشيوخ الإسكندرية ، وهو شيخ من أهل البيوتات المشهورة بها ، وبها توفي سنة ٥٣٧ ودفن بمقبرة الديماس .

- أبو القاسم عبد الرحمن بن يمن بن عطية التاهرتي ، سمع السلفي منه بالإسكندرية ، وكانت أمه تحفظ القرآن ، وكتبت المدونة في الفقه بخطها ، وكان يعد من قبل أحد شيوخ بغداد .

- أبو الرضا عبد الله بن الفضل بن دليل الحضرمي المالكي ، نائب الحكم بالإسكندرية ، سمع الحديث على أبي عبد الله الحضرمي ، وكان يلزم السلفي ويراجعه في المسائل ويقرأ عليه شرح البخاري لابن بطال ، وسمع السلفي منه بالإسكندرية .

- أبو محمد عبد الله بن عثمان بن واز الكرولي المالكي ، سمع منه السلفي أيضا بالشر السكندري .

- أبو محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن حران القلي ، سمع منه بالشر أيضا .

- أبو محمد عبد الله بن توريث بن الوزان اللتوني المثلث سمع منه به أيضا .

- أبو محمد عبد الله بن الحسن بن عثيرة العبدي اليابسي النحوي ، وكان مصدرا في جامع الإسكندرية لإقراء القرآن والنحو ، وأشد السلفي كثيرا من شعره ، ومات بالإسكندرية ودفن بمقبرة باب البحر .

- سند بن عنان بن إبراهيم بن حمزة بن الحسين بن خلف الأزدي أبو علي

وقد اشتهر في الإسكندرية بالفقيه والإمام سند ، لازم الطرطوشي وتلميذ عليه وتحلق بأخلاقه وسار على نهجه ، وكان من أئمة المالكية وخطب في حلقته بعده ولما مات سنة ٤١٥ هـ دفن إلى جواره بالبواب الأخضر ، وقد روى عن السلفي وأبي الحسن علي بن المشرف الأنطاقي ، وله « الطراز » في الفقه ، شرح فيه « المدونة » في ٣٠ سفرا ولم يتمه ، وظل ٢١ سنة يدرس الفقه بعد الطرطوشي في الإسكندرية واتفق الناس به ، وكان من زهادها وكبار الصالحين بها ، وأحد شعرائها ، وقد رآه في المنام ابن جارة ، وتيمم بن معن البادسي ، وتحدث عنه السلفي في « معجم السفر » وابن فرحون<sup>(١)</sup> وقال عنه ابن دقيق العيد « كان فاضلا من أهل النظر » . وكان بنو عوف يحلون له ، وقد اجتمع منهم سبعة فقهاء فقال : أهلا بالفقهاء السبعة ، إشارة منه إلى فقهاء المدينة المنورة وأئمتها .

- أبو الحسن رضوان بن إبراهيم بن علان الديلمي الكردي المالكي ، كان إماما بأحد مساجد الإسكندرية بناحية مقبرة وعلة ، وتوفي بها ودفن سنة ٤١٣ هـ وعلق عنه السلفي حكايات .

- أبو عمرو عثمان بن الحجاج الشافعي<sup>(٢)</sup> الصقلي ، وكان من أهل الإسكندرية ، وبها توفي سنة ٤٤٥ هـ وصلى عليه السلفي عند الباب الأخضر ، ودفن بمقبرة وعلة ، وكان السلفي قد اطلع على رسائله .

- أبو محمد هارون البروجي<sup>(٣)</sup> الهندي ، وهو شيخ صالح ، كان لا يستطيع .

---

(١) الديباج المنجب

(٢) شافعية مدينة بعلبكية

(٣) بروج من بلاد الهند

التعبير لا بالعربية ولا بالفارسية إلا بصعوبة ، ومع ذلك كان يؤذن في أحد مساجد الإسكندرية ، وسمع منه السلفي بها .

— أبو محمد عبد الوهاب بن إسماعيل بن توهيب الشاعر الوراق السكندري ، له في السلفي أكثر من خمسين قصيدة غير المقطعات التي سمعها منه ، قال عنه السلفي ولم يكن في وراق الإسكندرية ولا شعرائها أكبر منه سناً في وقته ، فقد نيف على التسعين ومات بها سنة ٤٤٧ هـ ، ومن شعره عندما أنشئت المدرسة السلفية ، على يد العادل السلار :

لله در ( العادل ) المرتجي	ذئ المز والتأييد والنصر
بني لنا ( مدرسة ) .. مثلها	لم يين في دهر ولا عصر
فأرضها ، كالمسك جلت على	البسط التي تفرش والحصر
( بغداد ) دار العلم لم تفتخر	بمثلها قط على ( مصر )
وما ثولها سوى ( الحافظ ) المصوم	من عي ومن حصر
خير فقيه في الوري عالم	تبصره ( كالحسن البصري )

— أبو إسحق إبراهيم بن محمد بن سليمان اليحصبى الأندروشرى ، قال السلفي فيما نقل عن خطه « كان من أهل الأدب والنحو ، أتم بمكة مدة ، وقدم الإسكندرية سنة ٤٤٨ هـ » وذكر أنه قرأ النحو على أبي الركب النحوى المشهور وغيره ، وكان طاهر الصلاح ويغض الرفض والرافضة (١) .

— عبد المطلب بن مسافر بن يوسف بن الحجاج الرشيدى نزيل الإسكندرية وإمام الأحناف ، سمع منه السلفي ، وقد سأله عن مولده فقال سنة ٤٦٠ هـ .

— أبو المعالى رافع بن يوسف بن زيدون التميمي ، كان أحد المعيدى السلفي

بالمدرسة من أول إنشائها سنة ٥٤٤ هـ ، وكان يعيد على أربعين صيبا بها ، كما كان يؤم  
الناس في المدرسة ، وتوفي سنة ٥٥١ هـ ، وكان فقيها مفسرا محدثا مؤرخا ، سمع من  
السلفي وعلق عنه « الأمالى الحديثية » .

- اليسع بن حزم أبو يحيى الفاهقي الأندلسي الجياني رحل إلى المشرق وسكن  
الإسكندرية وأقرأ بها ثم رحل إلى مصر فأكرمه صلاح الدين ، كان فقيها مشاورا  
مقرئا حافظا نسابة ومؤرخا ، وضع كتاب « المغرب » في تاريخ المغرب وتوفي سنة ٥٥٧ هـ  
- أبو علي الحسين بن كرام بن اسكندر الكاتب الشاعر المحدث سمع منه  
السلفي بالإسكندرية وبها مات سنة ٥٥٨ هـ ودفن في مقبرة باب البحر .

- أبو محمد عبد الله بن يوسف بن النطاع القروي الملقب بالمهذب ، وكان  
يحضر هند السلفي في مدرسته لتطبيق دروس الفقه ، ويكتب الأمالى الحديثية .  
وكان نظم الشعر أسهل عليه من شرب الماء ، كما يقول السلفي ، وعمل شاهدا  
بالمحلة ولكنه دخل فيما لا يعنيه ، فأساء إلى نفسه ، فصدر عليه الحكم بالإعدام  
فأعدم سنة ٥٦٠ هـ ولم يظهر لاحد كيفية أمره .

- أبو عبيد نعمة بن زيادة بن خلف التفاري ، سمع من السلفي بالإسكندرية ،  
وحج مع السلفي وأبيه سنة ٤٩٩ هـ وتوفي سنة ٥٦٣ هـ عن ٩٧ سنة .

- أبو الحسين يحيى بن عساكر بن يعقوب الكاتب الشاهر خطيب جامع الثغر ،  
المتوفى سنة ٥٦٣ هـ أيضا .

- القاضي الرشيد أبو الحسن الأسواني ، ولد بأسوان واتصل بملوك مصر ،  
ومندج وزراءها ، ونال الحظوة هندم ، كان عالما في الهندسة والمنطق والفلسفة  
والكلام وبرع في الفقه والنحو والصرف واللغة والأنساب والموسيقى والطب

والشعر وأحكام النجوم ، وكان ، غال الموقف ابن الخلال رئيس ديوان الإنشاء الفاطمي ، سمع باليمن وبنداد ودمشق ، وحضر على السلفي بالإسكندرية ، وحضر دروسه وقال عنه السلفي « كان يقول لي : قد هان على ما أنا فيه من المكوس بما آخذه عنك من الحديث » .

روى السلفي كثيرا من شعره ، وذكره للعماد الكاتب في « الخريدة » ، وابن خلكان في « الوفيات » ، ومن مؤلفاته « الجنان ورياض الأذهان » ، ذيل به على « اليتيمة » وقال السلفي « كان من أفراد الدهر فضلا في فنون كثيرة » ، ولما نظر الإسكندرية في الدواوين السلطانية بنير اختياره ، فأرضى الناس ، وخصوصا الفقهاء ، ثم قتل ظلما في المحرم سنة ٥٦٣ هـ ، وروى منصور بن سليم مؤرخ الإسكندرية ومحتسبا بعض أشعاره نقلا عن السلفي .

وكان قد تأمر مع شبركو ، فقبض عليه شاور وعذبه ، وأمر بضرب عنقه . وكان قد دخل الإسكندرية مع الناصر صلاح الدين الأيوبي ، وفي أواخر العصر الفاطمي بعث الخليفة الحافظ رسولا داعيا له بالمذهب الشيعي إلى اليمن سنة ٥٣٩ هـ فقبض عليه وأوصل إلى مصر ، فعفى عنه وكان يسمى « علم المهتدين » ، ولما كان علم الشيعة أسود اللون ، وكان القاضي الرشيد أسود البشرة ، كتب شاعر يمني إلى الخليفة صاحب مصر يقول :

بعثت لنا علم المهتدين . . . ولكنه علم أسود

وقال عنه ابن عزم : « صاحب الديوان ونظر الإسكندرية » ، وابنه علي ، رآه العماد بالقاهرة سنة ٥٧٣ هـ ، أما أخوه الرشيد الأسواني المهذب فهو صاحب « الأساب » في عشرين مجلدا ، وله تفسير في ٥٠ مجلدا ، ودخل اليمن كإخيه ومات سنة ٥٦١ هـ ، ولم يكن في زمانه أشعر منه .

- محمد بن محمد بن محمد بن ظفر الصقلي الفقيه حجة الإسلام المبكى الأصل المغربي النشأة ، ولد بصقلية ، ونشأ بمكة ، ودخل المغرب والإسكندرية ولقي الطرطوشي وروى عن السلفي ، وكان ضليعا في مذهبي مالك والشافعي ، وكان واعظا متكلم وشاعرا ونائرا ، عاش ومات فقيرا من المال سنة ٥٦٥ هـ أو سنة ٥٦٧ هـ ولكنه ترك مؤلفات عدة أشهرها عما اطلعنا عليه كتاب «أنباء نجباء الأبناء» ،

— ابن قلاؤس الشاعر السكندري اللخمي الأصل ، نصير الدين جيد الله ابن مخلوف بن علي بن علي بن عبد القوى ويلقب بالقاضي الأعز ، ولد بالإسكندرية سنة ٥٣٢ هـ ، ورحل إلى صقلية وبقى بها نحو عامين ، وغادرها إلى اليمن ، وبعد عودته منها مات بميناب سنة ٥٦٧ هـ ، وصحب السلفي بمدوسه وانتفع به ومدحه بشعره ، وله ديوان شعر مشهور يفيض بالوصف والمدح ولا سيما السكندريات .

- صالح بن إسماعيل أبو طالب ابن بنت معافى ، مفتي الإسكندرية ، وقد توفي

سنة ٥٦٨ هـ (١) .

— القاضي الشريف أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الأموي الديلمي الإصبهاني المشافعي الإسكندراني ، وهو من ذرية سيدنا عثمان بن عفان ، ويعرف بأبي إلياس ، وهو من بيت قضاء ، وله علم واسع ولا سيما في الحديث ، وكان كثير الرواية قديما بالأدب ، وكان شاعرا ونائرا ، وكان أوجده عصره في علم الشروط ، وكان قوله المقبول على كل العدول ، روى عن أبي القاسم بن الفحام وأبي بكر الطرطوشي وذكره السيوطي (٢) في قائمة محدثي الإسكندرية الذين لم يبلغوا درجة الحفاظ وانفردوا بعلوم الإسناد ، وقالوا عنه إنه محدث الإسكندرية .

(١) النجوم الزاهرة : ابن تقي بردي .

(٢) حسن المحاضرة

بعد السلفي في المرتبة . وذكره أيضا صاحب «الخرينة» ، وصاحب «الروضتين» ، وصاحب «النجوم الزاهرة» ، وتوفي بالإسكندرية سنة ٥٧٢ عن ٩٨ سنة ، وكان آخر من تحدث عنه رمضان حلالة ، السكندري ، في تعقيباته على تراجم ابن عزم في «دستور الإعلام» .

— ابن رجاء اللخمي التنوخي ، ومات بالإسكندرية أيضا سنة ٥٧٢ .

— عبد الرحمن بن خلف الله أبو القاسم الإسكندري المالكي المقرئ المؤدب قرأ على ابن الفحام وابن بليمة وحدث عن الرازي ، وقرأ عليه الصفراوى والمفضل الهذاني ، وروى عنه علي بن المفضل الحافظ ، ومات سنة ٥٧٢ تقريبا .

— أبو عمران موسى بن علي السخاوى ، سكن الإسكندرية ، أثنى على فضائله الأمير عز الدين بن مصال للعماد الأصفهانى ، وأنشده من شعره الرقيق ، وقال إنه شاعر الإسكندرية ، ولما أوقع ابن مصال بعرب جبهة في صعيد مصر ، وجى بهم إلى القاهرة سنة ٥٧٢ إلى القاضي الفاضل ، مدحه السخاوى بقصيدة طويلة وأثنى صلاح الدين الأيوبي على بلاغته وبديعته وبراعته في النظم ، ولهذا كان يسمى «البليخ» ، لنثره الذى كان أحسن من شعره ، وتوفي سنة ٥٧٢ هـ .

— أبو الحسن علي بن محمد بن عيسى الأزدي الشاعر السكندري المعروف بابن قيصر ، ذكره السلفي في المعجم ، وكان من أهل الأدب والفقه ، وكان يحضر عنده ويطلق عنه ، وقال عنه العماد الكاتب «كان كثير المنظوم ، قليل الجيد منه وقيل عنه : الفقيه الرشيد» .

— أبو القاسم عبد الرحمن بن مكي بن حمزة بن موقا الانصارى التاجر مسند الإسكندرية ، كان آخر من حدث عن أبي عبد الله الرازي ، وتوفي

بالإسكندرية سنة ٥٧٩ عن ٩٤ سنة .

— عبد الرازق الرفاعي الأموي المصمودي الجزولي ، دخل مصر سنة ٥٧٥ ونزل بالمدرسة العرفية بالإسكندرية ، وتوفي بها سنة ٥٩٢ ، وعرف بالتصوف وأخذ بها عن ابن عوف .

— موفق الدين عيسى بن عبد العزيز التميمي الإسكندري النخعي الشريشي الأصل النحوي المالكي المحدث الشاعر الفلوي والفقير العالم بالقراءات ، توفي سنة ٦٢٩ عن ٧٩ سنة ، ومن مؤلفاته : حجة المفتدى ومحنة المبتدى ، في القراءات ، و « التنبيه فيمن يكنى بأبي القاسم من المقرئين » و « الاهتداء في الوقف والابتداء » و « أنوار الأنوار في قراءة أمّة الأمصار » و « الإفاذات في الإجازات » و « الإحالة في شروح الإمامة » و « الإجابة في شرح الرسالة » أي رسالة أبي زيد القيرواني في الفقه ، و « الرسالة البارة في الأفعال المضارعة » و « الدقائق والحقائق » و « الدال على الفرق بين التام والدال » و « الإخبار لصحيح الأخبار » و « الثريا المضيئة من كلام خير البرية » و « التعزية لأهل المصيبة » و « التحرير في إذهاب ما في الرأى من التكرير » و « بيان سنة القرآن » وله ديوان شعر أيضا ، و « المنزلة العليا في تعبير الرؤيا » و « غاية الأمنية في علم العربية » و « المراد في كيفية النطق » و « المختصر في القراءات العشر » و « الجامع الأكبر والبحر الآخر » في القراءات .

— أبو طاهر إسماعيل بن مكى بن إسماعيل بن عوف الزهري الإسكندري ، من أسرة عبد الرحمن بن عوف أحد العشرة المبشرين بالجنة ، كان من أعيان الإسكندرية وأعلامها الشوايخ ، تلمذ على الإمام أبي بكر الطرطوشي ، وبه انتفع وثقفة ، وكان ربيبه وتزوج الطرطوشي خالته ، وتوفي بعد السلفي بست سنوات

أى سنة ٥٨١ عن ٩٦ سنة ، وبنيته بالإسكندرية معروف مشهور بالعلم والزهدي ، كان منهم الفقهاء الإخوة السبعة ، الذين دخلوا على التقيي سند بن عنان فقال : « أهلاً بالفقهاء السبعة » ، سمع من الطرطوشي وأبي عبد الله الرازي ، وورع في المذهب المالكي ، وروى عنه شرف الدين بن المقدسي ، وعندما دخل السلفي الإسكندرية كان في زهرة شبابه وعمره ٢٦ سنة . فجمع بين الطرطوشي والسلفي ، وقد سماه السيوطي « صدر الإسلام » وقد ذكر السلفي أن ابن عوف قال له عن ظاهر الحداد « ما عرفنا له قط حرمة كمثل الشعراء » (١) .

وعندما دخل شاور مدينة الإسكندرية سنة ٥٦٢ امتنع ابن عوف ، ومعه بعض أنصار صلاح الدين الأيوبي بالمنار ، بمن بذلوا كل ما في وسعهم في تأييد الرأي للعام السكندري لصلاح الدين ، فضلاً عن إمداده بالأموال والرجال والعتاد والميرة ، حتى انتصر وفك الحصار عن الإسكندرية .

أما شهرته العلمية فلا يخفى أنه خلف أستاذه الطرطوشي في تدريس مذهب مالك ، ثم أنشأ له الخليفة الحافظ أول مدرسة لأهل السنة في الشرق كله على مذهب مالك سنة ٥٣٢هـ ، وسميت الرضوانية أو الحافظية أو العوفية ، أنشأها الوزير رضوان بن ولجشي بشارع المحجة أي طريق الحرية الحالي ، وذلك قبل إنشاء المدرسة السلفية أو العادلية التي أنشئت سنة ٤٤٥هـ لنشر المذهب الشافعي .

وفي سنة ٥٧٧هـ قدم السلطان صلاح الدين الأيوبي إلى الإسكندرية وقال : « ننتم حياة الشيخ أبي طاهر بن عوف » ، وتم له ولأولاده منه السماع للموطأ برواية الطرطوشي ، أي بعد سماع صلاح الدين لدروس الحديث على السلفي سنة ٥٧٢هـ ، وكتب القاضي الفاضل رسالة يخفى فيها صلاح الدين على هذا السماع

ويشبهه بهارون الرشيد وسماعه هو والأمين والمأمون على الإمام مالك ،  
والمرجسون للسلفي قلما ينسون ابن عوف كلما ذكرت الإسكندرية ، فيقولون  
دائما : « أبو الطاهر السلفي وابن عوف » .

وعندما كان صلاح الدين بالشام ، واختلف فقهاؤها في قضية جواز أن يكون  
الاعمى قاضيا ، بحث إلى القاضي الفاضل بمصر يأمره بالذهاب إلى ابن عوف  
بالإسكندرية ، ليستفتيه في هذه القضية ، عرفانا من صلاح الدين بقدر ابن عوف  
ورسوخ قدمه في الفتوى والورع والزهد والتواضع .

ولابن عوف ابن نجيب هو ابن نفيس أو الحرم مكي صاحب « العوقية » وهي  
في ٣٦ مجلدا شرح بها « التهذيب » للبرادعي ، وكان يقوم بالتدريس في أيام أبيه  
بالعوقية . وحفيده عالم أيضا هو الزاهد رشيد الدين عبد العزيز بن محمد بن أبي  
الطاهر بن عوف ، زار دمشق سنة ٦٢٦ ، ومنهم أبو الفتح عثمان بن هبة الله بن  
عبد الرحمن بن مكي بن إسماعيل بن عوف الزهري الإسكندراني آخر أصحاب ابن  
موقا وتوفي سنة ٦٧٤ ، ومنهم سيدي الزهري المعروف بهذا الاسم عند  
الإسكندرانيين في الوقت الحاضر ، وضريحه لا يزال قائما يزار عند « الشلالات »  
يفصله عن سور « ملعب الإسكندرية » طريق واسع .

ونرجح أنه هو النجيب أبو علي الحسن بن أبي محمد عبد الوهاب بن أبي الطاهر  
إسماعيل بن مكي بن عوف القرشي الزهري السكندري المالكي ، ولد بالإسكندرية ٥٥٣  
وسمع من جده الإمام أبي الطاهر إسماعيل بن عوف ، وحدث ، بالإسكندرية  
والقاهرة ، وكان من أعيان الثغر ومن ذوي الآراء السديدة ، وعرف بحسن الأخلاق  
والظرف والعلم والصلاح وتوفي بالإسكندرية سنة ٦١٢ ، تحدث عنه المنذري (١)

(١) التكة لوفيات النقلة .

وعن أبيه وجده وأخويه أبي البركات عبد الله وأبي الفضل عبد العزيز ، أما النجيب المترجم له فقد أدرك في عز شبابه الإمام السلفي بالإسكندرية في أخريات حياته وسمع منه ، لأن السلفي توفى ، والنجيب في الثالثة والعشرين من عمره . وبالاختصار فإن قصة ابن عوف وذريته من بعده سيرة عطرة ومشهورة في معظم تراجم المالكية والإسكندرية والمساجم الأندلسية ، وقد اعتمدنا عليها جميعاً في تلخيص هذه النبذة .

وقد أخذ صلاح الدين برأى الإمام الفقيه صدر الإسلام ابن عوف في تحديد رسم على صادرات الإفرنج بديوان الإسكندرية ( الجرك ) خصصه كرتبات شهرية لفقهاء الثرو وذريتهم من بعدهم ، وجعل السلطان لهذا ( المصادر ) مديراً وأعواناً ، كما ذكرنا ذلك من قبل ، في الحديث عن حسنات الدولة الأيوبية على العلم والعلماء في الإسكندرية .

ومن مؤلفاته : تذكرة التذكرة ، في أصول الدين ، وله كتاب في الرد على صاحب « الفاضح » الذي تناول على الإسلام بالطعن في أحكامه .

— عبد المنعم بن يحيى بن خلف بن النفيس المكتب الفرناطي الأندلسي ، أخذ القراءات عن أبيه ، ودخل مراكز وحفظ القرآن وأتقن العربية ورحل إلى المشرق وحج وتجول واستوطن الإسكندرية وحدث بها وروى عنه أبو الحسن المقدسي ، وسمع منه بها أبو الحسن ابن خيرة موطأ مالك سنة ٥٨٤ هـ ، وتوفي سنة ٥٨٦ هـ ، ذكره المنذرى (١) وابن الأبار (٢) .

— أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الحضرمي المالكي قاضي الإسكندرية ، روى عن

(١) التذكرة لوفيات النقلة

(٢) التذكرة لكتابات العملة

محمد بن أحمد الرازي وتوفي سنة ٥٨٩ هـ .

— أبو الحجاج يوسف البلوى المالني عرف بابن الشيخ ، فقيه محدث أديب شاعر أندلسي الأصل ، وأقام بالإسكندرية ، وتليذ للحافظ السلفي سنة ٥٦٢ هـ وأكثر من النقل عنه وهو صاحب الموسوعتين الثقافيتين « ألف باء » و « تكميل الأبيات » وتسم الحكايات بما اختصر للألبا في كتاب ألف باء . الأول مطبوع في مصر والآخر مفقود ، وقد وصف منارة الإسكندرية وصفا دقيقا وقاس أبعادها بنفسه ، لأنه كان مهندسا ، ولقبها السرقسطي والديباجي العثماني وثقة بذت الخطيب ، وسائر المجموعة التي كانت تحضر على السلفي ، وبني بيلده ٢٥ مسجداً من ماله وتوفي سنة ٦٠٤ هـ عن ٧٧ سنة ، وكان موفور الحظ في الريّة والأدب والفقه والأصول ، وكان يلبس الخشن من الثياب .

— أبو القاسم بن فيرة الشاطبي : دخل مصر سنة ٥٧٢ هـ وحضر عند السلفي وسمع منه ، وهو العالم بالقرءات المشهور . ومات بالقاهرة سنة ٥٩٠ هـ . وهو صاحب « حرز الأمان » وقد ميزنا بينه وبين الشاطبي المتصوف نزيل الإسكندرية ودفنهما والمتوفى سنة ٦٧٢ هـ .

— ابن البورى الدمياطي كان مدرسا للحديث بمدرسة السلفي وتوفي سنة ٥٩٩ هـ .

— الإمام أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي الخير بن سلامة بن يوسف القضاعي الإسكندري المالكي قاضي الإسكندرية وناظر الفقهاء ، وقد قرأ عليه القاضي السكندري الخطيب جمال الدين الرضي ، وعرض عليه السلطان أن ينوب في الحكم بالإسكندرية فامتنع ، وتوفي ابن سلامة سنة ٦٠٣ عن ٨٢

سنة ، وكانت له مكانة جليلة عند الملك السلطان العادل الأيوبي ووزيره وصاحبه  
 البصفي عبد الله بن علي ، وهو الذي رشحه ليتولى منصب حاكم الثغر فرفض ترفعا ،  
 فألح عليه أعيان الإسكندرية ، حتى نزل على رغبتهم وقبل المنصب مكرها ، وضم  
 إليه النظر في مساجد الإسكندرية وأجاسها ( أوقافها ) ، فكان ابن سلامة أول  
 قاض يجمع بين الخطابة والقضاء .

وليس أدل على زهده من تركه الرسم الجارى على حكام الإسكندرية قبله ،  
 وكان مقررا في نظر العيار بدار الضرب ، فأمر بتوفيره وتخصيصه للعالماء الوافدين  
 على الإسكندرية وغيرهم ، ولم يتناول ابن سلامة منه شيئا ، فأمر السلطان بحمله  
 إلى بيت المال .

هذه التبعة استوعبناها من سيرة القاضي جمال الدين الريفي المخطوطة النادرة  
 بعنوان « المفاخر السنوية والمآثر المرضية » ، ولانعم أحدا أفاد منها قبلنا .

— أبو الفضل عبد المنعم بن عبد العزيز الإسكندراني الفقيه الشاعر المالكي ،  
 رحل إلى بغداد ، وطلب الأدب ، ولقى الفضلاء ، وله شعر رقيق ، وهو  
 الشاعر المصري الوحيد الذي ذكره ابن سعيد الأندلسي في « الفصول الياضة في  
 محاسن شعراء المائة السابعة » ، ولخص أخباره عند زيارته للإسكندرية عن  
 شيخ علمائها الأسعد بن يعرب ، وأورد الكثير من شعره ، وتوفي سنة ٦٠٣ هـ ،  
 وقد أوجز ترجمته كل من ابن الأثير وابن السامى ، بينما لم يتحدث عنه السلفي ،  
 — وهو معاصره — في قليل ولا كثير .

كان رسولا إلى يحيى بن غانية الميورقي الثائر الذي أعلن الاستقلال بإفريقية  
 فترة من الزمن ، فرجع بمئيرة آلاف دينار ، فرحبها في أهل وده ومعارفه ،

ومات فقيرا بمارستان بئداد ، وكان أمير المؤمنين أبو عبد الله قد جئز جيشا ضخما إلى أفريقية ، وكان قد استولى عليها الميورقي ، عندما انتهر فرصة انفراد الموحدين بغزو الروم لأندلس .

— هبة الله بن محمد بن الحسين بن مفرح جمال الدين أبو البركات المقدسي ثم الإسكندراني ، ويلقب بابن الراعظ ، أخذ عن السلفي ، وكان من جدول الإسكندرية ، وبها توفي سنة ٦٠٥ عن ٨١ سنة .

— الحافظ أبو الحسن علي بن الفضل بن علي المالكي المقدسي ، كان من حفاظ الحديث وأئمة المذهب العارفين به ، وله تصانيف ، وتخرج بالسلفي ، وخلفه في رئاسة المدرسة السلفية ، وتوفي بالقاهرة سنة ٦١١ ؛ وقلبا تملو ترجمة للسلفي من ذكر اسمه والتبويه بفضلته ، وله مؤلفات عديدة .

— عبد الكريم بن عطاء الله الإسكندراني الإمام في الفقه والأصول والعربية ، رافق ابن الحاجب في الأخذ على أبي الحسن الايباري ، وتوفي سنة ٦١٢ .

— عبد الرحمن بن عبد الجبار العثماني الإسكندراني ، وكان ممن أكثروا الأخذ عن السلفي ، والسماع منه ، وكان من المحدثين السكندريين ، الذين انفردوا بملو الإسناد ، وتوفي سنة ٦١٤ عن ٧٠ سنة .

— أبو طالب ابن حديد القاضي المالكي السكندري ، وهو من بيت قضاة وحشمة مشهور بالامسكندرية ، روى عن السلفي ، وحدث وانفرد بملو الإسناد وتوفي بالاسكندرية سنة ٦١٩ .

— أبو الحسن علي العراقي الحلال ويعرف بابن البغاء حدث بمصر والاسكندرية

وفوق ، وانفرد بعلوم الإسناد في الحديث ، وتوفي بمكة سنة ٦٢٢ .

— عيسى بن عبد العزيز اللخمي الشريفي الإسكندراني ، المقرئ ، سمع من السلفي سنة ٦٢٩ .

— علي غفيف الدين المصري الشافعي المقرئ ، سمع من السلفي وتصدر للإقراء بالمدرسة الفاضلية بالقاهرة وتوفي بها سنة ٦٣٣ .

— جمال الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الحميد بن إسماعيل الصفراوي الفقيه المالكي المقرئ الإسكندراني ، ولد بالإسكندرية سنة ٥٤٥ هـ ، وسمع من السلفي ، وحققه بأبي طالب صالح بن بنت معافي ، وقرأ على أبي القاسم بن خلف الله ، واتهمت إليه رئاسة الإفتاء والإقراء بالإسكندرية ، وبها توفي سنة ٦٣٦ عن ٩٢ سنة ، وكان محدثا انفرد بعلوم الإسناد .

— جعفر بن علي بن هبة الله أبو الفضل الهذلي الإسكندراني المالكي المقرئ المحدث الأستاذ ، تصدر للإقراء وروى عن السلفي بكثرة ، وتوفي بدمشق سنة ٦٣٦ هـ .

— شرف الدين أبو المكارم محمد بن عبد الله بن الحسن السكندري ابن عين الدولة المتوفى سنة ٦٣٩ .

— عثمان بن عمرو أبو عمرو بن الحاجب ، ولد بإسنا سنة ٥٧٠ وتوفي بالإسكندرية سنة ٦٤٦ ، روى عنه المنذري ومنصور بن سليم ، وحققه على أبي منصور الإيباري وتأدب على الشاطبي ، وله مصنفات في الفقه والأصول والنحو وبه اشتهر ، وتصدر بالمدرسة الفاضلية بالقاهرة لإقراءه ، ولم يدرك السلفي الذي توفي وابن الحاجب ابن ست سنوات ، وكان فقيها مقرئا أصوليا نحويا صرفيا عروضا ، ودرس بدمشق وهو صاحب « الكافية » في النحو ، وقد اشتهر بها

وكرثت شروح المؤلفين عليها، وله أيضا « الشافية » في الصرف ، و « فقه المالكية » ،

• — منصور بن سندهن الدباغ أبو علي الإسكندراني النحاس ، أكثر من  
الآخذ عن السلفي ، وانفرد بعلو الإسناد في الإسكندرية ، وتوفي بها سنة ٦٤٨ .

— أبو منصور بن عبد الملك بن عتيق مظفر بن السري القهري الإسكندراني  
المالكي الشاهد ، أخذ عن السلفي ، وانفرد بعلو الإسناد ، وتوفي سنة ٦٤٨ عن  
٩٠ سنة .

— ابن الجيزي الفقيه المقرئ المحدث المصري ، انتهت إليه مشيخة العلم في  
الديار المصرية ، أخذ عن السلفي ، وتوفي سنة ٦٤٩ .

— سبط السلفي ، جمال الدين أبو القاسم عبد الرحمن مكى بن عبد الرحمن  
الطرابلسي الإسكندراني المحدث ، سمع من جده وشهد وانتهى إليه علو الإسناد ،  
بالديار المصرية ، وتوفي بمصر سنة ٦٥١ عن ٨١ سنة .

— المحافظ أبو الفضل جعفر بن الوزير الفضل بن الفرات البغدادي  
( ابن خنابه ) نزيل مصر أيام وزارة الكامل لكافور ، قال عنه السلفي « كان من  
الحفاظ المتقنين ، يعلو ويروي في حال الوزارة ، عندي من أماليه ومن كلامه على  
الحديث الدال على حدة فهمه وقوة عليه » .

— ابن وثيق شيخ القراء أبو إسحق إبراهيم بن محمد الأموي الإشبيلي، تنقل  
في البلاد وأقرأ بمصر والشام والموصل، وكان عالي الإسناد وتوفي بالاسكندرية  
سنة ٦٥٤ هـ .

— ابن سناء الملك الشاعر المصري ، سمع الحديث من السلفي وتوفي سنة ٦٥٨ ،  
كان تحريا ، وكتب بديوان الإنشاء ، وله « حر الطراز » في الموشحات .

— أحمد بن جعفر بن أحمد بن إدريس الإمام أبو القاسم النافق الخطيب  
المصري، أخذ عليه القراءات أبو القاسم الصفراوي، وتوفي بالإسكندرية سنة ٢٦٥  
هـ ١١٠ سنة .

من ذوى الثقافات المختلفة هؤلاء أو معظمهم استقى السلفى معلوماته الضخمة  
وهو بالإسكندرية سواء كانوا شيوخا له ، أو ضيوفا أو تلاميذ أو أصدقاء ، شيئا  
وشبابا ، رجالا ونساء ، حكاما وفقهاء وعلماء ومفسرين ونحاة وشعراء وخطباء  
وقضاة ومهندسين وأطباء وفلاسفة ومتكلمين ومناطقية ومتصرفة شيعية وسنية .  
ومما يمتاز به السلفى أنه كان لا يستنكف من الاستماع إلى كل حامل علم ولو لم  
يكن عالما ، ومنهم الاميون الذين لا يقرأون ولا يكتبون ، ولكن الظاهرة الجبينة  
أنهم كانوا حفاظا للأدب والتاريخ والنوادر والحديث ، ففى الإسكندرية كان  
أرباب الحرف يحفظون الكثير من المعارف ، وكان ينقلها عنهم السلفى ويسجلها  
فى كتبه وأماله من أشعار وأخبار ونوادر وغرائب ومشاهدات ، ويسميها  
تعليقات ، من هؤلاء : التاجر العامى الحافظ أبو الحزم شداد بن شريف بن  
صدقة اللخمي ، والتاجر أبو الحسن شروة السلماسى والتاجر أبو الفناهم محمود بن  
المفضل بن حيدره بن مطر الفرياني (١) وكان يسمع الحديث مع تجار حلب من  
السلفى ، والمطرز أبو الحسن الكندى الشاعر ، والفلاح أبو محمد عبد الله الأزدي  
المباحى الرشيدى ، والخطاط الأديب أبو البركات القاضى السوسى ، والمجلد الكتبي  
الاندلسى أبو عبد الله بن سعيد الخولانى ، والوراق الشاعر السكندرى عبد  
الوهاب بن توهيب ، والوراق أبو الكرم وجيه بن شبل بن فاضل التتلي الكاتب ،  
ويعلق السلفى عند ذكره فيقول : « وعلقت عنه ما علقت لقراءة اسمه لا لعلو

«١» فريمان : قرية قرية من هتلا .

سندّه ولا عليه ، ، والمزّذّن أبو القاسم نجما الرملی ، والحداد الشاعر ظافر الحداد.

وما يلفت النظر حقاً ذلك الحشد الهائل من المثقفين في الإسكندرية في عصر  
السلطنة من أساتذة وتلامذة ، بخلاف الرافدين الطارئين سواء في موسم الحج أو  
المقيمين بها مؤقتاً أو مؤبداً ، حبا في العلم .

وهذا يشير من غير شك إلى أن أرجاء الإسكندرية كانت أشبه بخلايا النحل ،  
كما أن سكانها كانوا من الكثرة بحيث استطاعت أن أمّوعبهم هذه المئات من  
المدارس والمساجد والمصليات والأربطة والمحارس والمنازل والقصور .

( ٥ )

## ثقافة السلفي

« بقية المنادين المبرين »  
« جماعة المحدثين المكثرين »  
— ابن الأبار —



## الحافر على الحافر

كان السلفى حقا مجددا في ثقافته ومقلدا للإمام الشافعى ، وتأثر به أيما تأثر ، على الرغم من تلك العجوة الزمنية التى فصلت بينهما ، على مدى أكثر من أربعة قرون طوال .

كان الشافعى نابها منذ صباه الباكر ، وكانت له رحلة علمية انتهى به اللطاف فيها إلى مصر ، وكان عليه وضوان الله دقيقا كل الدقة فى تفكيره ، واسع الحيلة فى فهم دقائق القرآن والسنة ، عن فهم وبصيرة نفاذة ، أما تعبيره فكان أشبه بالماء الزلال سهولة ويسرا ، لا تكلف فيه ولا تعنت ، ونشر العلم فى الآفاق مدرسا وكاتبا ، ويكفى أن نعلم أن كتابه ( الأم ) وحده كان يحتوى على مائة وأربعين كتابا فى الأحكام .

واشتهر الشافعى بإحاطته بشئى ضروب المعرفة من تفسير ولغة وحديث وفقه وفلك وطب ، وكان يمتزج الطب ( فقه الأبدان ) ، شهد له ابن حنبل بالنبوغ فى فقه القرآن واستنباط معانيه فقال : ما رأيت أحسن من هذا الفقى فى فقه القرآن ، واستنباط معانيه .

وكان رضى الله عنه محققا مدققا أميناً ، وكان يقول : « من تعلم قليدقن ، كيلا يضيع دقيق العلم » ، وقد سار على نهجه هذا الإمام المحدث السلفى ، سواء فى أسلوب التفكير أو الدراسة أو التدريس أو الإسناد ، يقول الشافعى مثلا : حدثني مالك عن عروة بن هشام عن أبيه عن زينب بنت أبي سلمة عن سلمة زوج النبي

أن النبي قال ، ويأتى بالحديث ثم يشرحه في أناة ، ويفتح ذهن السامع أو القارىء بمسائل غاية في الدقة والوضوح مما ، لا يلحظه فيها أحد من بعده بغيره .

وافرد السلفى بثقافة لا مثيل لها عند غيره عمقا واتساعا ، تحصل عليها بالأخذ عن العديد من الشيوخ ، في العديد من البلاد ، على مدى قرن كامل من الزمان ، تفاعلت في أحداثه الجسام عوامل متضاربة وأجواء متباينة ، خرج منها السلفى لاما براقا ، كالذهب الأصيل ، فكان المحدث الضليع ، والفقيه البارع ، والمعلم النافع . والنسابة المترجم ، والقوى المتمكن ، والمؤرخ المدقق ، والبلداني المحقق ، والشاعر الرقيق ، والكاتب الحصيف ، والناقد النزيه ، والمقرئ الأمين ، والزاهد العفيف ، وعلى رأس هذه الثقافات الواسعة العميقة، كان السلفى « عالم الحديث » ، الذى لم يجد الزمان بمثله ، حتى لقد وضع تلميذه التيجي الأندلسي معجما عن شيوخ السلفى بعنوان « مشيخة السلفى » وبدأ به لسنه وفضله وعظم قدره وعلو سنده .

## السلفى . . . وعلم الحديث

في هذا الميدان كان السلفى أشهر الفرسان ، بما اغترفه منه طلاب الحديث ، ونشروه في الآفاق ستين طويلة ، وما تركه هو للتاريخ من مؤلفات ، لاندري اليوم عنها شيئا ، منها كتاب « الأربعين البدائية » وتسمى « الأربعين السلفية » أو « بلدانيات السلفى » و « سداسيات » و « سلفيات » من أجزاء الحديث .

وفينا إلى أقوال المشاهير عن السلفي المحدث :

قال ابن تيمري بردى : « طاف الدنيا ، ولقى المشايخ ، وكان يمشى حافيا ، يطلب العلم والحديث » .

وقال ابن الجزري : « حافظ الإسلام ، وأعلى أهل الأرض إسنادا في الحديث والقراءات ، مع الدين والفقه والعلم » .

وقال الذهبي : « حدث بالكثير ، ورجل إليه من الآفاق » ، وقال أيضا : « لا أعلم أحدا في الدنيا حدث نيحا وثمانين سنة سوى السلفي » .

وقال السبكي : انتهى إليه علو الإسناد مع الحفاظ والإتقان ، وقد طلب الحديث وكتب الاجزاء ، وقال أيضا : « حدث عن أمم .. وروى عنه المسلمون بالاولوية حضورا » .

وقال ابن السمعاني : « كثير الحديث ، حسن الفهم والبصر في فنه » .

وقال ابن باصر : « كان ينفذ كأنه شعلة نار في تحصيل الحديث » .

وقال الزهاوي : « يجلس الحديث ، فلا يشرب ماء ، ولا يمسح ولا يتورك ، ولا يبدو له قدم » .

وقال ابن خلكان : « رحل في طلب الحديث ولقى أعيان المشايخ » .

وقال السبكي : « بلغني أن سلطان مصر حضر هذه السماع ، فجعل يتحدث مع أخيه فزجرهما وقال : إيش هذا ؟ نحن نقرأ الحديث وأنتما تتحدثان ؟ » .

وقال ابن نقطة : « كان حافظا متقيا جريا في الآفاق ، سائلا عن أحوال الرجال ،

وقال أبو الربيع بن سالم : «تفرد في الدنيا بالإمامة في علم الحديث، وعلو الدرجة في الإسناد ، وأخذ عنه أهل الأرض جيلا بعد جيل ، وسمع الناس على أصحابه ، وهو لم يمد عهد بشيابه » .

— وقال ابن الأثير : «كان حافظ الحديث ، عالما به ، سافر في طلب الكثير ، وقال شكيب أرسلان : «مسند الدنيا» وقال : «حدث الدنيا في وقته ، ومحدث الدهر» .

— وقال السخاوي : «والأسكندرية .. ما زال بها الحديث قليلا حتى سكنها السلفي ، فصار مرحولا إليها في الحديث والقراءات ..» .

— وقال ابن عساكر : «كان قدومه الإسكندرية في أول سنة ٥١١ للهجرة من أبي عبد الله بن الخطاب الرازي المتوفى سنة ٥٢٥ ، وقد استوفى مائة سنة ، فخلقه في الإجماع ، وطال عمره ليطول به الانتفاع » .

— وقال السيوطي : «انتهى إليه علو الإسناد ، روى عنه الحفاظ ، في حياته، وله تصانيف ، وكان أوجد زمانه في علم الحديث، وأعلمهم بقوانين الرواية» .  
وقال ابن عساكر : «بقية المسندين المعمرين ، وخاتمة المحدثين المكرمين ، وقد تفرد في وقتنا هذا بعلو الدرجة في الإسناد والمعرفة والإتقان وال ضبط » .

وقال العماد الكاتب الأصمباني يصف زيارة صلاح الدين الأيوبي الإسكندرية سنة ٥٧٢ هـ : «... ثم وصلنا إلى قصر الإسكندرية، وترددنا مع السلطان إلى الشيخ الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي ، وداومنا الحضور عنده ، واجتلينا من وجهه نور الإيمان وسعده ، وسمعنا عليه ثلاثة أيام الخميس والجمعة والسبت رابع شهر رمضان واعتننا فرصة الزمان ، فتلك الأيام الثلاثة ، هي التي حسبناها من العمر ، فهي آخر ما اجتمعنا به في ذلك الثغر » ، وذكر ابن واصل أنه «لما استصحب ولديه

في هذه السفرة ، ليسمعا الحديث النبوي ، وتعمها البركة ، (١) .

ويكمل المقرئ هذه الزيارة فيقول عن صلاح الدين : ... ومعه ابنه الأفضل ( علي ) ، والمريز ( عثمان ) ، فصام بها - أي بالإسكندرية - شهر رمضان ، وسمع الحديث على الحافظ أبي الطاهر أحمد السلفي ، (٢) .

وقال المنزلي : ولما أرادوا قراءة سنن النسائي على السلفي ، أتوه بنسخة سعد الخير ، وهي مصححة ، قد سمعها من الدوني ، فقال : اسمي فيها ؟ فقالوا : لا .. فأخذ بها من يد القاري - بنيفظ وقال : لا أحدث إلا بأصل - أي بأصل فيه اسمي - ولم يحدث بالكتاب .

وذكره أبو الوليد بن الدباغ في « طبقات المحدثين » وأسند عنه بالإجازة هو وجماعة وافرة ماتوا قبله .

وذكر السبكي أن والده - أي والد السبكي - قد اعترض على فتوى أفتاها السلفي - سنذكرها في حينها - لأن فته هو الحديث وليس الفتوى ، وما كان ذلك ليقلل من شأن السلفي ، بل إنه لما يعزز القول بأنه نبغ في الحديث نبوغاً لم يلحقه ولم يسبقه فيه أحد من بعده أو من قبله .

ولقد كان أول سماع السلفي للحديث يبلده أصبهان - كما ذكرنا - على رئيسها أبي عبد الله الثقفى مسند عصره ، وكان ذلك سنة ٨٨٨ هـ (٣) ؛ وسمع في بغداد من أبي الحسن بن الطيوري الصيرفي البغدادي ، وكان محدثاً صحيح الأصول حينا ، مكثرا

(١) مفرج الكروب : ج ٢ : ابن واصل .

(٢) السالك : المقرئ

(٣) المسهم : ابن الأبار

أمينا صدوقا ، توفي سنة ٥٥٠ هـ عن ٨٩ سنة ، كما سمع من أبي الحسن على الطبري .  
 الملقب عماد الدين الكيا الهراسي الفقيه الشافعي مدرس النظامية ببغداد ، وقد مات  
 بها سنة ٥٠٤ هـ وكان محدثا يستعمل الأحاديث في مناظراته وبجالسه ، وهو الذي  
 أفق بأن الذين يكتبون الحديث محسبون في الفقهاء ، عملا بقول رسول الله : « من  
 حفظ على أمي أربعين حديثا من أمر دينها ، بشه الله يوم القيامة فقيها عالما » .  
 وعندما اشتد عود السلفي ، أصبح قادرا على التمييز بين الرجال من حيث  
 التوثيق ، فلما سمع بعلي بن أحمد الواعظ الشرواني ، ذهب يسمع منه ليتأكد من  
 صدقه ، فقال : « أكثر ما فيه من الأسانيد من كتاب لا أصل له » ، بينما سمع بآب  
 الخطاط الرازي السكندري ، فرسل إلى الإسكندرية ليرى منه ، حتى كانت وفاته  
 سنة ٥٢٥ هـ ، وكان ابن نادر الميورقي قد استوطنها وأحيى علم الحديث بها ، فسمع  
 منه السلفي ، وانتفع به ، حتى توفي ابن نادر سنة ٥٣٣ هـ ، وهكذا كان السلفي حريصا  
 على الامتداد عن أعيان علم الحديث في كل مكان .

ولقد كان السلفي يفتخر بطلب الحديث وطلابه ورجاله ، ونظم في ذلك شعرا  
 كثيرا سنذكره في الوقت المناسب ، ولكن يكفي أن نذكر هنا هذين البيتين قالهما :

إن علم الحديث علم رجال      تركوا الابتداع للاتباع  
 فإذا الليل جنهم <sup>(١)</sup> كتبوه      وإذا أصبحوا غلوا السماع

وكان السلفي يقول بما يقول به شيوخه : « الحديث عز في عز ، والفقه خبز  
 في خبز ، والكلام رز في رز » <sup>(٢)</sup> ، وعلى هذا يجعل الصدارة في العلوم الإسلامية

---

(١) جنهم الليل أى طوام وانقمام .

(٢) ألف باء : البلوى .

لعلم الحديث ، قبل الفقه وعلم الكلام (وهو علم الجدل أو علم التوحيد أو علم العقائد)  
ويصوغ ذلك شعرا فيقول :

إن العلوم - كما علمت - كثيرة وأجلها فقه الحديث وعلمه

لولا الحديث وأهله لم يستقم دين النبي ، وشذ عنا حكمه

وأهمية علم الحديث لا تغنى على مصنف العلوم ، لأن الثقافة الإسلامية تنفرد  
من بين ثقافات الأمم بأصول لا يشاوبها فيها غيرها.. هي القرآن الكريم والحديث  
الشريف والاجتهاد والقياس ، وقلبا كان المسلمون الأولون يقرأون ويكتبون ،  
ولكن الله عوضهم عن القراءة والكتابة قوة (الحفظ) ، ومع ذلك حرصوا على  
التعلم ونسخوا القرآن في الصحف ، حتى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ،  
فهو كتاب الله المنزل على لسان نبيه ورسوله محمد عليه السلام ، أفصح العرب وأبلغهم  
على الإطلاق ، ودار الحوار بين المسلمين حول القرآن كتاب الله مخلوق هو أم ليس ،  
وتشعب المجلد - بين المتكلمين - حول مشكلة عرفت باسم (خلق القرآن) ، وكفر  
بعضهم بعضا ، واحتدم النزاع ، وسالت الدماء ، واختلطت السياسة بالعقيدة ،  
ولكن - على الرغم من هذا كله - لم يختلف اثنان حول (نصوص) القرآن ،  
ووضعت قواعد (القراءات) لتساوته على الوجه الصحيح ، واستبحت بعض  
المعاني في آياته . مما دعا إلى (التفسير) و (التأويل) تنزيها للألوهية عن التشبيه  
والمادية الرخيصة ، وكان لابد من استيعاب أصول (العريية) التي نزل بها القرآن  
نحوها وصرفا ، حقيقة وبجازا ، في ضوء ما قاله وفعله وأقره صاحب الرسالة عليه  
السلام ، فكان هذا القول والفعل والإقرار من رسول الله جماع (الحديث الشريف) ،  
وكل حديث يشتمل على جزئين : نص الكلام المنسوب إلى النبي ويسمونه  
(المتن) ، وسلسلة رواة هذا الكلام وتسمى (السند) ، وهما متكيزتا : فمعلم الحديث

ومن الطبيعي أن تختلف رواية عن رواية، بسبب ظروف القول وقوة الحفظ وأحوال النقلة وتفاوتهم في النقل علواً وزولاً ، وانتشارهم في الأمصار، كما أن بعض (الإسرائيليات) قد اندست بفعل اليهود في الأحاديث الصحيحة، لتجد لها سبيلاً إلى الطعن في الإسلام، ولكن علينا أن نأتمننا كانوا لليهود بالمرصاد، فكشفوا عن آفات الرواية، ولم يأخذوا إلا من المشهود لهم بالصدق والتحرز، فوصلوا بمنهج الجرح والتعديل، إلى الثقات، بعد جهد جهيد، وعلم واسع .

ومن هنا كان الذين تجردوا للإستاد وقرعوا له أوسع علماء الإنسلاَم ثقافة من لغة وأدب وطب وفلك وجغرافيا وتاريخ ومنطق وفلسفة وكلام وتصوف، وعرفوا بالصدق والأمانة والتحرز والثقة في سلوكهم القردى والجماعى، وبذلك أمكن الأخذ عنهم، إيرادهم من كل ما يطمئن في وثاقة علمهم، وأمانة خلقهم، وهما أجل مفضرتين للإسلاميات علوماً وعلماء .

وما أجمل قول السلفي عن شيوخه: « فضلت هذه الأمة على سائر الأمم بالإستاد والنسب والإعرا ب » (١) .

وإذا كان آباء المسلمين الأولين قد عنوا بقرينة أبنائهم على مغازى رسول الله، فكانوا يعلمونهم إياها كما يعلمونهم السور من القرآن، فما بالهم بالأحاديث النبوية يحفظونها عن ظهر قلب، ويعتبر أحدهم نفسه كذاباً إذا لحن أو حرف أو غير أو بدل في المتن، خوفاً من قول رسول الله: « من كذب على عامداً فليتبوأ مقعده من النار »، ومع ذلك أجاز بعضهم نقل الحديث بمناء، بشرط أن يكون الناقل من أهل المعرفة بتبديل لفظ مكان لفظ، لأن المترادفات أحياناً الكلمة الواحدة في اللغة العربية كثيرة .

أما (الإسناد) فعليه مدار الأخذ بالحديث وتمييز الصحيح من الباطل ،  
والرفوع من الموضوع ، والمقبول من الحسن ، حتى يكون استنباط الأحكام  
الشرعية في العبادات والمعاملات على أسس سليمة ، وتلك هي مهمة (الفقه) والفقهاء ،  
وهم يلون المحدثين في الدرجة .

لهذا لم يكن المحدثون يطلقون كلمة (الحديث) إلا بعد التأكد من صحته ،  
ووثوق أسانيد ، وعلى سبيل الحيلة كانوا يطلقون عليه أولاً لفظة (الخبر) ،  
لأن الخبر - لغة - هو ما يحتمل الصدق والكذب ، فإذا ثبت صدقه فهو حديث .

والإسناد هو عملية نسبة الحديث إلى رواته بالتسلسل علواً إلى مصدره الأول  
وهو رسول الله ، بالوقوف على قصة الراوى منهم : صحابى هو أم تابع ، نزيه أم  
متهم ، ثبت أنه نقل عن سبقة أم لم يثبت ؛ مغموز في نسبه أم غير مغموز ، مشهود  
معروف هو بالعلم أم هو من المجاهيل ، وهكذا . . ، وقبياً إلى أقوال حكيمه عن  
أهمية الإسناد .

قال أبو هريرة صاحب رسول الله : « إن هذا العلم دين ، فانظروا عمن تأخذونه ،  
ومن المعروف أن السيدة عائشة عليها رضوان الله قد دبت الغيرة في نفسها من أبى  
هريرة فقالت له يوماً : يا أبا هريرة ، ماهذه الأحاديث التي تراك تروىها عن رسول  
الله ، هل رأيت إلا ما رأينا ، وهل سمعت إلا ما سمعنا ؟ فقال : يا أم ، أما أنت  
فكان يشغلك عن رسول الله المكحلة والمرآة ، وأما أنا فما كان يشغلني عنه شيء ،  
وهذا هو التجرد بعينه .

وقال عبد الله بن المبارك : « الإسناد من الدين ، ولولا الإسناد لقال من  
شاء ما شاء . . »

وقال سفيان الثوري : « الإسناد سلاح المؤمن ، فإذا لم يكن معه سلاح فبأي

شيء يقال .

وقال شعبه : « كل علم ليس فيه (حدثنا) أو (أخبرنا) فهو نخل وبطل » .  
 وقال يزيد بن زريع : « لكل دين فرسان ، وفرسان هذا الدين أصحاب الأسانيد » .  
 لهذا ، كان الأئمة الأعلام مسانيد يعتمد عليها ، ويوثق بها ، منها : « مسند  
 ابن حنبل » و « صحيح البخاري » و « صحيح مسلم » ، وعلى ذلك فالكتاب  
 ( مسند ) - يضم الميم وفتح النون - والمحدث ( مسند ) - يضم الميم وكسر  
 النون - وعمله هو ( الإسناد ) ، والحديث كما قلنا شطران : ( سند ) و ( ومث ) .  
 وللإسناد مراتب متفاوتة ، أعلاها : سماع الراوي قراءة المحدث للكتاب الذي  
 رواه ، أو إمراده الحديث من حفظه ، على أن يكون سماعه من نبخ في علم  
 الحديث دراية ورواية ، عملاً بقول رسول الله : « نضر الله عبداً سمع مقالتي  
 فحفظها ووعاها فأداها كما سمعها ، فرب حامل فقه ليس بفقيه ، ورب حامل فقه  
 إلى من هو أفقه منه » ، والمرتبة الثانية : عرض الراوي للكتاب أو الحديث ، ثم  
 سماع ذلك منه ، ثم مناولة<sup>(١)</sup> الشيخ للكتاب الذي رواه من شيخه ، وأخيراً  
 الإجازة ، وهي أن يجيز الشيخ للطلاب أن يتحدث عنه بالكتاب الذي رواه .

وتلخص وظائف المسندين في اثنتين هما :

١ - المسجل والرواية : وذلك بأن يعرف المسند معرفة تامة طرق الرواية  
 ومراتبها ، بتقديم حسن النية ، واستفادة راوي الحديث بروايته ، زيادة في التفقه

(١) المقصود بالمناولة أن يمشي الشيخ بكتابه إلى تلميذه البعيد مع شخص . يأمره بأن  
 يسلمه له وحده ، كما كان النبي « يناول » أحد الصحابة كتاباً في سراياه وأمره ألا يعقبه إلا  
 عندما يصل إلى مكان كذا .

والعمل بما يستفيده ، وإبلاغه إلى من يستحقه ، مع العناية بتعلم علوم اللغة ، حتى لا يلحق في الحديث ، أو يصحف كلامه ، واختيار الثقات المشهورين بالرواية والحفظ ، وإتقان ما جمعه من الحديث وغيره ، بحيث يكون معروفاً باتباعه السنة ، وإتباعه عن البدعة ، وأخيراً احترام الشيخ لكن يستخرج منه الفوائد العلمية فلا يفتن بها عليه .

٢ - التأديب والتبليغ : وذلك بأن يتحرى المسند الصدق ويتبعه عن التدليس في الرواية ، وأن يتحلى بالتقوى ، ويلتزم الضبط والدقة ، حتى لا يتساهل مع الطلاب ، فينفروا من أخذ الحديث عنه ، وفي هذا تعطيل للحمل والرواية ، كما ينبغي حث طلاب الحديث على العلم والترغيب فيه ، بخفض الجانب لهم ، وتزويدهم عن رضى وسماحة - بفوائده ، بحيث يكون المعلم أرغب في إفادة الطالب منه في استفادة هذا منه .

كما ينبغي على المسند أن ينقل الحديث بلفظه ، كما سمعه به ، من غير زيادة ولا نقصان ، ولا تبديل لفظ بآخر ، ولراوى الحديث بعد ذلك كله أن يقول : ( حدثنا ) و ( أخبرنا ) و ( أنبأنا ) ، أما الإمام الشافعى - وقد سار السلف على نهجه - فيقول : « إذا عرضت على المحدث قل ( أخبرنا ) ولا تجوز ( حدثنا ) إلا فيما سمع من لفظ المحدث » .

ومن أشهر المسانيد في منهج السلفي « مسند الموطأ » ، لأبي القاسم عبد الرحمن النافعي الجوهري المالكي المصري ، حدث به ابن سيدى يعلى ابن خير الإشبيلي قراءة عن السلفي ، وأجاز به السلفي ابن خير فيما كتب به إليه . وكذلك « الأحاديث السادسة » ، التي خرجها السلفي من سماعات ابن الخطاب الرازي محدث الإسكندرية الذي تصدر السلفي بعده الحديث بها ، وحدث بها ابن خير أيضا ، وكذلك

والأربعين حديثاً ، للقاضي أبي نصر بن ودغان حاكم الموصل ، قدم بها على السلفي  
بينغداد ، وأجاز ابن خبير بها ، ثم « أمثال الحديث المروية » و « المحدث الفاضل  
بين الراوي والراعي » وهما للرائع مزي حدث ، بهما السلفي عن الطيوري ، وأبي  
على القائل صاحب « الأمل » ، وحدث كذلك به « الشهاب » في الآداب  
والأمثال والمواعظ والحكم المروية عن رسول الله ، قراءة السلفي عن القاضي ابن  
سلامة القضاعي ، وفي همدان قرأ السلفي كتاب « السنن » على صاحبه الحسن بن  
على اللحلل الحلواني في ستة أجزاء .

وكان السلفي يعني بصحيح البخاري كل العناية ، وكان يجلس بين يديه المحدثون  
يقرأونه عليه ، وهو يسمع فيصح ويعلق ويشرح : فهذا أبو محمد عبد الله بن محمد  
ابن خلف بن سعادة الهادي الأصمعي - كما يقول التيجي : - « كان معنا بالعادية  
بالإسكندرية ، وقرأته سمعنا صحيح البخاري على السلفي سنة ٥٦٣ » .

هذا وكانت « الأربعين البلدانية » السلفي متداولة في شتى مدارس الأمصار ،  
يروىها الرواة الثقات بعضهم عن بعض ، مفاخرين بها ، واثنين من تخرج السلفي  
لها ، وسماع أحبابه عنه ، فليس ذلك بما يقوله خالد البلوي (١) في رحلته لمصر  
والإسكندرية وقرأته لهذه الأحاديث بمدارسها كاللجنة العلمية سنة ٧٣٨ ومدرسة  
التمني والمدرسة الصلاحية ومدرسة ابن حباسه ، على أيدي علماء الإسكندرية  
والقضاة ودمهور وعسقلان ، كما سمعها أيضاً من سبط السلفي وغيره .

ولقد طال عمر السلفي ، فطلب الحديث من المهد إلى العهد ، ويقول عن نفسه :  
« وقد كتبوا عني في أول سنة ٩٩٤ وأنا ابن سبعة عشر عاماً أو أكثر أو أقل ،  
وليس في وجهي شعرة كالبخاري (٢) » ، وقضى من عمره أكثر من ثمانين سنة في

(١) تاج الفرق في مجلة علماء المشرق .

(٢) رواية : لما فظ عبد الله التي عنه : طبقات الشافعية للسبكي

خدمة الحديث ، فكان أعجوبة الزمان ، لم يترك شاذة ولا فاذة إلا قيدها وأفاد منها وتجاوزت شهرته في « علو الإِسْتاد » حدود الزمان والمكان فقالوا إنه « مسند الدهر » ، ولم يحصره في مصر بذاته أو عصر بذاته . ولم يقولوا : « مسند مصر » ولا « مسند العصر » فقط ، وأصبح أصحابه من بعده أعلاما حينما نزلوا وحلوا وارتحلوا ، أما من لم يسغه الحظ بالأخذ عليه والحل عنه ، والعرض عليه ، فحسبه ( لإجازة ) من السلفي يحملها إليه ( الإجازاني ) المتفرغ لهذا العمل ، أو ( مناولة ) يبحث بها إليه في كتاب منسوخ .

وكفى السلفي بعدا في الصيت أن ( يدعى ) أحدم الحصول على إجازة منه أو السماع عليه ، لتكون له المكانة العلمية عند قومه ، وقد كشف لنا ابن الأبرار ابن عبد الملك بعض الأندلسيين الذين ادعوا الأخذ عن السلفي وهم كاذبون ، ومع ذلك كان المتأخرون يفاخرون بأنهم سمعوا من « أصحاب السلفي » وما أكثرهم وما أجل قدرهم من بعده ، فإبال الأولين الذين أخذوا عنه مباشرة ؟ أما خديجة بنت أبي طاهر السلفي فقد سمعت من أبيها ، وحدثت وأجازت للمنذرى ، وبعد وفاة أبيها ذهبت إلى القاهرة ، فبالغ أهلها وعلاؤها في إكرامها ، وكانوا يتوقعون أن تجلس للحديث ولكنها امتنعت . لماذا ؟ لا ندرى لذلك سببا ، اللهم إلا إذا تذكرنا قول المتنبي في رثاء أبي فراس :

لا قلبت أيدي الفوارس بعده . . . سيفاً ، ولا حملت جواداً أربيع  
وكانت وفاتها سنة ٢٢٣ هـ ، أى أنها لحقت بأبيها بعد نصف قرن تقريباً .

وفيا على نموذج للإِسْتاد ، كما حله الذين عرفوا فضل السلفي ، وساروا على منواله ، ومنهم ابن دقيق العيد صاحب مدرسة قوص في الحديث والتي أنشأها سنة ٦٠٧ هـ وتوفي بها سنة ٦٩٧ هـ ، وقد حدث عن كثيرين ، وعلى رأسهم مؤرخ الإسكندرية ومحدثها وعالمها ومحتسبها وجيه الدين منصور بن سليم ، وقد عرفنا

من قبل قرابته السلفي - يقول ابن دقيق العيد: مثلاً في ذكر الأحاديث النبوية :  
 وحدثنا المقدسي ... قال : حدثنا الحافظ مقيّ المسلمين أبو الطاهر أحمد السلفي قال :  
 أنبأنا الشيخ أبو محمد جعفر بن الحسين بن السراج اللغوي ببغداد ... إلى أن  
 يصل إلى رسول الله وقوله : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض  
 يرحمكم من في السماء » .

وهذا ابن الأبار الأندلسي الذي سمع من نحو عشرين من شيوخه بالأندلس  
 والمشرقين عن السلفي بجميع رواياته وتوابعه ، وقرأ « الأربعين السلفية » في  
 الحديث على من سمعها منه وهو أبو محمد الزهري الأندلسي ، وأخذت لدى الإخبار عنه  
 أبو علي الصديقي ، وهو الذي عمل له ابن الأبار « معجم أصحابه » . ومنهم السلفي ،  
 وتلك من غير شك صور من الدقة في تحري الصدق عند رواية الحديث بالإسناد  
 الصحيح الذي علا فيه كعب السلفي ورجال المدرسة السلفية .

ونرى في « معجم السفر » و « المشيخة البغدادية » أن السلفي يستعمل « أنشدنا »  
 إذا تلا عليه أحدهم شعراً ، و « أخبرنا » أو « حدثنا » للحديث ، و « قال » للفوائد  
 الأدبية ، و « كتب إلى » من مكان بعيد و « سمعت » مباشرة ، وكثيراً ما يخبر عن  
 شخص حدثه ببغداد عن آخر حدثه بدمشق عن ثالث بمكة عن رابع بالموصل حتى  
 يصل إلى صحابن جليل سمع من رسول الله ، وقد يروى عن رجل لا لعلو إسناده  
 ولكن لغرابة اسمه ، ويمضى السلفي بمنهجه هذا ويطبقه في كل ميادين المعرفة عنده  
 كما سنرى .

وهكذا عقل الإسناد عقلياً السلفي ، فبرز فيه ، وأفاد الثقافة الإسلامية بفنائه  
 الحديث وعلم الرجال وعلوم اللغة والتاريخ والجغرافيا ، بما عرف عنه من التحقيق  
 والتدقيق .

ولم يكن خافيا على فطنة السلفي ما للإسكندرية من تاريخ مجيد. في علم الحديث، منذ فتحها. عمرو بن العاص سنة ٢٠ هـ. ومعه ابنه عبد الله صاحب «الصادقة» ، والصحابة الأجلاء الذين أقاموا بها هم وذرياتهم ومن جاء بعدهم من التابعين وتابعي التابعين ، وإذا ما اقرن اسم أبي هريرة الصحابي الجليل برواياته الصحيحة عن رسول الله ، فقد اقرن في الأذهان أيضا الأعرج عبد الرحمن بن هرمز بصاحبه أبي هريرة ، أقام ابن هرمز بالإسكندرية حتى توفي بها سنة ١١٧ هـ ، وكان أحد الحفاظ والقراء ، ووضع أصول الرمية بالمدينة ، وأخذ عن أبي الأسود الدؤلي وله خبرته بأنسب قريش مع الأمانة والحرى ، بل كان أول من يرز في القرآن والسنة ، كما يقول الذهبي (١) ، وشهد له البخاري فقال : «أصح أسانيد أبي هريرة» وقد أخذ الأعرج القراءة عن أبي هريرة وابن عباس .

وعلى الرغم من الحشد الكبير الذي ازدانت به الإسكندرية بعد الأعرج من فقهاء ومحدثين وأئمة ، على امتداد خمسة قرون ، فإن السيوطي في «طبقات المحدثين ونقاد الحديث بالإسكندرية» الذي عقده فضلا ضافيا في «حسن المحاضرة» قد وضع السلفي بعد الأعرج مباشرة ، وكأنه لا يعير للتفاوت لاى أحد سواه من قبله. وهذه شهادة لها وزنها من مؤرخ عالم منصف كالسيوطي في القرن العاشر الهجري.

كان السلفي على علم تام بمشاهير المحدثين بالإسكندرية بالذات ، وليس يعين أنها عرف أبعاد ثقافة الأعرج من لغة ونحو وحديث وأنساب ، فثقت نفسه إلى طلب العلم في بلد نزل هذا الصحابي الجليل ، كما نزله الليث بن سعد في القرن الثاني ، وهو أصلا من أصبهان كما نعلم ، وليس أدل على معرفة السلفي بهذا من عزمه على الرجوع إلى الإسكندرية في طلب الحديث على يد عالمها أبي عبد الله

الرازى ابن الخطاب ، مسند الديار المصرية ، وأحد علول الإسكندرية ، وقد أدركه السلفي بها وأخذ عنه حتى كانت وفاته بها سنة ٥٢٥ هـ عن إحدى وتسعين سنة ، عظمه السلفي بها في علم الحديث .

وإذن كانت الإسكندرية منذ الفتح الإسلامي مركزا هاما من مراكز الحديث ، ثم أخذت مكاتبا تقوى وتضعف ، حتى نزل بها ابن نادر الميوري - وهو أندلسي - فأحيى بها علم الحديث ، ثم دخلها السلفي - وهو أصبهاني - فكان قدومه إليها ونزوله بها نقطة تحول كبرى في تطور علم الحديث بها ، بل وفي تاريخ الثقافة بها على وجه عام ، وكما قال السخاوي « صار مرجولا إليها ، من أجل السلفي بالذات ، وظل نجمها يتألق من بعده وعلى أيدي أصحابه وخلفائه قرونا طويلة ، وهم جميعا رجال « المدرسة السلفية » .

وفي عصر السلفي ، كان يوجد بالإسكندرية عائلات اشتهرت بعلم الحديث رجالا ونساء ، فقد أخذ السلفي بها عن المحدثه خديجة أو مليحة بنت أحمد بن إبراهيم الرازي ، وكان أبوها وأخوها وأختها جميعا محدثين ، وقد وهبت حياتها كلها للحديث ، وعاشت وماتت بكرأ سنة ٥٢٦ هـ ، وصلى عليها السلفي بوصاتها ، كما سمع من أم أحمد زليخا بنت إلياس التزويية الواقعة بساوة عن راو بمكة عن آخر بفزة عن آخر بنيسابور عن صهيب عن رسول الله قال : « من تزوج امرأة ثم مات ، وهو لا ينوي أن يعطيها مهرها مات وهو زان ، ومن استقرض قرصا ثم مات وهو لا ينوي أن يقرضه مات وهو سارق » .

وقدم أحدهم السلفي كتابا في « فضائل عسقلان » به أحاديث ، فلما فحصه ورده لصاحبه قال « ما فيه حديث يصح غير صحيحين » . وهنا دل على علو كعبه في معرفة الحديث ، لا يعرف المزاييدات في الجهر بالحق ، ولا سيما في أحاديث رسول الله ،

فكان مثلاً يحتذى لورثة الأنبياء .

وبمناسبة كتاب « فضائل عسقلان » نذكر كتاباً عن « فضائل الإسكندرية » والسلفي فيه دور هام ، ذلك أن هناك مخطوطة مصورة بمكتبة كلية الآداب جامعة الإسكندرية برقم ٧٧٩ م ( حديث ) ومفسوخة سنة ٦٣٥ هـ عن أصل من مكتبة دمشق ، تحمل اسم « الجزء من فضائل الإسكندرية » جمعه أبو علي الحسن بن عمر ابن إسحق الفقيه الشهير بابن الصباغ ، ويشتمل على أحاديث عن فضل المراجعة بشعر الإسكندرية ، وتبدأ هكذا : « بسم الله الرحمن الرحيم ، وما توفيق إلا بالله أنجزنا الشيخ الإمام عز الدين أبو القاسم عبد الله بن الحسن بن عبد الله بن روضة الأنصاري الحموي قراءة عليه وأنا أسمع في ٥ شوال سنة ٦٣٥ بطب المحروسة قال لنا الشيخ الإمام الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن إبراهيم السلفي في شهر سنة ٧٧٣ هـ بشعر الإسكندرية حرسه الله تعالى قال لنا الشريف أبو إسماعيل إبراهيم بن الحسن بن محمد بن الحسين الموسوي نقيب النقباء بمصر قال لنا أبو الفتح عبد الله ابن الحسن بن علي بن أبي مطر المعافري بشعر الإسكندرية قال لنا أبو علي الحسن ابن عمر بن الحسن بن أبي إسحق الفقيه ويعرف بابن الصباغ حدثنا محمد بن أحمد ابن محمد بن خروف بن الوليد بن كامل المدني بالقسطاط حدثنا العباس بن مسافر التيجي حدثنا أبو صالح كاتب الليث حدثنا خالد بن حميد بن سعيد بن أبي عروبة عن جابر عن سعيد بن جبير عن أبي هريرة أنه سأله فقال : من أين جئت ؟ وقد كان لقيه بالشام فقال : من الإسكندرية ، قال إني سمعت رسول الله (ص) يقول : إن المقيم بها ثلاثة أيام من غير رياء كن عبد الله سبعين سنة ما بين الروم والعرب . . . »

وتستمر الأحاديث بأسانيدهما عن الإسكندرية برواية السلفي ، أما ابن الصباغ

فالأرجح عندى أنه توفى بعد سنة ٤٩٠ هـ .

ولما أراد ابن الزيات وضع كتابه « الكواكب النيرة » فى ترتيب الزيارة ، أى زيارة مقابر الراحين إلى رحمة الله ، عن دفنوا فى قراقة مصر ، لم ينس الرجوع إل الموثوق بهم فى « علم الرجال » ومنهم السلفى ، لتصحيح ما وقع فيه غيره من أخطاء فى سير الصحابة والتابعين وتابعى التابعين والشهداء والمحدثين والقضاة والقراء ومشايخ الرسالة والمتصدين والوعاظ والخطباء وأهل التصوف ، فاستفاد ابن الزيات حقا من أعمال السلفى وأفاد غيره .

وسار على طريقة السلفى كثيرون ، عند ذكر أسانيد تراجمهم ، كما فعل أبو الحجاج يوسف البلوى فى مجلديه الضخمين « ألف باء » و« التكميل » وابن الأبار فى « التكلة » لكتاب الصلاة ، والمنذرى فى « التكلة لوفيات النقلة » وهو الذى سمع من خديجة بنت السلفى وتأثر بطريقة أبيها فى الإسناد .

وقد سئل ابن حجر العسقلانى - وهو بطب - عن إسناد البطرى منسوب إلى السلفى فى مسائل فسادته واختلافه ، وفى ترجمة ابن حجر لابن القماح قال : « سمع من شيخنا تاج الدين بن موسى خاتمة من كان عنده حديث السلفى بالغلو بالسباع المتصل بالقاهرة من شيخنا حافظ العصر زين الدين المراقى . . » (١)

وبذلك يمكن اعتبار معاجهم الشاملة امتدادا للدقة التى اتسم بها علم الحديث ، فى تهرى الأسانيد ، على طريقة المدرسة السلفية ، ووجه الشبه بينها هو . . علم الرجال . .

## السلفى ... وعلم الرجال

من الطبيعي أن يكون السلفى دمسند الدنيا - وذلك شأنه في علم الحديث - من أبرز التابعين في « علم الرجال » ذلك العلم الذى كان فى الأصل والمهدف يتناول أهل الحديث بالتمييز ، ضمانا لصحة الحديث ، فإذا بالسلفى لا يقتصر - فى البحث عن الرجال - على رواية الحديث ، بل يجعل البحث شاملا لرجال المعرفة لإطلاقاتها ، أيا كانت ميولهم وجهودهم ، حتى اتسع النطاق ، فشمّل الأئمة وذوى الحرف لأنه سمع منهم نوادر وحكايات ، فسجّلها فى مذكراته ، وضمّ إليهم أيضا جيرانه وجاراته من شباب وشيخ ، محدثين ومعلمين ومفسرين وشعراء وأدباء ومتصوفة وزهاد ونحاة وقضاة ، ووعاظ وفقهاء وخطباء ، ومناطق وفلاسفة ومهندسين وفلكيين ، من أشاعة ومعتزلة ، وسنيين وشيعية ، وجغرافيين ومسئورين ، والأمراء وأرباب الحكم وأمناء المكتبات ومشرقي البيارستانات ، وحلة الإجازات فأخذ من رجال ، وأخذ عنه رجال لا يحصون عددا « فألحق الكبار والصغار ، كما يقول سبط ابن الجوزى (١) .

هذا مع أنه - كما رأينا - قد ترقف عن مواصلة مسيرته الثقافية عند الأسكندرية ، فلم يمض إلى بلاد المغرب والأندلس ليستكمل الحمل عن الثقافات ، ثم يعود إلى أصبهان ، كما عقد النية على ذلك من قبل ، فإذا كان يكون لو أنه جاوز الأسكندرية فى رحلته ٩١

ولقد أسهم السلفى حتما فى إبراز معالم « علم الرجال » هذا ، فقد عنى كل العناية بالتعريف الدقيق بأصحاب الثقافات وأنسابهم وتواريخ مواليدهم ، ووفياتهم ورحلاتهم وانتقالاتهم ، وميولهم الفكرية ومذاهبهم الفقهية حتى عن ينالون

مذهبه ، والبلدان التي يتمتعون إليها وفضائلهم وعبوبهم - إن كانت فيهم عيوب - في نقد برى نزيه ، ولم ينس العلماء الذين أخذوا عنهم والأشعار التي نظموها وحفظوها لغيرهم ، والروايد والحكايات التي حفظوها وتدرؤا بها في المجالس الأدبية ، والحلقات الدينية ، والموايد والأماكن بل المقابر ، التي دفنوا بها على وجه التحديد ، وكان السلفي يقوم بتدريس أمهات الكتب في الانساب مثل « الاصطلاح » للسمعاني ، وسمه منه كثيرون ، نذكر منهم أبا الطاهر إسماعيل بن الإسكندراني ، وقدم به الأندلس وروى عن السلفي في ربوعها ومجالسها .

وسواء كان الباحث على هذا العمل المضني هو مجرد التسجيل للذكرى والتاريخ أو الوفاء أو الأمانة في رد كل فضل إلى صاحبه أو إظهار البراعة في معرفة أكبر عدد ممكن من الرجال ذوي الثقافات المتنوعة ، فإن السلفي كان صاحب التقدير المحلى في هذا الميدان . صحيح أنه منذ نشأ في أصبهان قد فتح عينه على هذا اللون من المعرفة الذي اشتهرت به أصبهان وعلماؤها الذين أدرهم السلفي أو سبقوا إلى عالم الخلود ، وهو لا يزال غرض الإهاب : كأصحاب الانساب والبلديات ومنهم المحافظ أبو بكر العطار الأصبهاني الذي عظم شأنه في أصبهان ومات بها سنة ٤٦٦ هـ وكان عارفا بالرجال والمتون وإمام ثقة <sup>(١)</sup> ، ومن المتأخرين منهم الذين أدركو السلفي وعصره : المحافظ عبد الغنى المقدسي المتوفى سنة ٦٠٠ صاحب « الكال في أسماء الرجال » وقد جاء ميله إلى علم الرجال بطبيعة الحال من اهتمامه بعلم الحديث إذ الإسناد هو الجامع بينهما ، وقدم هذا العالم الجليل دمشق ومصر والإسكندرية وعاد إلى دمشق ، ثم رحل إلى الجزيرة وبنند وأصبهان ، وقد تأثر بهم السلفي في هذا الاتجاه ، وهو أشد ما يكون في شبابه حبا لاستطلاع أحوال البلاد والعباد ، جوالا في الآفاق « سآلا عن أحوال الرجال » كما يقول عنه ابن نقطة

ونما فيه هذا الميل بعد ذلك في بغداد ودمشق ومكة والمدينة ، حتى استقر في الإسكندرية ، حيث وافته همة وأسفته صحته ، واستقر في معيشته وطال عمره ، ومارس نشاطه وهو مطمئن البال ، فكتب فيما بعد عن الذين أخذ عنهم في أصبهان ثم في بغداد وفارس والحجاز والشام ومصر والإسكندرية ، مع تحديد الأماكن التي لقي كل واحد منهم بها ، بدقة وضبط وإتقان وحفظ جيد ، وكانت معه أمام خريطة تفصيلية لأحياء بغداد مثلا وعطفاؤها ودروبها ومعالمها ، ذكرنا تواريخ اللقاءات بالساعة واليوم والشهر والسنة ، وضمن ذلك « مشيخة أصبهان » و « المشيخة البغدادية » ثم « معجم السفر » وفي هذا الأخير سجل كل لقاء له مع الوافدين عليه بمنزله أو مسجده أو مدرسته بالإسكندرية ، ومن لقيهم في مصر خلال السنوات الثلاث التي قضاه بها .

وإذا بنا نتعرف - لأول مرة - بأسلوب دقيق وعميق - على رجال ينتمون إلى المدن والقرى المصرية ، ظاهري التاريخ ، وأنصفيهم السلفي ، وأمامهم غيره ، وزودنا هو عنهم بمذكرات بليغة ساذ من أهل الإسكندرية ورشيد وقسوة ودمهور والحلة وإسنا وسوهاج ، فتنالا عن كل - حاج - وبالب عر وافد عليه من أقمى الأندلس إلى أقمى الهند - من أرا إفاة ، فيكرم وفادتهم ويبش في وجوههم ، وينزلهم من بيته خير منزل ، ويسأل الواحد منهم عن مولده وبلده ، ويسمع عن وظائفه من شعر ونثر وحديث وحكايات ونوادير وطرائف . ويسأل عن أحوال بلادهم وعوائلهم ومؤلفاتهم ، فإذا خلا السليبي بعد ذلك إلى نفسه والورق والقلم والدواة ، راح يكتب ما سمع بكل دقة وأمانة ، لاحاقدا ولا ساخطا على أحد ، وحدهنا أن نشير إلى أنه كان كثيرا ما يذكر في « معجم السفر » من كان يأنس بهم ، ويتلطف معهم من شيوخ ممرين كالتقبارى ، ومحدثات وشاعرات من كل الأعمار والأجيال والبلدان ، يطعمون في السماع منه . وهو أكثر طمعا في السماع منهم .

ومن سيرة السلفي ، نرى أنه عكف على هذا العمل عكوكا تاما ، وتجرد له  
أبما تجرد ، حتى إنه لم يكن يعنى بالفرجة أو الزهة طوال ٦٥ سنة ، منصرفا  
عما حوله من شاطئه ساحر ، وسماء صافية ، وجداول رقاقة ، ورياض يانعة ،  
فإن ما كان فيه السلفي من الأتس بالناس ، جعل منه زاهدا عن الدنيا بما فيها ومن  
فيها إلا إحصاء المعلومات عن كل وافد إلى الإسكندرية من كل مكان ، فإذا به  
يطلب من أحد شعراء صقلية أن ينشده شعره ، ويستزيد من أشعار الصقليين ،  
فينفرد بذلك السلفي ، ويسبق غيره أمثال ياقوت في « معجم البلدان » و « معجم  
الآدياء » ، والعماد الكاتب في « خريدة القصر » وابن عبد الملك في « الصلة »  
وابن الأبار في « التكملة » و « المعجم » وابن خلكان في « وفيات الأعيان » .  
وابن خير الإشبيلي في « النهرست » ، والنذري في « تكملة وفيات القلة » والدمياطى  
في « معجم شيوخه » ، والسخاوى في « الضوء اللامع » والسيوطى في « حسن  
المحاضرة » و « بغية الوعاة » و « تاريخ الخلفاء » ومنصور بن سليم في « تاريخ  
الإسكندرية » والإدفوى في « الطالع السعيد » وابن عزم في « دستور الإسلام »  
وابن حجر في « إنباء النعم بأبناء العمر » والذهبي في « العبر » و « التذكرة »  
وذيول وابن الجزرى في « طبقات القراء » وابن عساكر في « التاريخ الكبير »  
وابن العماد في « الشنرات » وابن الأثير في « البداية والنهاية » وابن شعبة في  
« طبقات النخاة » و « اللغوين » وعمر كحالة في « معجم المؤلفين » والداودى في  
« طبقات المفسرين » ورمضان حلوة في « تعقيباته على « دستور » ابن عزم ومن  
بعده صالح الجارم عليه أيضا ، والأزهري في « البواقيت الثمينة » والزركلى  
وغيرهم من أعيان الزمان في « علم الرجال » .

وكان التجيبي الأندلسى من أوفى الآخذين عن السلفي له ، فوضع « مشيخة  
السلفي » وذكر شيوخه متدما لهم بسيرة مفصلة للسلفي نفسه ، وظل اسم السلفي  
لامعا على مر العصور في كتب التاريخ والمعاجم والتراجم والبرامج والفهارس

والمشيعات والطبقات المتخصصة وغير المتخصصة ، وقاما تخطو إحداهما من باب ذكر السلفى ، كلما ورد اسم بلد أو عالم في نحو أو فقه أو أدب أو قضاء أو إقراء أو حديث أو تفسير أو تصوف ، وقد ترمم الجميع خطى السلفى ، فيما تركوه لنا من مؤلفات ومصنفات في « علم الرجال » ، واتخذوه رائداً لهم ، ومرجعاً موثقاً به يستشيرونه ، كلما اختلف الرواة وتضاربت الروايات ، ففكر به هو الفصل ، ولا سبيل إلى مراجعته ، الثقة النالية التي عرف بها وإعترف له بها كل منصف كائناً من كان .

وما أكثر « الرجال » الذين أخذ عنهم السلفى وما أكثر « الرجال » الذين برعوا من بعده ، وساروا على منواله في « علم الرجال » ، وصدق ابن عساكر حين يقول « سمع السلفى من لا يسمع ، وسمع منه عدد لا يحصى » .

### السلفى ... ونقد الرجال

السلفى إذن كان من أبرز الرجال في « علم الرجال » ، تحدث عنهم حديثاً دقيقاً عميقاً مضبوطاً متقناً ، غير أن الظاهرة التي يقدم بها السلفى في عرض رجاله هي أنهم « رجال ونساء التي بهم فعلا في أيام حياته » لا غير ، هم إذن « رجال السلفى » وحده ، أى أنهم شيوخه وضيوفه وتلاميذه ، فهو لم يعرض لنا أحداً من الصحابة أو التابعين أو تابعى التابعين أو الأئمة أو العلماء الذين لم يدركهم ، وإن كان قد ألم بسيرهم أيما إلمام ، عن وعى تام ودقة متناهية ، غير ناقل في ذلك عن سبقه من علماء الرجال .

وبما يذكر أن ( رجال السلفى ) هؤلاء الذين سجل عنهم في معاجمه (إنهم (أحياء) سمع منهم بأذنيه ورآهم بعينه ، أو كتب لهم إجازة أو مناوله ينظر يده وسيرهم عند السلفى تنقبض بالحوية والنشاط ، فلا يمدحهم ولا يذمهم . ولكن - بملء حريته الفكرية - يعاقب عليهم بطرائف هي في ذاتها صميم النقد

التزيه ، الذى ينأى به صاحبه عن المباهرات والشبهات والأهواء ، ويضعه موضع الأستاذ ، يقد من يشاء كيف يشاء ، الحق والحق وحده .

وشاءت طبيعة عمل السلفى أن تفرض عليه أسلوب الحصر والإحصاء ، بلا تزييب أو تصنيف ، فهو لم يضع رجاله فى « طبقات » كحديثين وشعراء وفقهاء ، ولكل طائفة منهم سابقون ولاحقون ، ولكن الرجل كتب ما كتب كذكرات شخصية عن كل من التقى بهم شخصياً ، وما تركوه فى نفسه ، بعد كل لقاء من انطباعات ، متوخياً الدقة ، حتى الحرار الذى كان يدور بينه وبينهم ، مع ذكر الزمان والمكان ، وكل ماله من معلومات أخرى تفيد فى رسم صورة كل شخصية .

وفى ما نعرض قطعاً مختارة من تراجم السلفى ، كنهاذج حية لما انفرد به فى « نقد الرجال » ، بما حدا بالمؤرخ العملاق الحافظ الذهبى إلى الإشادة به فى « ميزان الاعتدال فى نقد الرجال » . تلك النماذج هى فى حقيقتها نبض الحياة اليومية الجارية بين يدي السلفى على الصعيد الثقافى ، خلق عليها من نفسيته العالية ، وعقليته المجربة ، وروحه الاجتماعية ، ومعرفته بطباع البشر ، ولو أنه أعطانا صورة لإحدى شخصياته فى الإطار المعروف عن ابن الأثير الجزرى مثلاً فى « أسد الغابة فى معرفة الصحابة » بذكر الكنية والاسم وسلسلة النسب والمذهب والبلد والمولد والوفاة والميل العلى والمؤلفات والمصنفات والشيوخ والتلاميذ والرحلات ، لما طمعنا منه فى أكثر من ذلك ، إلا أنه جاء بالجديد الطريف ، الذى لم يسبقه إليه أحد من أضرابه ، فكان نعم العمدة الثقة ، والرائد الصادق السباق إلى هذا المجال ، هذا الجديد الطريف هو ما نمنى به « نقد الرجال » ، بما يعكس لنا أولاً تمكنه من المعايير والموازين العلية والأخلاقية والنفسية التى يقاس بها المترجم له . وثانياً أسلوب التحليل الممتاز عند عرض الشخصيات ،

وثالثاً السبق في الزمان والتجديد في العرض وسلامة الدوافع والأهداف ورباباً  
وأخيراً رزانة الشيخ الناضج والقاضي العادل في الأحكام على الناس ،  
بلا نقض ولا إبرام .

قال السلفي مثلاً وهو يتحدث عن أبي عبد الله محمد بن الحسن بن زبارة  
الطائفي ، وهو كما يقول - من أهل الأدب والتعرف في علوم العرب - وكان  
شبه قوياً ، وكان على سرعة الإجابة جريئاً ، وربما غلط ، وهو نحوي لغوي ،  
وكان على الإطلاق مرضي الأخلاق ، ووجدت به أنساً مدة حياته إلى حين  
وفاته ... ، وهذا التمدد النزيه يبدو من خلال بقية الترجمة ، بأن قال السلفي إنه  
صلى عليه وحضر جنازته خاتم عظيم ، وكان يشرف على بنارستان ثمر  
الإسكندرية ويؤتي الكتب الموقوفة في الجامع ، وله فيه حلقة لإقراء الأدب .  
ولو تركنا المترجم لهم ، واختارنا بعض نماذج من تقديمه بلسان السلفي ،  
لا تضمنحت لنا الصورة التي نريدها ، وهاك الأمثلة التي نقتطفها اقتطافاً من  
شخصيات عديدة .

فلان ... وكان عامياً ويحفظ الكثير من النوادر المضحكة والأشعار المطنية  
وعاقت عنه من ذلك كثيراً .. وفلان ... كان يخطب يوماً كل من كذب يد ،  
وكان صالحاً ويحفظ حكايات الصالحين ... وه ظافر هذا من أهل رشيد - مدينة من  
مضافات الإسكندرية ، وكان قد تأدب وشهد بها ، وبذلك طريقة حميدة ،  
واستشده ، فأشدني مقطعات وكتبها لي بخطه وتوفي قبل أن شاخ ، وكان  
مالكي المذهب رحمه الله ... .. وكان يلأزمني إل أن مات .. .. وشعره  
كثير وسهل .. .. وكان يؤدب الصبيان .. .. ومن أقراني في السن ، وبيننا  
اتحاد ، وقد اجتمعنا ببغداد ، ووجدنا معاً ، وسمع بقراءتي بمكة والكوفة  
وبغداد وثمر نخرة ومدن من قطر أذربيجان . وهو حميد أبي سعيد بن أبي

الخير شيخ خراسان في عصره في التصوف .. وسمعت بالإسكندرية  
أبا القاسم بن يوسف بن خير الصنلى المتوفى سنة ٥٣٦ هـ ، وقرأت عليه الحديث على  
كبر سنه ، وكان من الذين نادوا بالفتنة : ( حى على خير العمل ) فأركبوه حماراً  
وجرسوه ، وهو يضحك ويسلم على الناس ويقول : هذا وقت التهنئة فهنئوني ..  
وكان يتحرز في الكذب على رسول الله .. ولم يقرأ عليه أحد قط من  
الحديث غيرى عن أبى بكر السمنطارى .. وأقام في المدرسة العادية مدة  
مديدة ، وكان عفيفاً ، ومن أذكى الناس . ولديه أدب ونحو .. وعبدالله هذا  
متفقه متب ، كان يحضر عندى عند إلقاء الدروس الفقهية في المدرسة العادية  
بالإسكندرية ، ويحفظ الدرس الأوسط حفظاً مرضياً ، ويمد لإعادة جيدة ،  
وكان قد تقدمت له قراءة بالمغرب لمذهب مالك ، وكان تلاءم لكتاب الله ،  
حافظاً له ، ثم خرج إلى الرف ، وتوفى هناك .. تقدم بين أبناء الدنيا وأسماء  
إلى نفسه فمدم سنة ٥٦٠ هـ .. وبنى وبينه مشاعرة ، والكل في الأجزاء  
المودعة عندهم بلباس جميعاً الله على .. واستوطن جزيرة بقرب ثمر رشيد  
وزرع فيها شجيرات ومقائى ، وعمر ملاحاة ومنها قوته ، وانتفع به وبكرمه  
هناك ، وصار ملجأ يقصده البحريون ، وربما دخل الإسكندرية فيدخل إلى ،  
وكان أثر الخير والعبادة بيتاً عليه ظاهراً .. توجه إلى مكة ، وجرى له هناك  
خصومات مع من كان يتعاطى الفقه ، ورد عليه أحسن رد ، وسافر إلى العراق .  
ودخل خراسان وتوفى هناك . .. كان يحضر عندى في المدرسة لتعليق الدروس  
الفقهية وكتب الأمالى الحديثية ، وهو من أذكى الناس لإلا فى الفقه ، وعمل الشعر  
قد كان أسهل عليه من شرب الماء ، ويعد من المجتهدين فيه ، وله فى أكثر من  
مائة قصيدة ، ومقتطفات يتعب لإحصاؤها ، ثم شهد بالجملة ودخل فيها ليعنيه من  
الفضول ، وقرب من لا يرتضى ، وفى الجملة قد كان مسيئاً إلى نفسه ، وعندم فى  
سنة ٥٦٠ هـ ولم يظهر لاحد كيفية أمره .. وكان يقرأ عندى فى المدرسة العادية

وقد قدمت له قراءة على غيرى من قبلى ، وله فى قصائده ، وكان يذكر أنه من ولد الأكل صاحب صغاية ، ولم يكن يصدق فيما قال ل من يعول على قوله ، ثم تظاهر بها البعد عنه أولى ، فأبعدته .. « وقد علقته عنه فوائد ، رحمه الله ، وكان عفيفاً من أهل القرآن .. « كان يطوف فى الأرياف ، ويعظم مستمعيها ، وكان من أهل الصلاح ، كثير الحفظ الرافق .. « وفلان « محدث ابن محدث ابن محدث وفلان « لا معمول على روايته .. « وهو كهل من أهل المهديّة بمول ، ولم يكن فى العلم بذاك ، وكان يكثر مما يحضر عنده واشترى كتباً كثيرة وحلها إلى المغرب .. « وهو آخر من حدث فى الدنيا بكتاب إلى عبدالرحمن النسوى بعلي وإليه كانت سنة الرحلة ، وقرأته أنا عليه سنة ٥٠٠ بالدون .. « كان جارى وقرأ على شيئاً من الحديث ، وسمعتة يقول مولدى سنة ٤٦٠ هـ .. « مصرى المولد إسكندرانى الموطن ، وسمع على أبى العباس الرازى كثير أو كان محباً للحديث وأهله ، ويحضر عنده كل وقت لسامع ما يقرأ ، وكان قديماً يستخدم ولاية الثغر ، ثم اعتزل عنهم ، فسمعتة يقول : من قارب السلطان فقد قارن الشيطان ، ولو كان يصلى فى شهر رمضان .. « وكان يؤم فى مسجد من مساجد الإسكندرية .. « « خرج من الإسكندرية إلى المشرق وانقطع عنا خبره .. « « عمر هذا من أهل الأدب ، وله بالكلام أنس تام ، وبالطب وغير ذلك ، وكان كثيراً ما يحضر عنده ، وسمع على جملة من الحديث فى أول وصولي إلى الثغر ، مع جماعة من الفقهاء سنة ٥١١ ، وبعد ذلك ، وعلى من كنت أقرأ عليه من الشيوخ ثم انتقل إلى مصر وأقام بها إلى أن تسوفى .. « « ولازمتنى مدة مقامى بمصر ، وسمع على كثيراً وعلى من كنت أقرأ عليه كأبى صادق وابن بركات ، والفرا الموصلى وآخرين ومن شعره :

إن المشيب من الخطوب خطيب      إلا هوى بعد الشباب طيب

« وجدت في كلامه الزيادة والنقصان .. وروى أحدهم للسلفى قولاً لابى محمد ابن أبى منصور القمستانى لبعض الرؤساء : « إذا كانت قصورك قيصرية ، ودورك كسرويه ، وأموالك كارونية ، وركاهاكم ظاهرية ، وأديانكم فرعونية فأين الحمدية » وصحح السلفى لموقال « وهذا الكلام ليحيى بن معاذ الرازى .. »  
« وكان يحضر عددى ويعطى في مواعيدى الجمعة كثيراً .. » و « كان مقدم الشهود بالإسكندرية ، وقد نيف على التسعين ، توفى في شعبان سنة ٥٢٤ هـ ، ولم يكن يتأخر عن مواعيدى الجمعة .. » كان من المرابطين بالجزيرة من الإسكندرية ..  
« وسمع منه شيئاً أبو عبد الله الرازى » ويسهب في سيرة المعمر الأسمى المؤذن القبارى الخلقانى ويقول إنه توفى سنة ٥١٢ هـ وأنا بالإسكندرية ، وحضرت جنازته ، وصليت عليه ، وكان مالكي المذهب ، وقد كان مع كبر سنه يقصدينى إلى أن مات محملاً كأنه قفة ، وفى منزلى قرأت عليه ما قرأت ، وكنت أداعبه وأقول : أنت مكبر معبر مجبر ، فيتسم ، وقد ذكر لى أنه رأى القاضى أبا مطر المعافى ، وأبا عمران القامى ، لما قدم الإسكندرية حاجاً .. ومن العجيب أن السلفى هو المصدر الوحيد عن هذه الشخصية التى هى الجسد الأكبر لابى القاسم القبارى دفن الإسكندرية والمتوفى بها سنة ٦٦٢ .. « وكان فلان يميل إلى التشيع قليلاً ، وقيل إنه مات حسب العقيدة .. » صنف كتاباً فى الحفاظ ، فبدأ بالزهرى وختم بى .. « كانت له صبرة ثم تاب على يمدى ، ويجاب إلى واحد بعد واحد فيتزبون عن الشرب وغيره .. » وأنشد ، بتدريس أبو المسيب وهيب بن مترف بن ميهوف التميمى الشاعر البدوى « مقطعات أكثرها ملحونة ركيكة ، وإنما كتبت عنه لغرابية اسمه والموضع كذلك ، فإنه موضع قديم ، لم ير مثله إلا كما بين دمشق والرجة ، ويقال إنه من أبناء سليمان بن داود ، والله أعلم ، وقلت أنا فيه لما شاهدته :

كم قد رأيت من البلاد فلم أجد فيها كسندم بنية وأساساً

« وكان يورق بالثر ، وهو من بيت المملوك والامر والنهي . . »

وعندما يتحدث السلفي عن أبي الحسن علي بن عبد الله بن أبي الأشيم يقول:  
« من بيت الشهادة ، وأمه من دار بني حديد قضاة الثغر ، وصحب أهل  
الادب ، وله شعر أنشدني شيئاً من ذلك ، وقد كتب كثيراً من الكتب  
الادبية ، وكان يحضر عندي في كل وقت ، وعلق عني مليحاً أدبية ، وقد عقلت  
نا عنه كذلك ، ومعنى يقول عنه أيضاً إنه كتب بعض فوائد وأشعاراً لمأخري  
أهل الإسكندرية ، وتوفي سنة ٥٣٠ هـ وكان من أهل السنة ، مالكي المذهب  
مصرفاً على نفسه .

وذكر أيضاً أبا المعالي محمود بن ناصر بن القاسم الكاتب المكي ، وتحدث  
عنه طويلاً ، وذكر شعراً له كتبه بخطه للسلفي ، وقال إنه قرأ علوم الأوائل ،  
واقبني كتباً كثيرة وخطه حسن واستطرد قائلاً « وكان يتظاهر بتلك العلوم ،  
وقل من يشرع في المنطق أو يتفلسف فيسلم من ألسنة الناس » وبعد أن يورد في  
في قوله له شعره الرقيق في الحكم والمواعظ والاجتماعيات يقول « وكان كاتباً  
بليغاً ، وشاعراً مجيداً وحسبوا محموداً ، ومنجماً حاذقاً ، ولديه علم بالهندسة  
والمنطق وعلوم الأوائل ( الإلهيات ) وغير ذلك ، ولم يكن حسن المحاضرة  
ولا مصيباً في أكثر ما يورد ، لكثرة كلامه وخطه الفث بالسمين ، فإذا تناول القلم  
كتب كل ملوح ، وأتى بكل نادر وتوفي في جمادى الأولى سنة ٥٢٥ هـ .

هكذا أورد السلفي عن الرجل محاسنه ومساوئه ، في نقد موضوعي ، يندر أن  
نرى له مثيلاً في عصره بل في عصرنا نحن ، ويمثل هذا الأسلوب العلمي الخالي من  
التكلف . ويتناول السلفي رجالاً آخرين ويقول عن أحدهم « وكان ستيراً وشيخاً  
كبيراً ، مواظباً على الصلوات وأدائها في أوائل الأوقات » . . « مالكي المذهب  
وكان يصلي في مسجد من مساجد الثغر مدة مديدة ، وتحمد طريقته » .

ويقول عن مسكية بذت عمر بن هانيء التجيبى الأندلسية وقد سمع منها بالإسكندرية وهى امرأة صالحة كبيرة السن ، قدمت الإسكندرية رغبة فى الحج وكانت تأوى عندنا إلى أن توجهت إلى الحجاز ، وانقطع عنا خبرها ، ثم بلغنا أنها حجت وتوفيت بعد قفولها من الحجاز بمدينة قوص من الصعيد الأعلى .

ويتحدث عن أبى عبد الله بن محمد الخولانى فيقول : أبو عبد الله هذا الذى ذكره لى همام ( الأزدى ) لم أره ، وتزوجت بابنته بعد موته ، وماتت وهى فى عصمتى رحما لله ، وكانت كأبيها من الصالحات ويتهم بيت جليل ، ومنهم أبو إسحق بن الصباغ وتولى تزويجها لى أخوها أبو البركات عيسى الشاهد الذى اغتم أبوه لشهادته ، ونقول إن هذا النص هو الوحيد فى العالم الذى منه عرفنا زوجة السلفى وأباها وأخاها ولولا ذلك لغاب عنا جانب كبير من حياة الشخصية التى لم يذكرها لنا المؤرخون .

ويقول عن رجل هندى من بلد اسمه ( بروج ) « وكان شيخا صالحا لا يمكن من تعبير ما فى قلبه وبريد إرادته لا بالعربية ولا بالفارسية إلا بعد جهد جهيد ، وكان يؤذن فى مسجد من مساجد النضر . . . وعلفت عنه ما علفت لفراية اسمه لا لعلو سنده ، ولا علو ، وكان من سكان الإسكندرية . . . فسرقت الأبيات منى مع أشياء أخرى من ملبوس وغيره كانت فى حتمية ، ولم ألتق به بعد ذلك فأكتب عنه شيئا آخر من شعره . . . وتوفى فى رجب سنة ٥٣٩ هـ ودفن بمقبرة الديماس مستشهدا ، و « توفى فى المحرم سنة ٥٣٧ هـ ودفن بمقبرة الديماس ، وكان قد قال لى إن مولده سنة ٤٥٥ هـ . . . وغلان هذا « كُتبت عنه شيئا صالحا ولم أظفر الآن بما كتبه عنه ، فهو بشر آمد مع فوائد ديار بكر مودع ، سهل الله وصول الكل إلى » .

وما يجدد بنا ذكره فى هذا المقام أن السلفى كان دائما المرجع الرئيسى لعلماء

الرجال ونقد الرجال لما اتسمت به كتاباته من العدل والدقة والإنصاف والصدق ،  
 ففي تقرير كتاب « ديوان المعاني » لصاحبه أبي هلال العسكري ، حرص الناشر  
 على أن يكون كلام السلفي عن أبي هلال في مكان الصدارة ، وأشار إلى أن ياقوت  
 وغيره قد ائتمد على ما قاله السلفي ، حيث يقول عن صاحب ديوان المعاني : سألت  
 الرئيس أبا المنظر محمد بن أبي العباس الأبيوردي — رحمه الله — بهمذان عنه ،  
 وعوضه بالعلم والفقه معا ، وقد كان يتبرز ( أى يحترف البز وهي صناعة النسيج )  
 احترازا من الطمع والدناءة والنسئل ، وذكر فيه فصلا هو في سؤالاتي عنه ،  
 وكان الغالب عليه الأدب والشعر وله في اللغة كتاب وسماه بالتلخيص . . . .

بهذه العبارات المنتقاة من تراجم السلفي في « معجم السفر » لمثل هذا العنود  
 من الرجال نستدل على أن نقد الرجال عند، يتسم بطابع كله حيوية ، ويرسم لنا  
 ماغضض علينا من الحياة العلمية والاجتماعية والعمرانية للإسكندرية ، منذ أكثر  
 من ثمانمائة سنة ، بأسلوب على سهل ممتنع وبألفاظ جزلة ورائقة ، لا تكاف فيها  
 ولا تعقيد ، ومن غير سجع ممتلئ ساد ذلك العصر ، بتأثير القاضي الفاضل الكاتب  
 صاحب لصلاح الدين ، كما أن ( الموضوعية ) و ( الشخصية ) لم تطغ إحداهما  
 على الأخرى في هذا المنهج السلفي الفريد في نوعه ، وأخيرا فإن الثقافة الواسعة  
 التي عرف بها السلفي والتعمق في كل فن من فونها ، كانت بمثابة القاعدة الصلبة ،  
 التي مكنت هذا العالم الأديب من نقد الرجال وهو الواصل من معلوماته  
 وخبراته في العلوم والعلوم .

## السلفى .. وعلم القراءات

لقراءة القرآن قواعد وأصول ، وضعت منذ نزوله على رسول الله ﷺ لتوصيل ألفاظه ومعانيه إلى الأسماع والقلوب واضحة من غير لبس ، نصيحة من غير عجمة ، وعلى مدى الأربعة عشر قرناً الماضية ، وتلاوة القرآن لا يخرج عن واحدة من ( القراءات السبع ) الموضوعة ، يتعلمها الصبي منذ نعومة أظفاره مأخوذاً بتجويدها ، على يد المعلم الحريص على كتاب الله ، إرثاً واحترافاً لوجه الكريم .

هذه القراءات السبع التي نزل بها القرآن ، أو اللغات العربية السبع كما تسمى أيضاً ، قد أخبر بها رسول الله ﷺ وبجملتها ، وأباح القراءة بأى منها ، حتى إذا انتشر الحفاظ في الأمصار ، خشي عثمان بن عفان أن تضعف معالمها ، فأمر بنسخ ( المصحف الإمام ) بلغة قريش ، وتفرغ بعض القراء القراءة . وعتوا بضبطها ، وصارت الرحلة إليهم من البلاد يقصدهم كل من يريد تلاوة القرآن بإتقان ، وكان أشهرهم في مصر الإمام أبو الحسن طاهر بن أبي الطيب بن أبي غلبون الحلبي نزيل مصر والمتوفى بها سنة ٣٩٩ هـ وهو صاحب « التذكرة » في القراءات وكان رائد القراء جميعاً في صحة أسانيد القراءات ، وموافقتها للغة العربية بأى وجه من الوجوه ، ومتابقتها للمصحف الإمام . وكان هذا الكتاب يقرأ سنة ٥٠٥ هـ بجامع القراء بالإسكندرية ، على يد المقرئ أبي العباس بن نفيس . ومن ثمت وضع أئمة المسالين كتباً في هذا الفن ، ولخص ابن قتيبة وجوه الخلاف في القراءات وفي تفاوت عددها ما بين ٧ و ٢٥ وضمن ذلك كتابه الشير « تأويل مشكل القرآن » ، واستخرج أيضاً الحسن بن الفضل كتاب « الأمثال السكاكنة في القرآن » وحدث به أبو الخطاب هبة الله بن عمار الكرمانى الصوفى ، وكتبه بخطه سنة ٤٣٨ هـ بالإسكندرية لابن خير الإشبيلي ، حدثه به أبو علي الحسن بن

محمد بن عمرو بن القناس بالإسكندرية، حدثه به أبو الفتح الفرغاني وابن حبيب  
المفسر النيسابوري .

ولم تكن شهرة السلفي بعلم الحديث لتحجب عنه شهرته أيضا في علم القراءات ،  
إذ كان رحمه الله وجعل الجنة مشاء — عالما بالقراءات معلما لها ، فقد قال ابن  
الجزري (١) إن السلفي « أعلى أهل الأرض إسنادا في الحديث والقراءات » ، وقال  
عنه عبد القادر الزهاوي تليذه « وجاء جماعة من المقرئين بالألحان ، فأرادوا أن  
يقرأوا ففهمهم من ذلك ، وقال : هـذه بدعة ، بل اقرأوا ترتيلا ، فقرأوا كما  
أمرهم (٢) » ، ومن مؤلفات السلفي في هذا العلم « شرط القراءة على الشيوخ (٣) » .

وقد عني مؤرخو علم القراءات بذكر السلفي كأحد العمدة الراسخة فيه ، منهم  
ابن الجزري والذهبي ، وأشادوا بفضله ، وتبعوا شيوخه وتلاميذه ، كما أن  
السلفي نفسه لم ينس أحدا منهم في مذكراته ومواجهه .

قال ابن الجزري إن السلفي « قرأ القراءات على أبي الفتح أحمد بن محمد الحداد  
وأبي الخطاب علي بن عبد الرحمن بن الجراح . وعبد الله بن أحمد بن عبد الله  
الحزقي الأصمباني ، ومحمد بن عبد الله الوكيل ، ومحمد بن محمد بن محمد المطرزي ،  
وأبي القاسم بن النحام . وسمع الحروف من أبي طاهر بن سوار من كتابه  
« المستير » ومن مرشد بن يحيى المديني . وروى عنه القراءات : عيسى بن  
عبد العزيز ، وبالإجازة العامة الكمال الضريع بالإسكندرية » .

وقال الذهبي (٤) — على هذا النمط تقريبا — ذاكرا شيخوخ السلفي في

( ١ ) غاية النهاية في طبقات القراء ج ١ : ١٠٣ .

( ٢ ) طبقات الشافعية : السبكي .

( ٣ ) الفهرست : ابن خير .

( ٤ ) تفرقة القراء الكبار على الطبقات والأعصار .

القراءات : ابن الفحام وأبو العباس بن الخطيب ، ويحيى بن سعدون شيخ الموصل  
وعبد الرحمن بن خلف بن عطية شيخ الصفراوى والهمداني ، أما ابن الفحام  
فقد وثقه السلي .

وحدثنا السلي نفسه عن شيخه هبة الله بن محمد بن الصنار الإمام في النحو  
والمترقى سنة ٨٦٤ ، وقال عنه : « قرأت عليه القرآن » ومعنى ذلك أن السلي قرأ  
عليه بأصبعها وقبل مغادرتها ، حيث لم يكن قد تجاوز السادسة عشرة من عمره .

وكان أبرز شيوخ السلي في القراءات عالم الإسكندرية ابن الفحام المتوفى  
سنة ٥١٦ ، أى أن السلي أدركه بالإسكندرية ، ولم يكن السلي قد تجاوز السادسة  
والأربعين من عمره . من هو ابن الفحام هذا ؟ -

هو أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي بكر عتيق بن خلف بن الفحام الصقلي  
المترقى الذى انتهت إليه رئاسة الإقراء بالإسكندرية ، علوا ودراية وهو مصنف  
« التجريد لبغية المريد » في القراءات السبع . رحل من المغرب إلى المشرق في  
طلب القراءة ، ونزل الإسكندرية فاستقر بها ، حتى مات سنة ٥١٦ ، ويظهر أن  
السلي لم يدرك في الاخذ عنه أكثر من خمس سنوات ، وأنه مات والسلي بمصر ،  
ولكنه كتب عنه أسانيد كل قراءة ، وكان الرجل من الشهرة بحيث « قصدوه  
لعلوا إسنادهم وإتقانه » كما يقول ابن تفرى بردى .

وذكر السلي أنه سمع مقرئا آخر بالإسكندرية سنة ٥٢١ أى بعد وفاة ابن  
الفحام ، هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبيد بن سكر القصارى المصرى وكان  
طاعنا في السن ، وقال إنه رأى ابن هاشم وابن نفيس والقزوينى وعبد الباقي بن  
فارس وغيرهم بمصر . وكان يحفظ كثيرا من الحكايات :

وحدثنا أيضا عن أبي محمد عبد الله بن حسن بن عيسى العبدري البياضى الحوى

فقال إنه كان مصدرا في جامع الإسكندرية لإقراء القرآن والنحو، وله شعر كثير، وأخذ النحو عن ابن الطراوة، وروى السافى أيضا عن أبى العباس أحمد بن الخطيئة اللخمي القاسى رئيس القراء بالسبع، وقد جاء من فاس وسكن مصر وتصلد للإقراء بها وتوفى سنة ٥٦٠ ودفن بقرافنها.

كما أخذ القراءات عن ابن الصغراوى الإسكندرانى المالكي الذى انتهت إليه رئاسة الإقراء والإفتاء بالإسكندرية وتوفى سنة ٦٣٦ عن ٩٢ سنة، وعن عبد الكريم بن سوار المصرى المقرئ النحوى المتوفى سنة ٥٢٥.

أما يحيى بن سعدون الذى أخذ عن ابن النحام شيخ السلفى، فكان من أخذوا على السافى، وهو يحيى بن سعدون بن تالم بن محمد الأزدى القرطبى، أحد أئمة المتأخرين فى القراءات وعلوم القرآن والحديث والنحو واللغة، وخرج شابا من الأندلس، وسمع بالإسكندرية من أبى عبد الله الرازى بن الخطاب، وبها وبمصر من السافى، ودخل بغداد سنة ٥١٧، ودخل أصبهان، ثم سكن الموصل، وأخذ من شيوخها وتوفى بها سنة ٥٦٧.

ومن أشهر تلاميذه فى القراءات وغيرها أيضا على بن الرماح النحوى المقرئ، وكان من أعيان النحاة وأكابر القراء، ولد بالقاهرة ومات بها سنة ٦٣٣ وسمع من السلفى.

ولكن الشاطبى كان أنبغ تلاميذ السلفى فى القراءات وغير القراءات ونوجز ترجمته فيما يلى :

إمام القراء أبو محمد القاسم بن فيرة الشاطبى الأندلسى النيرير دفين مصر، والمتوفى بها سنة ٥٩٠، وهو العالم المحدث المنصر النحوى اللغوى المقرئ الأديب الشاعر الشافى أوجد زمانه فى النحو واللغة. ولد بشاطبة من الأندلس، ودخل مصر سنة ٥٧٢ حيث نزل على القاضى الفاضل، فأكرم مشواه. وسمع من السلفى

فى الإسكندرية طبعا ، كما سمع من غيره بمصر ، وبها توفى سنة ٥٩٠ هـ ودفن بقرية  
القاضي الفاضل ، واشتهر الشاطبي بمؤلفاته فى القراءات وهى « ناظمة الزهر  
فى إعداد آيات السور » وكذلك « حرز الأمانى ووجه التهانى » المشهورة  
بالشاطبية فى القراءات ، و « تمة الحرز من قراءة الأئمة الكثر » و « عقيلة  
آراب القصائد فى أسنى المقاصد » وموضوعها تلاوة القرآن على الوجه الأجمل ،  
لا أنواع القراءات .

وإذا كان الشاطبي إمام القراء لم يسمع من السابق إلا نحو أربع سنوات ،  
فإن أولاده قد برعوا براعة أبيهم فى القراءات ، نذكر منهم أبا عبد الله محمد بن  
القاسم الحافظ المحدث النرى ، الذى تصدر للإقراء بالفاضلية روى عن أبيه  
وعن السلفى ، وكان قد قرأ يلبه شاطبية وبدهشقى ، وعاش نحو ٨٠ سنة ، ومات  
بمصر ودفن بمقبرة القاضي الفاضل أيضا .

وهناك شاطبي آخر ولكنه عاش فى الإسكندرية لا مصر ، وبها توفى سنة  
٦٧٢ وبينه وبين سابقه اثنان وثلاثون عاما فى الوفاة ، وكلاهما موسوعة علمية  
وإمام فى القراءات فمن هو الشاطبي السكندرى ؟ حتى لا يختلط ههنا بذاك فى  
أذهان الناس ، وكثيرا ما كان .

هو أبو عبد الله محمد بن أبى الربيع بن سليمان بن محمد المعافى الشاطبي نزيل  
الإسكندرية ، الزاهد المقرئ الفقيه الذى انقطع للعبادة فى ( رباط سوار )  
من الإسكندرية بقرية أبى العباس المرسى ، ودفن بها سنة ٦٧٢ .

ولد بشاطبية سنة ٥٨٥ وأخذ القراءات بالإجازة سنة ٦٠٧ عن أبى عبد الله  
محمد بن بقاء اللخمي الشاطبي الجنجالي ، صدر قراء شاطبية ، وهذا الأخير أخذ  
القراءات عن ابن فيرة الشاطبي المصرى قبل أن يرسل إلى المشرق .

وللشاطبي - دفن الإسكندرية الذى ولد قبل وفاة السلفى بنحو تسع سنوات ،

ولم يدرکه - مؤلفات قيعة هی « المملک القریب فی ترتیب الغریب » و « اللعبة الجامعة فی العلوم النافعة » فی التفسیر و « شرف المراتب والمنازل فی معرفة العالی فی القراءات والنازل » و « المباحث السنیه فی شرح الحصریه » و « الحرقة فی لباس الحرقة » وهو فی التصوف ، الذی اشتهر به وكذلك « المنهج المفید فیما یلزم للشیخ والمريد » و « النبد الجلیة فی ألفاظ اصطلح علیها الصوفیة » و « الزهر المضي فی مناقب الشاطبی » و « الأربعین المضية فی الأحادیث النبویه » و « زهر العریش فی تحریم الحشیش » ، فهو إذن عالم بالقراءات والحديث ، وغلّب التصوف علیه .

ومن أقطاب الإسكندرية المتأخرین فی علم القراءات مکین الدین الانتمر متصدر الإقراء بها ، وقد أخذ عنه أبو عبد الله رشید بن الفهری والمجالس الخمسة السلسلیة ، التي أملأها السلفی بسلام . وأخذ هو عن أبي القاسم الصفراوی عن السلفی ، ووضع له المسکین خطه بإجازة سنة ٦٨٤ (١) .

ومنهم معین الدین أبو محمد عبد الله بن محمد التکراوی المدنی الانصارى الإسکندرانى المقرئ النحوی الذی ولد بالإسکندرية سنة ٦١٤ ، وعلى ذلك لم یسمع إلا من أصحاب السلفی ، وقرأ منهم القراءات وتوفى سنة ٦٨٣ وله « الکامل فی القراءات » و « الاقتصاء فی معرفة الوقف والابتداء » وذكره الذهبي والسيوطی وابن حجر .

وشهاب الدین أبو العباس أحمد بن حسن بن إبراهيم القوصی العدل المزدب المقرئ المحدث ، قرأ القراءات وسمع الحديث من علماء قوص وغيرهم ، ومات بالإسکندرية سنة ٦٩٤ . ودفن بجوار السلفی .

وتاج الدین الفاکهانی الإسکندرانى دفن بالإسکندرية والمتوفى بها سنة ٧٣٤ . أخذ القراءات عن حائى رأسه وابن طرخان ، والعراق ، وكان فقيها

---

(١) درة المجال فی غرة أسما الرجال : ابن القاضي .

محدثاً أديبا عالماً بالعربية ودخل دمشق .

وامتد الزمن بعلم القراءات في الإسكندرية إلى ما شاء الله ، كما أنه ضرب في ماضيها العريق من زمن بعيد ، وقد رأينا كيف أن عام ٥٠٥ قد شهد أبا التماس ابن نفيس المقرئ وهو يقرأ - في «مسجد القمراء» بالإسكندرية قرب باب رشيد - دروس الإقراء من كتاب «التذكرة» في القراءات لأبي الحسن طاهر بن غلبون . وقبل ذلك عرف قراء مصر كتاب «الإرشاد» في معرفة مذاهب القراء السبعة وشرح أصولهم ، لأبي الطيب بن غلبون المقرئ الحلبي ثم المصري شيخ مصر في القراءات المتوفى سنة ٣٨٩ أو سنة ٣٩٩ وكان قد رحل من بلدة حلب إلى البصرة ، ثم إلى مصر ، وله أيضاً «المرشد في القراءات السبع» و«استكمال الفائدة» وهو في الإمامة في مذاهب القراء السبعة .

وقد عرفنا أن أبا بكر الطرطوشي قد حارب بدعة «القراءة بالإدارة» التي شهدناها في الإسكندرية عند دخولها ، وحتى ذلك جاء السلفي فقام بدوره يحارب البدعة لإعلاء لكلمة الحق في قراءة القرآن ، وقد كان السلفي يحدث بكتاب «المحتسب» في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، لأبي الفتح عثمان ابن جني النحوي الموصل ، كتب به وأجاز لابن خنير الإشبيلي الذي أقر بذلك في فهرسته المعروف .

## الشعر .. والشعراء .. والسلفى .

البيئة أثرها في رفاة الحس ، ورقة الوجدان ، وحلاوة اللسان ، ولا أدلّ على ذلك من على بن الجهم الذي عاش ردحا طويلا من الزمن في الصحراء فانطبع شعره بالخشونة وقلة الذوق حيث قال في بمدوحه مفاخرًا :  
 أنت كالكلب في الحفاظ على الود وكالتيس في قراع الخطوب  
 فلما انتقل إلى رياض بغداد ، وصفت له الحياة ، قال :

عيون المهاجرين ( الرصافة ) و ( الجسر )

جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

والسلفى نشأ في ( جروآن ) وتقل بين أصهبان وخراسان وبنداد والبصرة والسكوفة والموصل ومكة والمدينة ودمشق وصور ومصر والاسكندرية ، وعاش عمره المديد في آفاق وأجواء زاخرة بالطبيعة النضرة من أنهار وبحار وجبال ووهاد ، وسهول ورياض وأنسام وأعاصير ، وطالت غربته ، وحضت جوانحه إلى الماضي البعيد والقريب ، وأحب الناس وأحبه ، وعاش في دنيا العروبة والإسلام ، وسمع ما سمع وقرأ ما قرأ منشورا ومنظوما ، وأنشد الشعر واستشده ، وحفظ روائمه ورقائمه ، وتخير منه مراحه ، وانتقد قائله سابقين ولاحقين ، أى أنه بالإضافة إلى الجوانب الثقافية ، التي عرف بها واشتهر ، كان شاعرا ، مع أنه غير عربى الأصل ، وهذا هو سر الدهشة عند أبى جعفر بن الباذش حيث يقول وهو على عجمته يقرض الشعر ، ويحييه منه ما ينس برده ولا يجيد ، بينما يقول ابن الأبار « كان يحب الشعر ويمجيز عليه بأسنى الجوائز » .

وكانت الإسكندرية في عصر السلفى بيئة صالحة للشعراء : شدتهم حماسها وآثارها لقول الشعر ، وجمعت بينهم النجاش والبساتين ، وعرفت الشعر

الارتجال الذي كان يتبارى فيه شعراؤها ومحدثوها وقضائها ووزرائها وحكامها ، وسجل التاريخ لنا كثيرا من شعر هذا العصر في الإسكندرية من وصف الخليج ، وقصور الرمل ، وأزهار البساتين ، وثمار الإسكندرية ، والمسواكب الرسمية ، وأشواق المغتربين .

وكان الأديب جمال الدين ظافر الأزدي المصري المتوفى سنة ٦٢٣ بالقاهرة ، وزيرا للبلد العادل الأيوبي ، وخدمه بالإسكندرية سنة ٦٠٢ ، وشارك في الحياة الأدبية بها ، وخرج علينا بكتابه « بدائع البدائنه » بتشجيع القاضى الفاضل ، وضمنه تلك الروائع والبدائع الأدبية نثرا وشعرا بما قاله شعراء الإسكندرية على البديهة ، كلما جمع شملهم مجلس من تلك المجالس التي ذكرناها ، وواتهم القدرة على التظم .

وقد أشار ظافر - الذي ولد قبل وفاة السلفى بسبع سنوات ، فلم يدركه ولم يسمع منه - إلى أخبار ونوادير أدبية بأسانيد السلفى ، وكأنها أحاديث نبوية لا تكون مقبولة إلا بعد عرض روايتها للثقات ، ومن روى عن السلفى في هذا: الفقيه الحافظ أبو محمد المسكى بالإجازة ، والفقيه أبو الحسن علي بن حمدون الصوري ، ثم أبو الحسن علي بن المفضل المقدسى .

ومن سيرة السلفى في هذا المجال ، نستطيع أن نحكم بأنه قد اكتملت فيه الشاعرية من ذخيرة ضخمة في اللغة نحوها وصرفها وعروضها وتراثها ، ومن عاطفة رقيقة تهتز لكل لفظ جميل ومعنى رائع مهذب ، ولو أن ذلك متناثر في مناهات شتى من سيرته أى فيما كتبه عنه غيره ، بل - وهو الأهم - من خلال تراجمه للناس ، وكان يحفظ ويروى وينظم وينقد ، وإن لم يعد في المجيدين الكبار ، ولعل تأثره بشخصية الإمام الشافعى نفسه كان أحد العوامل التي يجعله يقول الشعر ، فهو الذى تمذهب بمذهبه ، وأعجب بسيرته ، فقال الشعر الرقيق

المذهب ، فكان يروى عنه كثيرا من أشعاره كقوله (١) :

إن الذى رزق اليسار ولم يصب حمدا ولا أجرا لنير موفى  
ولقد ذكر لنا ابن خلسكان أن السلفى حفظ كثيرا من أشعار الشافعى ،  
وكان يروى عنه منها ، كما كان يروى ويحفظ عن غيره كل شعر مطرب رقيق  
الجرس عذب الروى ، أيا كان صاحبه ، فكان يمجبه قول القائل :

خلق الحب لها فى خلدى خالق أكله لما خلق  
سبقت بالحب سلى غيرها وأحق الناس عندى من سبق

وكان لسانه يجرى بأبيات للثعالبي فى أبى سليمان الخطابي منها (٢) :

أبا سليمان سر فى الأرض أو فاقم .- سيان عندى دنا متواك أو شطنا  
ما أنت غيرى فأخشى أن تفارقنى .- فدبت روحك بل روسى فانت أنا

وقد رأينا أن السلفى قد وضع كتابا فى « أخبار أبى العلاء » ، وقد أورد  
ابن الوردى شعرا كتب به الفاضل أبو الطيب الطبرى إلى المعرى فرد عليه جوابه  
على الوزن والقافية ، وكان السؤال عبارة عن أسجوبة أو فزورة ، لم يغب عن  
فطنة وهين المحبين أن يرد الجواب بها شعرا رائعا (٣) .

وروى السلفى كتاب « مختصر فى القوافى » ، لأبى عمر عثمان بن على بن عمر  
الخرجى السرقوسى الصقلى اللوى النحوى المقرئ - العروضى المتوفى بعد سنة  
٥٧٦ وصاحب « مختصر الممددة لابن رشيق » ، و « شرح الإيضاح فى النحو » ،  
و « مخارج الحروف » ، و « الهدى لأولى النهى » ، وذكره القفطى فى « إنباه الرواة » ،

( ١ ) ألف باء : البلوى .

( ٢ ) الصلة : ابن هشكرال .

( ٣ ) تلمة المختصر : ابن الوردى .

وياقوت في «معجم الأدباء» .

ومن الطبيعي ألا ننظر من السلفى بغير الشعر العفيف سواء في مروياته أو منظوماته ، مع ما للشاعر الفنان من حرية الانطلاق والتحليق في شتى الآفاق ، ولكن السافى حمير نفسه في إطار ثقافته ، ولم يتعد أبعادها ، ولهذا نرى أشعاره في «علم الحديث» تغلب عليه ، يقول مفاخرنا بنبوغه في علم الحديث :

ليس على الأرض في زمانى      من شأنه في الحديث شانى  
نقلا وثقلا ولا غلوا      فيه على رغم كل شانى (١)

ويقول في مكانة علماء الحديث بالنسبة لغيرهم من المشتغلين بالفقه وغيره :

أهل الحديث هم الرجال البذل      ومن المعالى فى الأعلى نزل  
هل يستوى السملك الذى تحت الثرى      أبدا مقيم والسماك الأعزل (٢)

ويقول في توصيف مهمة رجال الحديث :

إن علم الحديث علم رجال      تركوا الابتداع للأتباع  
فإذا لبس منهم كتبوه      وإذا أصبحوا غدوا للسمع (٣)

وقد أشدهما أبو الربيع الكلاعى عن أبى الحجاج القضاعى عن السلفى لنفسه ، كما يقول ابن الأبار في «المعجم» ، ويتصدى الرد على خصوم علم الحديث ، ويبرز أهميته في الدفاع عن دين الإسلام :

يا قاصدا علم الحديث يذمه      إذ نزل عن طرق الهداية وهمه  
إن العلوم - كما علمت - كثيرة      وأجلها : فقه الحديث وعلمه  
من كان طالبا وفيه تيقظ      فأتى سهم في المعالى سهمه

(١) التاريخ الكبير : ابن حبان .

(٢) و (٣) ألف بهاء البلوى .

لولا الحديث وأهله لم يستقم دين النبي وشدة عنا حنكه  
 وإذا استراب بقولنا متحذلق ما كل فهم في البسيطة فهمه (١)  
 ويقول - فيما يشبهه « الشعر الاصطلاحي » وعن « جودة الإسناد » في  
 « علو الحديث » برواية زينب بنت السكال وفاطمة بنت أبي عمر وأحمد بن  
 علي الجزري .

ليس حسن الحديث قرب رجال عند أرباب علمه النقاد  
 بل علو الحديث عند أولى النهي والاتقان جودة الإسناد  
 فإذا ما جمعا في حديث فاغتمه ، فذاك أقصى المراد (٢)  
 وسكن ابن عمر الأنصاري البلنسي المتوفى سنة ٥٩٠ هـ مع السلفي بمدرسته ،  
 فلما صار السلفي في عشر المائة قال :

ما كنت أرجو إذ ترعرعت أن أبلغ من عمرى سبعيناً  
 فالآن - والحمد لله - لقد جاوزت من عمرى تسعيناً  
 ولما قارب المائة أنشدته يقول :  
 أنا إن بان شبابي ومضى فيحمد الله فمضى حاضر  
 ولئن خفت وخفت أعظمي كبرا .. ضمن علومي ناضر (٣)  
 والمعروف أن ابن عمر الأنصاري هذا قد عاش السلفي نحو عشرين سنة ،  
 وكتب عنه مالم يكتب أحد .

ويقول أبو شامة : سمعت الإمام علم الدين السخاوي يقول : سمعت أبا طاهر  
 السلفي يوماً يفتقد لنفسه شعرأ قديماً وهو :

( ١ ) التاريخ الكبير : ابن عساكر

( ٢ ) طبقات الشافعية : السبكي

( ٣ ) بنية المتمس : الضبي + النجوم الزاهرة : ابن تترى ، د هـ .

أنا من أهل الحديث ومموجير فقة  
جزت تسعين وأرجو أن أجوزن المائة  
فقبل له بحق الله رجاءك ، فقبلت أنه قد جاوز المائة وذلك في سنة ٥٧٢ هـ ،  
فلما جاوزها قال :

أنا إن بان شياي ومضى فزبي الحمد ذهني حاضري  
ولئن خفت وخفضت أعظمي كبرا غصن علومي ناخري (١)  
ولقد ذكر السبكي صاحب طبقات الشافعية أن أباه قد انتقد السلفي في تعرضه  
للإفتاء ذاكرًا أنه من أهل الحديث فلا يحق له الإفتاء ، فإذا بنا أمام هذه الآيات  
السلفي يفخر بأنه سعيد بالإفتاء على مذهب إمامه الشافعي . يقول : (٢)

إمامي الشافعي وحسين أفسي بمذهبه المذهب طاب عيشي  
وانسى لا أبالي بانفرادي بقوة حجتي في ألف جيش  
وقد قال النبي ، وصح عنه : ألا إن الأئمة من قریش ،  
وبهذا ضمن السلفي حديث النبي في شعره ، ولم يخل باللفظ ولا المعنى ،  
وتصادف أن الحديث يتفق في نصه ثرا مع الوزن شعراً . وهذه براعة من  
السلفي ، ودأبل على رهافة حسه الموسيقي ، ومن أجل وفاء السلفي للإمام الشافعي  
وأصحابه من بعده نظم هذه الآيات . (٣)

فليك يامن رام دين محمد ( بالشافعي ) وماتلاه وقال  
أعني ( محمد ابن إدريس ) الذي فاق البرية رتبة وكلا  
وعلا على النظراء طرا واغتدى شمس الهدى ، والنير كان هلالا

( ١ ) طبقات الشافعية : السبكي

( ٢ ) الف بهاء : البلوي

( ٣ ) السكواكب الجياد : ابن الزيات

وأجبت كذا عن صحبه وأحبهم  
متجسلا بهم ، وكن من حزبهم  
وهم الأئمة إن أردت أئمة  
فأجلهم شيخ الأئمة ( أحمد )  
و ( الأعمش ) و ( يونس الصدقي )  
وكذلك ( حرمة بن يحيى ) و ( البويطي )  
واذكر ( أبا ثور ) فقيه عراقي  
ثم ( الربيعين ) اللذين تفتتا  
و ( الزعفراني ) الصدوق ورهطه  
فالشافعي إمامهم عن ( مالك )  
وهو من الأتباع والاتباع عن

ونحن لانتبه بهذا الشعر في شيء إلا الوزن ، بسبب الثرية وأسلوب  
التقرير ، كما أن شاعرية السلفي المشهود له بها قد غاتته من غير شك في هذه  
الآيات التي ما نظمها إلا لتكون سجلا منظوما لأصحاب الإمام الشافعي على  
حساب فن الشعر لا غير .

ومع ذلك فإن هناك شعرا رقيقا خفيف الظل قاله السلفي ، ويدل على أنه  
من نظمه أيام شبابه ، من ذلك قوله في « الوصال » (١)

قد قلت إن رفع الصباح      ذبول ليل الوصل هنا  
يا ليت هذا الدهر دام      النمر للصب المسمى  
فالليل أستر للتيسم      والظلام عليه أحسن

ويقول أيضاً في الغزل التقليدي الذي تغلب عليه الصنعة ، والحال من كل تجربة عاطفية .

إذا بسدا فسرط تجافيه وعذل عذالي معافيه  
دعوا ملاهي وانظروا ظرفيه في طرفه والبر في فيه  
ولاحظوا الحسن بالبابكم كي تعذروا قلب مصافيه  
ثم اعزلوني بعد أن كنت قد أصابني . . والمقل شافيه  
ومن شعره يتشوق إلى إخوانه بمدينة ( جى ) من أصهبان أيام شبابه :  
سقى لأيام ( بجى ) قد مضت لى بين أهل الفضل من خلان (١)  
أهل الفصاحة والبراعة ، معشر فاقوا الشيوخ وهم من الشبان  
ولما ترجم السافى لشاعر بدوى من ( تدمر ) بالشام ، لم يفته أن يذكر  
لنا أنه زارها ، وشهد آثارها ، وكتب فيها الأبيات الآتية : (٢)

كم قدر رأيت من البلاد ، فلم أجد فيها كتدمر بنية وأساساً  
بلد من الحجر المنقش كله فإذا توغل فيه هال الناسا  
والمدن في الأحكام أجسام ، وقد أضحى الحقيقة للجميع الراسا  
ويقرب السافى كتاباً وضعه أحد أعلام الحديث وهو أبو بكر الخطيب  
فيقول : (٣)

تصانيف ( ابن ثابت الخطيب ) ألد من السبا النض الرطيب  
يراهما إذ رواها من حروها رياضاً للثقى يقيظ الريب  
ويأخذ حسن ماقد ضاع منها بقلب الحافظ الفطن الأديب

( ١ ) ألف بناء : البلوى

( ٢ ) معجم الأدباء : يناقوت الخوى

( ٣ ) معجم الأدباء - تذكر الحفاظ

فسأية راحته ونعيم عيش يوازي عيشها بل أى طيب  
ومن الشعر الخفيف قول السلفى في « العلم (١) » ، وهو شعر تمطى متداول :

العلم باب الشرف وما من العلم خلف  
وكل من خالفنى بهاء يتجن وعلف

ومن الطيبي أن ينال كل مخالف للسنة حظه من النقد اللاذع ، في عصر  
كثرت فيه البدع والآهواء من ( المتكلمين ) كالجمجمة والمعلقة والجمجمة  
والزنادقة ، وكلها فرق منحرفة مآلها إلى النار ، أما الفرقة التاجية وحدها فهي  
أهل السنة والجماعة ، وينبى السلفى للنفرفين ، وكأنه واحد من الأشاعرة ، أو  
متحمس من أهل الكلام فيقول (٢) .

ضل ( الجسم ) و ( المعطل ) مثله  
وأنى أمانهم بنكر . لارعوا  
وغدوا يقيسون الأمور برأيهم  
فالاولون تعبدوا الحق الذى  
وتصروه صورة من جنسنا  
والآخرون ( يمتلوا ) ما جاء فى  
وأبو حديث المصطفى أن يقبلوا

عن منهج الحق المتين ضللا  
من معشر قد حاولوا الاشكالا  
ويدلسون على الورى الأقوالا  
قد جد في وصف الإله تعالى (٣)  
( جنبا ) وليس الله... غر مثالا  
القرآن أفصح بالمقال مقالا  
ورأوه حشوا لا يفيد مثالا

ويلاحظ أن الحماسة الدينية قد نظمت على أصول العروض ، فاستباح  
السلفى نفسه ما لا يباح فى النحو والعرف .

( ١ ) ألف بهاء : البارى

( ٢ ) طبقات الشافعية : السبكي

( ٣ ) إشارة الى قوله تعالى « فذلكم الله وبكم الحق . »

غير أن السلفي أشماراً تتم عن الروية والحكمة والتدبر في أمور الدنيا  
تستحق التنويه حقاً ، منها قوله في الصديق :

غرضي من الدنيا صديق لي صدوق في المقام  
يرعى الجميل وعينه عن كل عيب مطرقة  
وإذا تفسير من تفسير كنت منه على ثقة

ويقول قول حكيم مجرب في ( المزاج )  
المزج حقاً رأس كل قطيع والمزج منقصة تشين فظيحه  
فانركه فهو يشين من يشاده واهجره فهو إلى الفراق ذريعه  
والبيت الثاني كما ترى حشو ، لأن البيت الأول قد تضمنه لفظاً ومعنى .  
ويقول في ضرورة إنفاق المال ، استناداً إلى قول الله تعالى :  
« لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون »

تباً لمن آتاه رب الملا مالا ولم يرزقه لإنفاقه  
فالمال كآل متى لم يكن يبين الإنفاق لإشراقه  
ويقول في « البخل والسخاء »

لا تجب دعة البخل لا كل فطعام البخل في الجوف دام  
وإذا مادعاك شخص سخي فأجبه ، وكله ، فهو شفاء

ويقول في « القناعة » :

اقتنع مادمت قنيا بنسبده وعشما  
ثم لا تخرج غنيا في غسبدو وعشما  
فجها العز للإنس بان في قطع الرفاه  
عن جميع الناس في الشدة أو وقت الرخاء

ويقول في « غدر الزمان » (١)

أتأمن لـلـسـام المنيـة بـقـتـة      وأمن الفنى جهل وقد خبر الدهرا  
وليس يحاىي الدهر في دورانه      أراذل أهليه ولا لـسـادـة الزهرا  
وكيف وقد مات النبي وصحبه      وأزواجه طرا وفاطمة الزهرا  
ويقول أيضاً :

قد نال صفوة دهرنا شريره      حتى تزايد تيهه وغروره  
واختصر خيرته بفقر مدقع      حتى استلذ وزال عنه سروره

هذه الأشعار ما رواه يوسف البلوى عن شيخه السلفى ، وضمنه صفحات من كتابيه « ألف باء » و « التكميل » وهذا الأخير مفقود ولا سبيل إلى العثور عليه . ولقد أسهم السلفى في مواكب « الرسائل الشعرية » التي كانت إحدى ظواهر الأدب في عصره ، فكتب مرة من الإسكندرية إلى صديقه السرقوسى الصقلى ، وكانت له حلقة للإقراء بجامع مصر ، وبعد كلام منشور قال هذه الآيات .

واقعت عيني على مثله      في فضله الوافى وفى نبـله  
وليس بدعا مثل أخلاقه      منه وعنـ كان فى شكـله  
فإنه من عنصر طيب      ويرجع الفرع إلى أصله

فرد عليه السرقوسى نثرا وشعرا من نفس الوزن والقافية وهكذا أخذنا يتبادلان الرسائل بالشمز ، ولكن لما لاشك فيه أن مانظمة السلفى من شعر لا يرتفع إلى المستوى الفنى المعروف عند كبار معاصريه من الشعراء ، وإذا كان المقرئ فى « نفح الطيب » يتردد فى نسبة الآيات الآتية إلى السلفى أو أبى محمد عبد الله بن البيهاسى بالإسكندرية ، فإننا نبادر بالقول قطعا إنها ليست للسلفى .

( ١ ) التاريخ الكبير : ابن عساكر - البداية والنهاية : ابن الأثير .

فليس مما رأينا وسمعنا له شعرا يمثل هذه القوة الشعرية .

يمد الدهر من أجلى وعمرى      كما أنى أمدد من المداد  
لنا خطان مختلفان جدا      كما اختلف الموالى والمعادى  
فأكتب بالسواد على بياض      ويكتب بالبياض على السواد  
هذا وقد كان السلفى يقبل الشعراء الذين يمدحونه وهم كثيرون ، ومنهم  
الشاعرة السكندرية ( تقيّة ) التى قالت فيه شعرا عندما تعثرت قدمه فى بيته  
فسقط جريحا ، وشقت خمارها لتضمّد جراحه ، وسبق أن أوردنا هذا الشعر  
فى المناسبة التى ذكرنا فيها ( تقيّة ) وهى التى قال فيها : « وكان لها شعر جيد لم  
أر قط شاعرة سواها » كما أن شعراء الاسكندرية الفطاحل قد خصموا السلفى  
بالكثير من أمداهم ، وعلى رأسهم ابن قلاقس وظافر الحداد ، وأبو الهباس  
الابن قاضى الاسكندرية ، وقد رحل إلى اليمن أما الشاعر السكندري ابن  
مكنسة المتوفى قبل أن يدركه السلفى بالاسكندرية ، فقد كان شعره دلى لسان  
الرواة يلقي أعظم التقدير عند السلفى .

ومما يلاحظ أن حظ السلفى من ( نقد الشعر ) كان أوفر منه فى ( نظم  
الشعر ) عنده ، يبدو ذلك لنا جليسا من ثمايا « معجم السفر » وتعليقاته ، كلما  
ورد اسم شاعر أو أبيات شعر ، مما يدل على طول باح منه فى هذا المجال ، من  
هذه التعليقات مثلا قوله عن ظافر الحداد « وكان من مفلّح شعراء ديار مصر ،  
وقد كتب لى من شعره غير قصيدة بخطه ، وكتبت عنه أيضا بخطى بمصر ،  
وقبل ذلك بالاسكندرية مقطوعات وقصائد ، وكانت به وأجاب عنه بشعر هو  
عندى لا يهضم ذكره هنا وتوفى سنة ٥٢٨ هـ فى ذى الحجة ، على ما كتبه إلى ابن  
موهوب من مصر ، وكان قد استوطنها ، وقد قال لى الفقيه أبو الطاهر بن عوف :  
ظافر الحداد ما عرفنا له قط حرمة قتل الشعراء ، والشدنى ظافر لنفسه بمصر ،

وليلة جاد بها العمر      وتام عن خلصاتها الدهر  
والورد فوق الماء مايتنا      قد نثرت أوراقه الحمر  
لم تر عيني مثله منظرا      ماء تغطي فوقه الجمر

ومن تعليقاته « فلان كان عمل الشعر عنده أسهل من شرب الماء ، ويعد من المجيدين فيه » و « فلان قال قصيدة من ١١ ألف بيت من قافية واحدة » . .  
وفلان « كثير الحفظ لشعر المتقدمين ومن صحبهم من المتأخرين » ولقد تأثر السلفي أيا تأثر بالنقاد الندامى ، ولم ينس قول حفص الذهبي له « ظافر مطبوع قليل التصنع وشعره من شعر الكتاب كبن الزيات وأقرانه ، وشعر أبي عبد الله كشعر أبي تمام ونظرائه » .

وكان للشعر نصيب عند السلفي فيما يحدث به ويجسّن للحاضرين والغائبين، كنصيده للشاعر أبي بكر محمد الحمرأوى المصرى تسمى « القصيدة الدامغة » ، وكذلك قصيدة فى السنة والرد على أهل البدع والأهواء لصاحبها أبى جعفر بن الفيض بن الأسود الضبي الأصبهاني ، كان السلفي يحدث بها عن الأكفاني بدمشق عن على بن الحسن المالكي عن أحمد بن عبد الرحيم الأصبهاني ، وحديث أيضا بديوان شعر أبى الطاهر إسماعيل بن خلف النحوى .

وكان السلفي يعطرب كل الطرب لسماع مافاله المشتى السروجى :

قالت : لقد أشمت بى حسدى      إذ بحثت بالسر لهم معلنا  
قلت : أنا ؟ . قالت : نعم أنت هو      قلت : أنا ؟ قالت : فن هو أنا  
قلت لها : أنت التى صيرت      جفونها جسمى حلف الضنى  
قالت : فلم طرفك فهو الذى      جنى على جسمك ماقد جنى  
قلت : فقد كان الذى كان من      طرفى ، فكونى أنت من أحسنا

قالت : وما الإحسان ؟ قلت : القنا      قالت : لقاءى عز أنى يمكن  
 قلت : فنيقنى بتقييـة      قالت : أميك بطـسول العنا  
 وكان يطرب عندما يئشده الشاعر السكندرى ابن قيسر من شعره  
 هذه الأبيات :

أتضرم فى كبـدى نارها      بحال ، وتعملبسا دارها  
 فقطـفى ، وهى مقتولة      وتطلب من نفسها نارها

وأئشده أبو الحسن النوطى بالإسكندرية لابن مكسة شاعر الإسكندرية :

إن كنت تزعم أن بينك فى خد      حتى فى لك أن أعيش إلى غد  
 فاجهر وصد فإن عندى ذلة      وتجلدن الحب ما لم يمد  
 وزعمت أنى لمت من أهل الهوى      صبا ، فقل ما تشئى وتقلد  
 أرايت صبرى عنك غير مشرد      أرايت طرفى عنك غير مسبد  
 والله ما أبصرت يوما أيعضا      منذ ابتليت بالخط جفن أسود  
 قل يا عزولى إن قلبى فى الهوى      عما يذو الأهى قلب صد  
 ما باله يحفو وقد زعم الورى      أن الندى ينمى بالوجه الندى  
 لا يفررنك وجنة محمرة      رقت فلياقوت طبع الجلود

وفى الحق أن صدر الحافظ كان رجبا تلتقى أشعار القدماء والمحدثين ،  
 ولا سيما شعراء الإسكندرية الذين انفرد السلفى برواية كثير مما نظموه وأهمله  
 التاريخ ، وفاء من السلفى السكندرى لكل شاعر سكندرى يستحق التكريم  
 والإشادة ، فكان « معجم السفر » بحق خير وعاء حافظ ، تركه لنا السلفى  
 الحافظ عن « تراث الإسكندرية » فى الشعر العربى نظم ونقدا ، دراية ورواية .

## السلفي . . المؤرخ المحقق

بين المؤرخين والمحدثين - في التراث الإسلامي .. قرابة منهجية متينة ، لأنهم جميعاً ( أخباريون ) ، فالمحدث - وهو يتناول الحديث ليفحصه ، ويقرر ما إذا كان صحيحاً أو غير صحيح ، مرفوعاً أو موضوعاً ، حسناً أو ضعيفاً ، إنما ينظر إليه على أنه ( خبر ) ، ويضع الرواة تحت مجهره ، ويتتبع سيرهم وأخبارهم وأنسابهم ، وهذا هو عمل المؤرخ أيضاً في تحقيق الوقائع ، التي يؤرخ لها ، على اعتبار أن الواقعة ( خبر ) من الأخبار .

ولاشك أن ( علم الحديث ) كان أسبق من ( علم التاريخ ) في د سجل مواليد العلوم الإسلامية ، وبالتالي ظهر علماء الحديث قبل علماء التاريخ ، وسار هؤلاء على نهج سابقهم ، في الاهتمام بالآسانيد والرجال ، حتى لكأنهم في عداد المسندين من عدة أوجه ، إن لم يكونوا فعلاً يجمعون بين ( الحديث ) و ( التاريخ ) في آن واحد ، ومع ذلك لم يكن كل مؤرخ قابلاً لأن يكون محدثاً ، ومن هنا كان التأليف في التاريخ قائماً على أساس ( الرواية ) ، وهو صميم عمل المحدث ، ونلاحظ ذلك جلياً في أم تاريخ عرفه المسلمون ، منذ كان الإسلام ، ونعني به ( السيرة النبوية ) لابن هشام عن ابن إسحق ، فهي قصة حياة رسول الله مفصلة عن أصدق روايتها الموثوق بهم من أصحابه الأقرين .

ولقد احتلت سيرة ابن هشام من حياة السلفي العملية ، مكانة عالية ، فكتبها بخط يده ، وحدث وأجاز بها ، وكذلك أمهات الكتب عن الصحابة عليهم رضوان الله ، مثل « الكامل في معرفة الرجال » الذي أجاز به السلفي عن ابن مردويه بأصبهان . وحدث به ابن المشرف الأنطاقي بالإسكندرية سنة ٥١٢ عن أبي الحسن بن باب شاذ الجوهري النحوي بمصر سنة ٤٦٢ عن الماكيني الهروي بمصر سنة ٤١١ عر .

مؤلفه أبي أحمد بن عدى الجرجاني بمرجان سنة ٣٦٤ هـ ، وكذلك « معجم الصحابة » لعبد الباقي بن قانع القاضي ، حدث وأجاز به السلفي كل من حضره واستجازه سماعا عن الحاجب بن العلاف ببغداد ، وأيضا « معجم الصحابة » لأبي القاسم البغوي ، حدث به السلفي عن شيخه أبي عبد الله الرازي بن الخطاب .

ونحن بدورنا لا نستبعد أن السلفي كان يتحدث بكتاب « الاستيعاب في أسماء الأصحاب » لابن عبد البر القرطبي ( - ٤٦٢ هـ ) ، وكان السلفي قد اعتزم الرحيل إلى الإسكندرية ومنها إلى المغرب للائخذ بها عن أصحاب ابن عبد البر .

وأخيرا وليس آخرا ، حدث السلفي بكتاب « تاريخ القاضي أبي عبد الله محمد ابن سلامة بن جعفر بن محمد بن علي القضاعي » كتب به إليه الرازي .

وإذا كان السلفي قد استوعب كل هذه المؤلفات العريقة في دروسه وبجاليه وأماليه وإجازاته ومناولاته ، وكلما تتدرج من السيرة النبوية إلى سير الصحابة والأئمة والقضاة ، فإن هناك كتابا آخر ذا أهمية خاصة يتصل بتاريخ الصحابة من جهة ، وفتح مصر والإسكندرية والمغرب من جهة أخرى وهو كتاب « فتوح مصر والمغرب » أو « فتوح مصر وأخبارها » لابن عبد الحكم المتوفى سنة ٢٥٧ هـ ، ولولا السلفي لكانت معلوماتنا عن فتح مصر والإسكندرية مهزوزة ، لاسند لها من درايه أو رواية ، بل بجهولة تامة . لماذا ؟

يبدأ الكتاب هكذا : « بسم الله الرحمن الرحيم ، أخبر الشيخ الصالح الأديب أمين الدين أبو القاسم سيد الأهل ، هبة الله بن علي بن مسعود بن ثابت بن هاشم بن غالب الأنصاري الخزرجي المعروف بالبوصيري ، قراءة عليه ، قال : أخبر الشيخ أبو صادق مرشد بن يحيى بن القاسم بن علي بن محمد بن خلف المديني بقراءة الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي الأصمعي ، وأنا شاهد أسمع بمصر

في سنة ٥١٥ هـ قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن منير بن أحمد الخلال في كتابه سنة ٤٣٥ قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن الفرغ الفهاج قال : أخبرنا أبو القاسم علي بن الحسن بن خلف بن قديد الأزدي قال : حدثنا أبو القاسم عبيد الرحمن ابن عبد الله بن عبد الحكم القرشي المصري قال : حدثنا محمد بن إسماعيل الكعي قال : حدثني أبي عن حرملة بن عمران التميمي عن أبي قبيل عن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال . . . . .

بهذه الأسانيد ، وبالرجوع إلى هؤلاء المسندين الثقات ، تحدث السلفي بهذا التاريخ وعنه نقل غيره ، بهلو الإسناد إلى محدث مصر ومفتيها وفتح مصر وابن فاتحها صاحب أول مدونة مكتوبة عن رسول الله مباشرة وهي ( الصادقة ) بخط صاحبها وهو : عبد الله بن عمرو بن العاص ، وراوى الحديث عن النبي في مصر والإسكندرية ، عن شيخه يزيد بن أبي حبيب ، فلو اعتبرنا كل ما جاء في هذا الكتاب ( أخبارا ) لا ( أحاديث ) وكان هؤلاء الثقات رواتها ، بأسانيد السلفي لكان ذلك كافيا لصحة محتوياته ، ولا سيما أن فيهم الليث بن سعد الذي كان في الإسكندرية كعبد الله بن عمرو من قبله وجاءها الحافظ السلفي من بعده بقرون ، وكلاهما أصبها إلى الأصل .

ولقد جرى العرف على اعتبار كتاب ابن عبد الحكم هذا من المؤلفات ( التاريخية ) ، بسبب هذه الأسانيد المتينة ، ومع ذلك فإنه لا يعدو أن يكون مجموعة غير مبوبة من الحكايات والوقائع والأحاديث والأشعار والأساطير مما يدخل في ( فن القصص ) لا ( فن التاريخ ) ، ولقد كان ( القاص ) أو ( القصص ) يشمل - منذ فجر الإسلام - وظيفة رسمية ، ويصحب الجيش في الغزوات والفروخ ويخطب الناس في المساجد والمجالس والدكاكين ، يعظمهم وينصحبهم ويحرمهم على

الجهاد - جامعا - فيما يقول - بين الآية والحديث والنادرة والشعر والتاريخ والنزوات ليجذب انتباه الناس إليه ، وفي هذا وحده ما يكفي لتوسيع مداركهم الثقافية ، بهذا الفن الأصيل من فنون الفكر الإسلامى ، وقد عرفت مصر والإسكندرية مع الفتح الإسلامى هذا اللون ورجاله .

وفي هذه المقدمة التى ذكرناها وكما اطلعنا عليها فى مخطوطة أخرى ورد ذكر السلفى هكذا بعد البسملة مباشرة ( أخبرنا الشيخ الفقيه الإمام العالم الحافظ أبو الطاهر أحمد بن محمد ... السلفى الأصهبانى ... ) ، ومعنى هذا أن كتاب ابن عبد الحكم متوج بتصریح أو ترخيص من السلفى الذى هذا شأنه ، وأخبر به سنة ٥١٥ بمزله بالإسكندرية أو بالقسطنطين لأن مدرسته لم تنشأ إلا سنة ٥٤٤ ، وفى الأغلب أنه بدأ بقراءته فى القسطنطين .

ومهما يكن فى الكتاب من غرائب وعجائب ، فإن الحقائق والوقائع التاريخية لا مطمئن فيها ، بصرف النظر عما عداها من قصص وأساطير وأخبار عن مصر والإسكندرية قبل الإسلام ، أما وقد أخبر بها السلفى وأجاز التعامل بها ، وكتبها بخطه ، فهذا هو ( التصريح بالنشر والإذاعة ) فى الآفاق .

وما كان يجوز للسلفى أن يتوانى عن هذا العمل الجليل ، بل إنه كان سباقا إليه ، فقد استطاب الإسكندرية واستقر بها ، وانصرف عن رحلته منها إلى المغرب ، لما لقيه من أهل الإسكندرية أهل الكرم المشجع والاستماع إليه والإقبال على مجلسه ، كما أن للإسكندرية والقسطنطين حظا كبيرا من الفتح الإسلامى تناول ابن عبد الحكم ، الذى يرجع فى الأصل إلى أسرة سكندرية ، وهو شافعى والسلفى مثله ، وأصحاب المذهب بعضهم لبعض أصحاب ، ويثق بعضهم فى بعض ، حتى لقد دأب الأحياء من أسرة عبد الحكم الشافعية على الرصاية بأن يدفوا بعد موتهم إلى جوار الإمام الشافعى بمصر القسطنطين ، وقد كان .

ولعل السلفى قد حرص - وهو يخبر بكتاب ابن عبد الحكم أهل مصر والإسكندرية - على إحياء (فن النقص) لأنه يخص أبحادهم ، فكان هو الرائد الأول لتدريس تاريخ مصر على أمتن الأسس وأوثق الأصول ، ليرد الجليل إلى الذين أكرموا وفادته وعاش بينهم وتزوج منهم ، فاستقر حاله ، وطال عمره ، حتى استغنى بهم عن الأهل والصحب والبلد ، فقدم لهم هذه الهدية التى تلفت الأنظار لىكى يسمروا عن الخلافات المذهبية فى الدين ، وفى أناة وتودة راح يداهم ، ويرفع مستواهم العلمى والخلقى ، متوغلا بهم إلى صميم الدين وهو « الجهاد » ، ورفهم إلى مواصلة الفتوحات ، من غير أن يؤخذ عليه شئ ، من تحريض على فساد الحاكم ، ورب تليح أبلغ من تصريح ، وما كان السلفى لينسى أعقاب الثورة الفكرية التى قام بها علماء الإسكندرية على الحاكم الظالم ، وعلى أهل البدع من العامة ، وما لقيه الثوار من عنت وتذبيح وتشريد. كما جرى للطروشى وابن عوف ، وقد أدركهما السلفى والتقى بهما .

وإذا صح ما قاله المؤلفون بأن السلفى قد وضع كتابا عنوانه « الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة » ، فعنى ذلك أن السلفى قد انخرط فعلا فى إعداد المؤرخين ، وهو بهذا جدير ، لما عرف عنه من « علو الإسناد » ، وهو القاسم المشترك بين الإخباريين ، من محدثين ومؤرخين وقصاصين .

وكان للسلفى أيضا « حكايات تاريخية » انفرد بها ، ونقلها عنه المؤرخون - من خطه ، من ذلك - كما يقول « ابن خلكان » : « إن الحاكم كان جالسا فى مجلسه العام وهو حافل بأعيان الدولة ، فقرأ بعض الحاضرين : ( فلا وربك لا يؤمنون حتى يحسوك فى شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلووا تسليا ) وأشار القارئ إلى الحاكم ، فلما فرغ قرأ آخر - وهو ابن المشجر الرجل الصالح - : ( يأبى الناس ، ضرب مثل فاستمعوا له : إن الذين تدعون من دون

الله ان يخطقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ) فلما انتهى من تلاوته تغير وجهه الحالك وأمر بآية دينار لابن المشجر ، فخره أصحابه من استحالات الحالك ( تقلبات أخواله ) ، ونصحوه بالتغيب عنه ، حتى لا يغدر به ، فركب البحر إلى الحج ففرق ، فرآه صاحبه في المنام ، وسأله عن حاله ، فقال : ما قصر الربان معنا ، أرسى بنا على باب الجنة (١) .

ولانعلم أن أحدا روى هذه النادرة عن الحالك بأمر الله الفاطمي غير السلفي ، كما أن ابن خلكان تناول مقاله السلفي عن صلاح الدين الأيوبي ومقتل الخضر عام ابن سوار سنة ٥٥٩ هـ ، وأورد أقوالا أخرى في هذا تخالف مقاله السلفي ، وكان تطبيق ابن خلكان المؤرخ المحقق المصدق ، إسقاطا للحق ، الذي في جانب السلفي حيث قال :

« والحافظ السلفي أخبر بذلك ، لأنه كان مقما بالبلاد أول وصولهم ، وهو أصبغ لهذه الأمور من غيره ، لأن هذا فنه ، وهو من أقعد الناس به » .

شهادة أخرى للسلفي من الذهبي المؤرخ ، وهو من أهل القرن الثامن الهجري في كتابه « ميزان الاعتدال في نقد الرجال » أي رجال الحديث ، حيث قال إن السلفي سمع من سليمان بن عبد الله الشرواني إن علي بن أحمد بن علي الواعظ بن القصاص الشرواني مؤلف ( أخبار الحلاج ) « كذاب أشر » ، ولكن السلفي لم يأخذ هذا القول حجة مسلمة ، بل ذهب بنفسه ليتأكد ويستوثق ، ثم رجع إلى صاحبه وقال له : « أكثر ما فيه من الأسانيد من كتاب لا أصل له » .

بهذا الضبط والإتقان ، كان السلفي قدوة المحققين ، كما يذكرنا بالإمام

البخارى ، عندما رحل ليلقي رجلا سمع أنه يروى حديثا عن رسول الله ، فلبس اقرب منه وجده يتخدد دابته ليمسك بها ، فخرج يقول : « والله لا آخذ حديثا عن رجل يكذب على البهائم » .

### السلفى ... ومعاجم البلدان

لعل من أبرز ما اتم به السلفى المؤرخ المحقق ، ومستند الدنيا الذى سبق غيره ، ولم يلحق به لاحق ، أنه كان رائدا لعلم تقويم البلدان ، ولقد اطلع على مؤلفات كثيرة عن أصبهان لعلاء أصبهان والإسكندرية عن اشتروا بالكتابة عن البلدان ، وضبط أما كتبها وذكر أصقاعها ، وكان ذلك قبل أن ينفذ بلده في رحلته المكانيّة والزمانية عبر الأقطار والأعصار والتي من خلالها تعرف على مدن وأقطار وبحار وأنهار ، قفر المسالك والممالك ، فيما بين المحيط والمحيط من الهند شرقا إلى الأندلس غربا ، في مدى قرن من الزمان .

ولا نكاد نقرأ ترجمة لشخصية من الشخصيات التي أوردتها في معجم السفر ، أو « المشيخة البغدادية » ، حتى نراه يذكر البلد الذى ينسب إليه المترجم له ، فيضبط الاسم ضبطا محكما ويحدد تبعيته ، ويفرق بينه وبين ما يسمى باسمه من البلدان الأخرى ، مثل ( باجة ) الأندلس ، و ( باجة ) القمع بإفريقية ، حتى لا يقع القارئ في لبس ، ويضع البلدين في مملكة واحدة لا في مملكتين .

ولقد سبق أن ذكرنا أهم البلدان التي رحل إليها السلفى في « التحرك الثقافي » الذى قام به ، وأشهر الرجال الذين لقيهم بها ، وهى كآرائنا تريد على سبعين بلدا ، غير أن هذا العدد لا يبدو أن يكون كالفطرة الواحدة في بحر من التجوم التي لاحصر لها . وقد ذكرها السلفى بصدد تراجم المدينة ، ولولا الملل والإطالة لذكرنا هنا جميع هذه البلاد ، ولكن يكفى أن نقول إنها تعتبر المادة الأساسية

التي صاغ منها ياقوت الحموي موسوعته «معجم البلدان» ومن معظم الرجال المتوسلين إليها ، وضع «معجم الأدباء» ، بالترتيب الأبجدي في كل منها .

وفيا إلى بعض أمثلة فقط لهذه البلدان التي ذكرها السلفي وعلق عليها : الزم من مضافات همدان ، مرند من مدن أذربيجان ، جزيرة تحت واسط بسبعة فراسخ ، أمل بطبرستان ، بيسان من أعمال طبرية بالفور ، شاقة مدينة بصقلية ، لبننة من ضياع المهديّة بالمغرب ، قنا من أعمال سنجار ، بيران قرية من نظر دانيّة ، الحصين على نهر الخابور ، قرقيسيا بالشام وقيل إنها أول مدن الخابور ، القصر من خوزستان ، نابل بسين تونس وسوسة ، ركان من نظر بلنسية بالأندلس ، بروج بالهند ، قبداق من مضافات قرطبة ، إبيار بجزيرة بني نصر بين مصر والإسكندرية ، رشيد من مضافات الإسكندرية ، هذا إلى عدة مدن وقرى وأما كن مشهورة ومجهرولة في البلاد المصرية ذكرها السلفي .

وبما هو جدير بالذكر أن ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٣٦ في مقدمة كتابه «معجم البلدان» قد ذكر كتب السابقين عليه في فن البلدان « ولم يذكر السلفي من بينهم ، مع أنه اعتمد عليه اعتادا كليا ، وإن كانت لافضل صفحة من «البلدان» و «الأدباء» الياقوتية من ذكر اسمه ومعجمه وروايته صراحة لا كناية ، وكان جديرا بياقوت أن ينوه به فيمن نوه ، كما فعل عندنا ما ذكر مختصر الحافظ أب موسى محمد الأصبغاني لكتاب أبي الفتح نصر بن عبد الرحمن الإسكندري الحموي وعنوانه «فيما اختلف واختلف من أسماء البقاع» .

ولما اطلع ياقوت على مختصر هذا المؤلف السكندري علق عليه بقوله : «فوجدته تأليف رجل ضابط قد أتخذ في تحصيله عمرا ، وأحسن فيه عينا وأثرا ، ووجدت الحازمي رحمه الله قد اختلسه وإدماه ، واستجمل الرواة فرواه . .

فأما أنا فكل ما نقلته من كتاب (نصر) قد نسبته إليه ، وأصلته عليه ، ولم أضع نصبه ، ولا أدخلت ذكره وتعبه ، وألفه يثيبه ويرحمه .

ومهما يكن من شيء فإن ياقوت قد تأثر بالسلفى أيا تأثر ، ونقل عنه ، واعتمد عليه ، حتى ليقول في بعض المواضع « ذكره السمعاني والسلفى في شيوخها ، ويقول : « قال أبو طاهر بن سلفة » ويقول « قال السلفى أنشدنى فلان » . ومع أن السلفى قد ولد ونشأ في (جروا آن) من أعمال (أصبهان) فقد كان جديراً بياقوت أن يشير إلى نسبة السلفى إليها ، ولكنه لم يفعل ، والمشهور عنه أنه إذا نسب أحداً إلى بلده أتبع ذلك بالإقليم ، كقوله فلان (الابهرى الاصبهاني) المنسوب إلى (أبهر) التابعة لأصبهان ، ولكنه لم يذكر لنا عن السلفى (الجرواني الاصبهاني) ولم ينسبه إلى أى منهما .

وعلى ذلك يكون للإسكندرية فضلاً في (علم البلدان) على ياقوت باثنين من فرسان هذا العلم هما : نصر الإسكندراني ، والسلفى الإسكندراني ، ومن ذخائرهما استفاد وأفاد ، فذاع صيته ، بينا أهل التاريخ فضلها ، وعلى الرغم من هذا النكران المتعمد ، فإن السلفى ظل أشهر علماء الزمان ، وهو الذى تلقى على سابقه في أصفهان ، ما قد وضعوه في أسماء المدن والأقاليم والأصقاع ، ثم الإسكندرية ، ومن كتاباته وأماله وبجالاته بها ، تلقى من جاء بعده ، بشهادة المنصفين واعتراف الأوفياء .

أما وقد كثر عدد الآخذين عن السلفى من أهل الأندلس حضوراً أو إجازة أو مناولة في القرنين الخامس والسادس ، كما يتجلى ذلك بكل ضراحة في مؤلفات ابن بشكوال وابن الأبار وابن خيبر ، وغيرهم من كتبوها أو كتب لهم السلفى كتبه ومذكراته بخطه ، فإن المراجع الجغرافية والتاريخية قد توالى وزادت

وتوسعت أياً توسع ، وكان السلفي هو الرائد الأول للجميع ، من ذلك كتاب « صفة جزيرة الأندلس » المنتخب من كتاب « الروض المطار في خبر الأقطار » للحميري الذي جمعه سنة ٨٦٦ ، وأشار في مقدمته إلى اطلاعه على « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » للإدريسي المتوفى سنة ٥٦٠ ، ولم يذكر السلفي الذي اخترق الأبصار واشتهر بالاستقار .

أما الساني فقد غطوا حقه ، وأن الألوان السكي ينصفه التاريخ ، ويضعه في صدر طلابك المؤلفين في علم البلدان .

### السلفي .. فقيهاً ومفتياً ومفسراً ولغوياً

إلى جانب الشهرة التي بلغ السلفي قتها في علم الحديث ، كان من رجال الفقه ، تعلمه وعليه طوال حياته على المذهب الشافعي ، تفقه ببغداد على أعلامها في شبابه وفهم السبكي المراسي الطبري ، ونظر الإسلام أبي بكر الشاشي ، ويوسف بن علي الزنجاني ، نعم كان الفقه عند السلفي في الدرجة الثانية بالقياس إلى علم الحديث ، ولعل ذلك راجع إلى ما سمعه من شيوخه في المفاضلة بين علوم ( الحديث ) و ( الفقه ) و ( الكلام ) حيث قالوا : « الحديث عز في عز ، والفقه خبز في خبز ، والكلام رز في رز » .

المهم أن السلفي كان « يدرس الفقه على المذهب الشافعي » كما يقول ابن الأبار والإمام الشافعي كما رأينا هو واضح « علم الفقه » ، وصاحب « الأم » وكانت له السبعة الواسعة في مختلف الأقطار ، أما في مصر فكانت سمعته أوسع ، ونفوذته أعظم ، ولعل الشباب الساني التابعة في الحديث قد تأثر بفلسفة الحديث ، ذلك العلم الذي كان له المقام الأول عند السلفي .

وكان أبو الحسن المقبدي عالم الإسكندرية وقاضياً وفقهياً الذي خلف

السلفى في القيام مقامه في المدرسة السلفية بنشر مذهبه ، وتبليغ عليه سنين طويلة وهو الذى قال فيه « الحافظ مفتى المسالين » ، والإفتاء لا يكون إلا من فيه متمكن من قواعد استنباط الأحكام الشرعية من مصادرها ، وقد رأينا من قبل كيف تطور الأخذ بها عبر القرون الستة الأولى من التاريخ الإسلامى ، وقد استوعب السلفى علم الفقه ألبا استيعاب ، وعاش المؤلفين فيه قديما ، وعاصر المحدثين منهم في البلاد التى تلتى بها ، وأخيرا كان من الطبيعى ألا يعيش الفقيه فى قوامة ، بل يقتضى الأمر — وهو الذى شهدوا له بالفتوى — أن ينزل إلى الميدان الاجتماعى ليقترن عمله بعمله ، فيكون معينا للناس ، وإلا فقيم أنشئت له « المدرسة العادلية » التى غلب عليها اسم « السلفية » بهدف محدد هو نشر الفقه على المذهب الشافعى ، للقضاء على المذهب الشيعى ، والشيعى .

لقد كانوا يقصدون السلفى فينبهون من علمه الواسع ، فهو يقول مشلا عن المذهب بن القطاع القروى « وكان يحضر عندى فى المدرسة لتلقى الدروس الفقهية وكتب الامالى الحديثة وهو من أذكر الناس إلا فى الفقه » ومات سنة ١٢٦٠ هـ شييدا .

قال عبد القادر الزهاوى عن شيخه السلفى « كان آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر » ، ولقد كان السلفى بالإسكندرية أشهر أقطاب الفكر الإسلامى فى القرن السادس ، وظل عاكفا على الدرس مواظبا على التدريس فى منزله ومسجده ومدرسته ، طوال مدة إقامته بالإسكندرية التى زادت على الستين عاما بسنوات .

كان السلفى « شيخ السلفية » وعميدها وأستاذ الأساتذة السكبار بها ، خصص لها إماما ليؤم المصلين ، وعين بها المعيدى ، على أحدث نظام جامعى عرفه التاريخ ، وجعل على كل أربعين صبيا من التلاميذ معيدا يتدرج معهم فى برامج التعليم الدينى ، على نظام ( المعاهد الدينية ) المعروفة الآن التابعة للأزهر الشريف ، وكان هؤلاء المعيدى دروس عليا يتلقونها من هم أفقه وأعلم ، وهؤلاء بدورهم

متفرغون للأخذ عن الشيخ الحافظ السلفي ، هم والوافدون عليه من المدن والقرى المصرية ، والأتطار الإسلامية بقصد التلقي عنه والإقامته المؤقتة أو الدائمة ، أو العابرين إلى الحج من المغرب ، أو التجار ذاهبين آيين ، أو الإجازات ، الساعين في طلب الإجازات من الشرق والغرب .

وينعقد المجلس لدراسة الحديث صباحاً ومساءً كل يوم ، وتكمل الحلقة ، ويقرأ السلفي ، ويتدارس مع الحاضرين ، ويملى ويشرح وينتقل من فن إلى فن : من لغة إلى تفسير إلى حديث إلى تاريخ إلى نقد إلى أدب إلى فقه وهكذا ، وهو مشرق الوجه ، رحب الصدر ، باسط الكف ، حسن القدوة . كما كان السلفي يعقد درساً خاصاً بعد فراغه من الدروس العامة لكبار رجال الدولة الراغبين في الأخذ عليه ، فهذا القاضي ابن الزبير النساني الأسواني ناظر الدواوين السلطانية بالإسكندرية المتوفى سنة ٥٦٣ هـ ، يقول : « كان يفضل حضور مجالس الحديث السلفية على ممارسة مهام الحكم ، ويقول السلفي « قد هان على ما أنا فيه من التشاغل بالمكوس ، في مقابلة ما آخذ عنك من الحديث بعد فراغك من الدروس » . وكان له مؤلفات كثيرة جيدة شعراً ونثراً ، ذلك إذن هو ما يشبه « الدراسات العليا » في الجامعات الكبرى من العالم عرفتها « المدرسة السانية » التي تعتبر بحق « جامعة الإسكندرية الإسلامية » الأولى من نوعها .

وإذا انفض المجلس ليلاً أو نهاراً ، عكف على كتابة « الآمال » بخطه ، أو الاطلاع على ما يطلبه له السامعة والوراقون من الكتب الصحيحة النادرة بعد فحصها والتعليق عليها ، وكانت « الآمال الحديثة » - أي دروس الحديث - ذات المقام الأول في حياة مسند الدهر ، ومجدد السنة ، ولقد أوتق من قوة الذاكرة والحفظ ، ما جعله يتذكر مذكراته التي أودعها سلباس وغيرها من البلاد قبل رحيله إلى الشام ، ويأتي ببعض محتوياتها ، على الرغم من بعد الزمان ، وطول

الغنية ، عن تلك المجالس والامالى ، وعلى ذلك يعتبر السلفى عمدة في الفقه الشافعى طبقت شهرته الآفاق ، في عصر السمرع المذهبى ، الذى ساد القرن السادس الهجرى ، وعليه وعلى أبى الطاهر بن عوف اعتمد صلاح الدين الأيووبى في ضرب التشيع ضربة قاضية ، أعادت السنة مكانتها التى عليها جمهور الأمة .

أما الإفتاء فكان للسلفى فيه دور هام ، وكان ذلك بمناسبة أن اليهود في زمن صلاح الدين قد رفعوا إليه أن العادة عندهم قد جرت بأن يتحاكوا فيما بينهم إلى كبيرهم الحاخام ، وأن مواريثهم حسب شريعتهم بلا تدخل من أحد في شئونهم ، فإذا كان أحد الورثة غائبا أو صغيرا كان الحاخام مسئولاً عن ميراثه .

ولما بلغ صلاح الدين هذا الطلب بحث إلى أئمة المالكية والشافعية لإبداء الرأى في هذه القضية ، ومنهم أبو طاهر بن عوف ، وأبو طاهر السلفى بالإسكندرية أما السلفى فأفتى بما يأتى :

[ الحكم بين أهل الذمة إلى حاكمهم إذا كان مرضياً باتفاق منهم كلهم ، وليس لحاكم المسلمين النظر في ذلك إلا إذا أتاه الفريقان ، وهو إذن غير كافى التنزيل فإن جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم . وأما حال النائب والطفل فهو مردود إلى حاكمهم ، وليس لحاكم المسلمين فيه نظر إلا بعد جرحه . بينة عليه ، وجناية ظاهرة . وبالله التوفيق ] .

وقد شاع أمر هذه الفتوى وذاع ، وعلم السبكى الكبير والد السبكى صاحب طبقات الشافعية ، فاعترض على فتوى السلفى في أدب جم قائلا :

« وأما السلفى فهو محدث جليل ، وحافظ كبير وماله والفتوى ، وما رأيت له قط فتوى غير هذه ، وما كان ينبغي له أن يكتب ( أى يكتب فتوى كهذه ) ، فإن لكل عمل رجالا ، وقوله : يتخير الحاكم في الحكم بينهم هو أحد قول الشافعى ،

ولعله لما كان (أى السلفى) مقبلاً بالإسكندرية وليس فيها إذ ذاك إلا مذهب مالك ، ونظره فى الفقه قليل أو مفقود ، أعتقد أن الراجح عند الشافعى التخيير كالمالكية ، والصحيح عند الشافعية وجوب الحكم لقوله تعالى : «وأن احكم بينهم بما أنزل الله» وقوله - أى قول السلفى - فى مال الغائب والطفل لعله تقليد وحسن ظن بمن قاله من المالكية منهم : «وأورد السبكي الكبير هذا وغيره فى كتاب سماه «كشف الغمة فى ميراث أهل الذمة» وخصها السبكي الصغير بفصل فى الجزء الرابع من طبقات الشافعية الكبرى ،

ومهما يكن من شيء فإن السلفى قد خاض مجال الإفتاء بعقل مقترح ، وقلب مفتوح ، وهر الإمام المجتهد ، القادر على استنباط الحكم كفقهاء نفاة ، فلا عجب إذا أشبهه أبو الحسن المقدسى «مفتى المسلمين» الذى يفخر بأنه حين يقضى إنما يقضى على المذهب الشافعى حيث يقول :

إمامى الشافعى وحين أفتى بمذهبه المذهب طاب عيشى

أما تفسير القرآن ، فكان للسلفى أيضاً فيه مكان مرموق ، فقد قرأ على شيخه أبى عبد الله الرازى (ابن الخطاب) وأبى الحسن على بن المشرف أبى السلم الأنماطى كتاباً فى التفسير هو «نزهة القلوب فى تفسير غريب القرآن» لأبى بكر السجستانى . وبهذا الكتاب كان السلفى يحدث تلاميذه ومستمعيه من كل الانظار ومنهم ابن خنير الإشبيل .

وأصحاب طبقات المفسرين لم ينسوا للسلفى فضله ، راوياً ومروياً عنه ، حتى إذا اطلعنا على «طبقات المفسرين» للداودى - وهو من أهل القرن العاشر - نجد عدداً من المفسرين زوى عنهم السلفى ، أو روى عنه .

ومن أحق بالتفسير من السلفى مسند الدنيا ، الذى حفظ القرآن ، وعرف

أسرارها وغرائبها - وأحاط خبراً بالإنفاذه ومخازنه وبلاغاته وإعجازاته ، وألم بقراءاته ، وأسباب نزول آياته ، وما يتصل بها من الأحاديث التوضيحية لما أجمله من أحكام ، لقد كان السلفي نموذجاً حياً للعالم المتفتن في ( علوم القرآن ) ، فلا عجب إذاً كان أميناً على ( تفسير القرآن ) ، فأخذ عنه الكثيرون ، وظل ذكره لأمماً على مر العصور ، في ( طبقات المفسرين ) ، واستحق أن تطلق عليه « شافعي زمانه » .

وكذلك كان شأنه في ( علوم اللغة ) ، لم يمنعه أصله الفارسي من أن يكون عالماً بالعربية وأنحائها ، عارفاً بتاريخ كل نحر ومصدره ورجاله حتى إن عجمته لم تمنعه من قول الشعر كما رأينا ، ولم يكن كأولئك الفرس الذين نزحوا من بلادهم إلى الإسكندرية ، واستغلق عليهم النطق بالعربية والإفصاح عما يريدونه ، بل بالعكس كان السلفي بليناً فصيحاً ، مسليماً للنطق ، سهل العبارة ، لا يتكلف في الكتابة إذا كتب ، فلا نرى أثراً لجملة مسجوعة ، أو مبتذلة ، مع الإفادة والرفعة في تراكيب عباراته فهو يقول مثلاً : فلان ( مستير ) الحال ، على وزن فعيل بمعنى مفعول أي مستور ، وكان يمزج مع الشيخ النباري ويقول له « أنت مكبر مبير مجبر » فيضحك ويتسم ، ويجب الدعابة البريئة ، ولا يرضى بالمزاح المنهى عنه ، وقال في ذلك شعراً كما رأينا .

ولا شك أن رحلات السلفي في طالع العلم قد صقلت لسانه على مر السنين ، وتقلب الشيوخ ، وعكف على دراسة اللغة من نحر وصرف وبيان ، وتكونت عنده القدرة على نقد النحاة اللغويين ، فكان مثلاً يقول ( فلان لم يكن في زمانه ألنى منه ) أي أعلم منه في اللغة .

ولقد قرأ السلفي أمهات كتب اللغة على أيدي أشهر المشايخ مثل ابن هشام

اللغوى بصر ، قرأ عليه للشعالي « أجناس التجنيس » ، و « القيمة » و « المبهج » ، وبها حدث غيره وأجاز ، وقبل ذلك وبعد ذلك تأثر السلفي بأسلوب الشافعي .

وتألق اسم السلفي كثيراً في « بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة » للسيوطي ، نقلاً عن « معجم السمر » ، وعن عرفهم عن قرب في هذا الميدان :  
١ — أبو محمد عبد الله بن حسن بن عثيرة الجبدي الياقسي النحوي . كان مصدراً في جامع الإسكندرية لإقراء القرآن والنحو ، وله شعر كثير وأخذ النحو عن ابن الطراف .

٢ — أبو القاسم بن فسيحة الشاطبي المحدث النحوي اللغوي الأديب الشاعر الشافعي سمع من السلفي بصر ومات بها سنة ٥٩٠ هـ ، ذكره ابن شهبة الأسدي في « طبقات النحاة واللغويين » .

٣ — أبو الحسن علي بن الجبار بن سلامة بن عيذون الهذلي اللغوي . كان إماماً في اللغة ، حافلاً لها ، حتى إنه : « لو قيل لم يكن في زمانه ألغى منه لما استبعد ، أخذ عن ابن القطاع ، ومات بالإسكندرية سنة ٥١٩ هـ عن ٩٦ سنة .

٤ — علي بن الرماح النحوي المقرئ من أعيان النحاة ، وأكابر القراء ، جمع من السلفي . ولد بالقاهرة ، وبها توفي سنة ٦٣٣ هـ .

٥ — عمر بن عيسى السومسي النحوي ، قرأ عليه أكثر أهل الإسكندرية في النحو ، ومات بالإسكندرية قبل دخوله إليها بقليل ، كما يقول السلفي .

٦ — أبو الحرم مكي بن محمد النحوي . توفي بالإسكندرية سنة ٥٠١ هـ .

٧ — هبة الله بن الصغار كان إماماً في النحو ، وقرأ السلفي عليه القرآن .

٨ — نصر بن عبد الرحمن الفزارى السكندري النحوي ، له كتاب في أسماء البلدان والأماكن والجبال والمياه ، قدم بغداد بعد سنة ٥٦٠ هـ ودخل أصهبان ومات بها سنة ٥٩١ هـ .

٩ — إبراهيم اليحصبي الاندلسي ، نقل السلفي من خطه ، وقال إنه كان من أهل الأدب والنحو ، أقام بمكة وقدم الإسكندرية سنة ٥٤٨ هـ وقرأ النحو على أبي الركب النحوي المشهور .

ومعنى ذلك باختصار أن الإسكندرية كانت في عصر السلفي وعلى يديه مركزا هاما من مراكز النحو واللغة . أما هو فقد اختلط بهذه البيئة العربية العريقة في عروبته ، منذ نزلتها القبائل العربية مع الفتح الإسلامي ، وامتزجت في أعراق أهلها عروبة النماذج من الصحابة والتابعين وتابع التابعين والأئمة المجتهدين من لدن عبد الله بن عمرو ، وعبد الرحمن بن هرم ، الأعرج صاحب أبي هريرة ، وواضع أصول العربية ، واليث بن سعد ، ومحمد بن إدريس الشافعي ، ثم يأتي السلفي لإحياء النحو وإقامة ما أعوج منه ، وتجديد ما اندرس من معالجه ، ويتلقى عليه الكثيرون ، ثم يوجد بها من بعده أبو عمرو الرويني شيخ المالكية المعروف بابن الحاجب صاحب الكافية والوافية وشارح النحو ، وقد دفن بالإسكندرية سنة ٦٤٦ هـ ثم تاج الدين الفاكهي ( عمر بن عمر بن سالم بن صدقة البخمي ) السكندري المتوفى بالإسكندرية سنة ٧٣١ الذي مهر في العربية والفنون ، وسمع من البدر بن جماعة وابن دقيق العيد ، وله شرح في النحو ، وذكره ابن فرحون والنهري .

ومن المقرر أن السلفي لم يكن في عداد الصرفية أصحاب الأحرار ، وإن كان الطابع الصرفي قد غلب على سلوكه لا على ثقافته ، فقد آثر مسالك الزهد الإيجابي ، والاعتدال في عاداته وعباداته وماملاته .

خلاصة القول أن السلفي كان موسوعة ضخمة في العلوم الإسلامية ، نبسج فيها ، دارسا ومعلما ، وراعى مقتضى الحال في كل ما أخذ وأعطى ، بمعنى أنه أساطع بعلوم العصر ، فكان كالنحلة ترشف من الأزهار ما طاب لها ، فتحيله رحيقا

لذة الشاربين ، فيه شفاة للناس .

لقد حجب الامم عن دار حولها من الخلافات السياسية ، وعلوم الاوائل من فلسفة ومنطق ، ومهارات سفطائية بين المتكلمين من معزلة وأشاعة وجممية ومعلقة وزنادقة ، وتيارات جارفة من شيعة ورافضة ، ولكن السلفي أصم أذنيه عن كل هذا ، ليسلم برسائله من هذا الطوفان ، وآثر العفو من الله والعافية من الناس ، ومضى في الطريق السليم بمنجاة من الخصم والخصومات ، فكان امتدادا الاعلام الكبار من « أهل السنة والجماعة » ، وشعارهم « خير الأمور الوسط » ، وإن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، ومن هذا المنطلق كان منهاج السلفي في التفوذ إلى الاجيال المتعاقبة في العالم الإسلامي . بما جعل له وللإسكندرية من مخلود الآثار العالمية ، ما لم يظفر به بلد من البلدان ، أو عالم من العلماء .

( ٦ )

## تلاميد السلفي في المشرق والمغرب

« تفرد في الدنيا بالإمامة في علم الحديث  
وعلو الدرجة في الإسناد ، وأخذ عنه  
أهل الأرض جيلا بعد جيل ، وسمع  
الناس على أصحابه ، وهو لم يعد عبده  
بشبابه »

— أبو الربيع بن سالم —



## المدرسة السلفية

ليس أبقى للإلسان على الزمان من أثر يخط ذكره من كتاب متداول ، أو تليذ يسير على النهج ، ولقد رأينا مآثره السلفي من مؤلفات ومذكرات ، غير أن الذين أخذوا عنه بالسماع أو الإجازة أو المناولة في مختلف الأقسام والأصناف ، لا يمكن أن نحصيهم ، وجبذا لو اضطلع بهذا الشرف أحد المتخصصين في علم الرجال ، ليضع لنا معجما خاصا بكل من أخذوا عن هذا العالم الفذ ، كما فعل ابن الأبار بوضعه في معجم أصحاب شيخه ابن سكرة الصدقي .

ومع ذلك ، فإنه لا يمكن أن يكون كتابنا عن السلفي أشهر علماء الزمان كاملا إلا إذا ذكرنا تلاميذه في الشرق والغرب ، ولو على سبيل الإيجاز ، مع التنويه بصلاتهم الفكرية بالسلفي ، وما اشتهروا به من ثقافات ، وما احتلوه في بلادهم من مكانة أو منصب ، ولقد تطلب منا هذا جهدا فوق الطاقة ، من حيث الجمع من شتى المصادر ، وترتيبها حسب الوفيات ، لما في ذلك من أهمية بالغة ، بالنسبة للذين يتبعون العلاقات المتينة بين الأمصار الإسلامية باسم الثقافة ، وقد كان السلفي بحق خير من جمع هذه الروابط ، فجعل الأمة الإسلامية باسم الثقافة ، وقد كان طلاب العلم فيها — حسبا واحدا ، وثقت وأكدت وحدتها ، باسم الإسلام ، على الرغم من بعد المسافة بين الممالك ، ووعورة الطرق والمسالك .

ولأنه لحق للإسكندرية أن تفخر بعد ذلك ، بأن السلفي الأصهباني الأصل ، الإسكندراني الدار والوفاة ، قد أضنى على هذه المدينة من الأهمية طوال العصر الذي عاش فيها وما بعده ، فكانت ملتقى المسالين من أنحاء المعمورة ، يقصدهونها عابرين إلى الحج من بلاد الأندلس والمغرب ، وفي الوقت نفسه للشرف بالسماع على السلفي وأصحابه ، يوم كانت المدينة السلفية أشبه بخليعة التحن صباها ومساء ،

ولا ندرى كم كان تعداد هذه المدينة في عصره ، إذا كان عدد هؤلاء الطلاب والعلماء بهذه الكثرة التي تدعو إلى الدهشة حقاً .

وفيا على سجل الآخذين على يديه حضروا أو إجازة عقب وصـرله إلى الإسكندرية إلى أن توفاه الله بها .

### هؤلاء هم تلاميذه ..

— محمد بن محمد الباهلي الترقوبي أو ابن قرقوب : من المرية ، رحل وحج وسمع من السلفي « تقييد المهمل وتمييز المشكل » وحديث به عنه ، ونسخ بخطه الرديء كتاب « الاستيعاب » لابن عبد البر ، وتوفي بالمشرق سنة ٥١٢ .

— عبد الله بن موسى ابن اشكورته الأزدي المرسى ابن برطلة ، حج سنة ٥١٠ وسمع من السلفي وعاد إلى بلاده مرسية وتولى الصلاة بجامعها .

— جامع بن باقى التميمي الأندلسي ، سكن دمشق ، ودخل الإسكندرية وسمع من السلفي .

— عبد الله بن يوسف القضاعى : من المرية . سمع من السلفي سنة ٥١٣ وحدث .

— أبو محمد عبد السلام بن الطوير الفيسرائى المعدل ، حضر السلفي بمصر والإسكندرية وتوفي سنة ٥١٤ ، وكان أبوه من فقهاء الإسكندرية .

— أبو على كاتب بن على النارقى الشافعى التاجر السكندري المسن ، لقي السلفي وتوفي بالإسكندرية سنة ٥١٦ ومولده بميفارقين ، صحب ابن سعدون الموصلى بمصر وسافر في تجارته إلى اليمن وصحبه أبى الفرج القرميسينى .

— أبو حفص عمر بن عبد العزيز الطرابلسي الأديب اللغوى ، قدم مصر من بلده وسمع السلفي ، وعلق السلفي عنه « ومات ببغداد سنة ٥١٧ .

— أبو الحسين أحمد بن نعمة بن طليب السكتاني المسقلاني سكن الإسكندرية  
وارتحل للتجارة إلى اليمن والهند ، وسمع الحديث من السلفي بالإسكندرية وتوفي  
بعمذاب سنة ٥١٨ .

— أبو الحرم مكي علي بن الحسن النخعي ، سمع الحديث من السلفي برغبة  
تامة بالإسكندرية ، وتوفي بها سنة ٥١٩ ودفن بمقبرة الديماس ( كوم الدكة )  
وهو من طرابلس الغرب واستوطن الإسكندرية ،  
— عثمان السرقوسي الصقلي النحوي إمام في اللغة والنحو والعروض ، ولازم السلفي  
وتقارنا بالشعر .

— أبو الحسن علي بن عبد الجبار بن الهذلي التونسي الإمام الحافظ النحوي  
الشاعر المبدع ، تبادل الشعر مع السلفي وأخذ عنه ، ولد بتونس وتوفي بالإسكندرية  
سنة ٥١٩ هـ عن ٩١ سنة ، وكان أدبيا لغويا وله قصيدة من أحسن عشر ألف بيت  
على قافية واحدة رد بها على المرتد البغدادى واشتملت على فتاوى أدبية ، وذكره  
الصفدي في الوافي وياقوت في معجم الأديباء .

— أبو الفرج مهران القرميनी التاجر حنبل بكثرة على السلفي بالإسكندرية .  
وجاب الآفاق . وتوفي بالإسكندرية سنة ٥٢٠ هـ عن ٧٥ سنة ودفن بمقبرة وعلية .  
باب الأخرى ( السكة الجديدة ) وصلى عليه السلفي .

— أبو الهيثم شبل بن المقلد المسقلاني الراعظ قدم على السلفي بالإسكندرية  
سنة ٥٢١ وأخذ عنه وأنشده شعرا لابن أبي الشحام .

— هبة الله بن معد بن عبد الكريم القرشي ابن البوري ، انتقل ، من دمياط  
بلده إلى الإسكندرية وحدث بها عن السلفي .

— يوسف بن عبد العزيز الميوزقي ( ميوزقة : جزيرة قرب الاندلس ) الشافعي  
تفقه بالكيا المراسي ببغداد وسكن الإسكندرية وسمع السلفي وتوفي سنة ٥٢٣ هـ .

— أبو الحسين عبد الوهاب ابن المفرض مقدم شهود الإسكندرية كان مواظبا على المواعيد الجمية للسلفى ، وتوفى سنة ٥٢٤ هـ وقد جاوز التسعين .  
— أبو الحسن علي بن عطية الطيبي المصرى قرأ الموطأ على السلفى وتوفى سنة ٥٢٥ هـ .

— زهر بن عبد الملك ابن زهر الأيادى الأشبيل المحدث الطيب المصنف الأديب حدث عنه السلفى وتوفى سنة ٥٢٥ هـ بقرطبة ودفن ببلده اشبيلية .  
— أبو المعالى محمود بن ناضر الكاتب المكي الشاعر الكاتب الفيلسوف المهندس المنطيق الحيسوب . كتب إلى السلفى بالإسكندرية وكتب له وتوفى سنة ٥٢٥ هـ .

— أبو القاسم عبد الرحمن الصقلى ، قرأ الحديث على السلفى على الرغم من كبر سنه ، وكان متشيعا ، وتوفى سنة ٥٢٦ هـ .

— أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عبد الملك الصدفى الرجمانى الإشبيل رئيس الشورى بإشبيلية كانت بينه وبين أبي بكر بن العربى منافرة فذهب إلى مراكن فأتى بها سنة ٥٢٩ هـ ودفن ببلده ، تحدث عنه السلفى بالإسكندرية .

— أبو الحسن علي بن سند بن عباس الغسانى المحدث الخطاط ، لقي السلفى بالإسكندرية وسمع الحديث بمكة والقدس وطرابلس الغرب ، نسخ للسلفى بداية النهاية ، للزائى وأهداه منه نسخة وتوفى سنة ٥٣٠ هـ .

— أبو الحسن علي بن أبي الأشيم ، أمه من بني حديد قضاة الإسكندرية ، الشاعر والأديب ، كان يحضر عند السلفى فى كل وقت ، وعلق عنه النوادر والملح الأدبية وعلق عنه السلفى كذلك ، وكتب كثيرا عن متأخرى أهل الإسكندرية من فرائد وأشعار وكان مالكا المذهب ، توفى سنة ٥٣٠ هـ .

— أبو زكريا يحيى الدورقي المقرئ ، قدم الإسكندرية سنة ٥٢٩ وسمع الحديث في المواعيد الجمية من السلفي بها ، وكان يعظ بها بمذفر أخ المجلس ، وكان يؤم ويعرئ في جامع فاس ، توفي بقط ( من صعيد مصر ) في طريقه إلى مكة سنة ٥٣٠ .

— أبو المعالي مكي ابن الخطيب القنطان بيته مشهور بالمسلم في الإسكندرية وكان على كبر سنه حسن الثياب ولد سنة ٤٣٥ وكان يسمع الحديث من السلفي ويطبق عنه الفوائد .

— حسن بن إبراهيم بن تقي الجندامي المالقي . رحل وسمع من السلفي المجالس السالسية سنة ٥١٥ .

— يعيش بن المخرج البصري ، سمع - يبلده يابر - جامع الترمذي وسمع السلفي وتوفي بعد سنة ٥٣٠ هـ .

— أبو محمد عبد الله الشلبلي ( من شلب بالاندلس ) قدم الإسكندرية حاجا ، سنة ٥٢٧ وحضر السانقي وسمع منه ورحل إلى مكة والعراق وخراسان وتوفي بها .

— أبو محمد عبد الله بن سلامة الأنصاري الناري ( منار : ثغر من ثغور صرقطة بالاندلس ) ، حج ثم حضر على السلفي بالإسكندرية سنة ٥٣٠ .

— أبو منصور عيسى النخعي المالكي ابن مقطع زمانه ، سمع السلفي سنة ٥٣١ .

— أبو الحسن ابن المعلم الصقلي النوري الحموي الطيب الخطاط مفسر الاسلام ، أبوه صقل وجده أصبها في استوطن مصر ، سمع السلفي بالإسكندرية وكان يالس به وتوفي سنة ٥٣٣ .

— أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن يحيى العجمي الديلمي، من ذرية عثمان  
ابن عفان، محدث الإسكندرية بعد السلفي في المرتبة توفي في حيا تشيخه السلفي  
سنة ٥٣٢ هـ .

— أبو القاسم بن جارة العالم الجليل الذي كان لايهاب الحكم بل كانوا يهابونه  
ولا يخشون الحق لومة لائم، ذهب إلى والي الإسكندرية قراجا ووجهه لأنه ألقى أحدا  
من الناس وكان على حق، ولكنه خشي أن يستسيغ الفتوى كل من ليس من  
أهلها وتوفي سنة ٥٣٣ هـ .

— سنة ابن المريف، من البيوتات السكندرية العريقة : سنع السلفي  
وتوفي بالإسكندرية سنة ٥٣٧ هـ ودفن بمقبرة الديماس .

— بكروم بن القصار، سمع السلفي وكان لا يقطع عن مواعيده الجمعية  
بالإسكندرية وبعد الانتهاء منها كان يقرأ ويحضر مجالس الحديث . توفي  
بالإسكندرية سنة ٥٣٨ هـ ودفن بالديماس .

— أبو عبد الله محمد بن أحمد بن موسى ابن وضاح القيسي المزني فقيه  
حافظ، رحل ولقى السلفي وكتب عنه المجالس السليمانية من إملائه، وحمل عنه  
إلى المغرب كثيرا من القوائد وتوفي بالمرية سنة ٥٣٩ هـ أو سنة ٥٤٠ هـ .

— جهور بن خلف المافري، رحل إلى الشرق وسمع السلفي سنة ٥٣٩ هـ  
بالإسكندرية وذكره التيجي في « مشيخة السلفي » في أعيان السامعين  
من السلفي .

— أبو العباس أحمد الزهروني ( زهرن جبل بالقرب من فاس ) ، فقيه  
كاتبه ووجه، دخل الإسكندرية في الحج وسمع من السلفي أحاديث كثيرة وكتب  
عنه سنة ٥٣٣ هـ « النسخ والمنسوخ » لأبي جعفر النحاس و « غريب القرآن »  
لابن عزي و « مسند الموطن » للجوهري ، و « شرح غريب الموطن » للأخفش .

— أبو الحسن الكندي الطبري ، لازم السلفي حتى آخر يوم في حياته ، ومده  
شعره ، وتوفي بالإسكندرية سنة ٥٣٩ هـ .

— أبو عبد الله محمد بن وضاح المرسى ، رحل في طلب العلم من المشاركة  
وشرح وسمع السلفي بالإسكندرية سنة ٥٤٥ هـ وقد ولد باليمن .

— أبو بكر يحيى بن خلف بن التقيس الحميري ابن الخواف ، كتب إليه السلفي  
من الإسكندرية مع أهل بيته ، وتوفي سنة ٥٤١ هـ .

— سند بن عباد بن إبراهيم بن حريز بن الحسين بن خلف الأزدي  
السيدي المتوفى بها سنة ٥٤١ هـ وكان تلميذ الطرطوشي وجلس بعده للتدريس  
بمدرسته على المذهب المالكي ، روى عن السلفي كثيرا ، وله «الطراز» شرح فيه  
«المدونة» للإمام مالك في نحو ٣٠ سفرا ، وتوفي قبل أن يتمه ، ودفن بالقرب  
من الطرطوشي والسلفي . وشهرته عند أهل الإسكندرية «القاضي سند» .

— أبو الحسن رضوان الكندي المالكي ، حضر كثيرا على السلفي لسماع  
الجديد منه بالإسكندرية وعلق عن السلفي ، كان إمام مسجد من مساجد مقبرة  
وعلة بالإسكندرية ومات ودفن بها سنة ٥٤٣ هـ .

— أبو عبد الله سعيد الخولاني الإسكندراني السكبي ، أبوه أندلسي ، سمع  
من السلفي وطلعه ونسخ بعض الكتب - استوطن الإسكندرية ومات بها .

— أبو محمد بن جابر المكي المالقي ، قدم الإسكندرية هو وأخوه السامع من  
السلفي بالإسكندرية وكثر حضورهما عنده .

— أبو محمد عبد الله بن محمد بن الحاج ، سمع السلفي بالإسكندرية في الطريق  
إلى الحج .

— أبو محمد عبد الله الصقلي الشاعر ، قرأ على السلفي بالمدرسة السلفية .

— أبو القاسم عبد الرحمن السفاقسي البصير الفقيه حنفي على السلفي بالإسكندرية .

وكان إماماً في المدرسة المكيية ، وتوفي بمصر .

— أبو القاسم عبد الرحمن الصابوني المهدوي (من المهدية) أكثر من السماع على السلفي وحمل معه كتباً كثيرة إلى المغرب من مصر .

— القاضي عياض بن موسى اليحصبي المحدث الحافظ ولد بفاس ودخل الأندلس ، وكتب إليه السلفي من الإسكندرية ، قال عنه ابن الأبار في المجموع :

« كان لا يدرك شأوه ولا يبلغ مداه في العناية بصناعة الحديث وتقييد الآثار ، وخدمة العلم مع حسن التفنن فيه والتصرف الكامل في فهم معانيه إلى اضطلاع بالآداب ، وتحقيقه بالنظم والنثر ، ومهارته في الفقه ، ومشاركته في اللغة والعربية ، وانفع الناس مؤلفاته ، تولى القضاء بفاس وغرناطة وسبتة وتوفي بمرآكش سنة ٥٤٤ عن ٦٨ سنة . »

— أبو بكر أحمد بن مجاهد بن جعفر الصائفي المقرئ ولد بدانية وسكن غرناطة وقدم بالإسكندرية حاجاً سنة ٥٣٠ وأجازة السلفي كأجاز أخاه .

— ست النعم تقيّة بنت غيث بن علي الأرمنازي السورية (من صور) ، أنشدت السلفي من شعرها بالإسكندرية ، وكان يجب بشعرها .

— أبو بكر أحمد بن حسن الخزرجي البلسي الكاتب الشهير ببليسية ، حج سنة ٥٣٩ وسمع بالإسكندرية من السلفي وكتب بخطه الحسن بعض الأجزاء ، كثير العناية ورع حسن الخلق .

— محمد بن عبد الله بن هشام الحجري الإشبيلي ، رحل وحج وسمع من السلفي ، وأخذ عنه برأيه .

— عبد الله بن أحمد بن عروس بن لب بن قاسم الشامي ، الحافظ الفقيه القوي المحدث المشهور في الأحكام ، كتب إليه السلفي ، وتوفي سنة ٥٤٦ هـ .

— محمد بن الحسن المقرئ بن غلام العرس ، حج سنة ٥٦٧ وسمع من السلفي .

وتصنف للإقراء وإسماع الحديث وتعليم العربية، الأديب الخطاط، كان مرجحاً للمذاهب من علماء روايته وعدائته، آخر القرنين المحدثين بشرق الأندلس، انتهت إليه الرئاسة في القراءات والحديث وحفظ أسماء الرجال. مات ببغداد سنة ٥٤٧ هـ عن ٧٥ سنة.

— محمد بن خلف بن صاعد الفسافي البجلي من شلب، عالم بالقراءات، حج ورحل في طلب العلم وسمع السلفي وعاد وعنى بالفقه ومشاورة الأحكام وتولي القضاء وحدث، وتوفي سنة ٥٤٧ هـ.

— عبد الوهاب بن إسماعيل بن توهيب الشاعر الوراق، مدح السلفي كثيراً وتوفي سنة ٥٤٧ هـ وقد جاوز التسعين، قال بمناسبة إنشاء المدرسة السلفية:

لله در المائل المرتجي ضى المز والتأييد والنصر  
بنى لنا مدرسة .. مثلها لم يكن في دهر ولا عصر  
بنداد دار العلم تفتخر بمثلها قط على دهر  
وما تولاهما سوى الحافظ المعصوم من عي ومن نصر  
خير فقيه في الورى عالم تبصره كالحسن البصرى

— طارق بن موسى بن يعلى الخزومي البلسي المنصفي (من قرية منصف) رحل وحج قبل سنة ٥٢٠ هـ وسمع السلفي وحدث وتوفي سنة ٥٤٩ هـ وجاوز السبعين عاماً.

— أبو العباس أحمد بن علي بن عمار النابلي (نابلي بين تونس وسوسة التي اشتهرت بكثرة رواة الحديث بها) حج وقدم الإسكندرية وبها سمع من السلفي وكتب عنه كثيراً من الأحاديث.

— أبو علي الحسين بن حميد الحموي الشاعر، كانت له حلقة في جامع عمرو، وسمع الحديث من السلفي.

١- أبو العباس أحمد العريضي النقيب الشاعر، سكن رشيد، وسمع الحديث من السلفي ومدرسه .

٢- أبو حنن عمر البلوي المتكلم الشاعر الناقد الأديب القليبيد، سمع الحديث من السلفي سنة ٥١١ ، ثم رحل إلى مصر وأقام بها وتوفي سنة ٥٥٠ هـ ، ومولده بسفاحين ، كان مولماً بالارد على الفزالي .

٣- أبو الحكم عبد الله بن المنظر الباهلي الأندلسي المقرئ الأديب الشاعر الحكيم الطبيب الرياضي دخل دمشق وحج وقرأ بصعيد مصر والإسكندرية من السلفي . وأقام ببغداد وتوفي بدمشق سنة ٥٤٩ عن ٦٣ سنة وله مؤلفات .

٤- أبو المطايع رافع بن زيد بن القيس ، لازم السلفي عند بناء المدرسة السلفية بفتح توفاه الله سنة ٥٥١ هـ ، وكان معيداً بها يعيد الفروس على أربعين صدياً ، وسمع من السلفي وكتب أماليه .

٥- أبو الوليد محمد بن عبد الله ابن خيرة الفقيه الحافظ الأديب الرحالة القرطبي، رحل وحج سنة ٥٤٢ هـ ، كتب عن السلفي عندما مر بالإسكندرية وسمع عليه ، وأزاد اليمن فتوحاً لله بزيده (بحر اليمن) سنة ٥٥١ هـ وقد ناهز الستين عاماً .  
٦- أبو موسى عيسى الحضرمي السبكي ، له معرفة بعلوم الأوائل أي الفلاسفة وكان شاعراً مقلداً ، كتب للسلفي شعراً فرد عليه شعراً .

٧- أبو عتيق القيرواني العطار ، سكن الإسكندرية بهـد أن كان يسكن القرى ، وكان متصوفاً ، وسمع على السلفي .

٨- أبو بكر عتيق الأزدي الأوربلي الأندلسي المالكي قدم الإسكندرية من المغرب وسمع السلفي سنة ٥٢٠ هـ وحج وجاور بمكة وعاد إلى مصر ثم الأندلس ،  
٩- أبو محمد عبد الله التاهرتي ، سمع الحديث من السلفي سنة ٥٢٧ هـ بعد عودته من الحج ، ورجع إلى المغرب وتوفي سنة ٥٥٢ هـ

— أبو المعالى عبد الله الخوارزمي ، سمع بنيسابور وقدم على السلفي  
ببنداد حاجا بصحبة السمعاني سنة ٤٩٧ هـ وسمع بقراءة السلفي وغيره ببنداد  
والكوفة ومكة ورجع إلى خراسان مع صاحبه .

— أبو محمد عبد الله الزناني النقي ، حضر على السلفي في دروسه النقية  
بمدرسته وكان يعيد دروسه ، وقرأ بالمغرب على مذهب مالك ، وتوفي بالريف .  
— أبو محمد عبد الله الدنري أقام طويلا بالمدرسة السلفية منذ نزل بها ،  
وكان أديبا نحويا ، علق عن السلفي دروس الحديث والفقه .

— أبو جعفر أحمد بن محمد بن كثر الخاربي الفرناطي ، قدم الإسكندرية  
فرارا عما يبلده غرناطة من خراب ودمار وفتن ، أذهبت أمواله ، وكان  
نحويا ، حج وكتب عن السلفي وتوفي بمصر سنة ٥٥٥ هـ .

— محمد بن عبد الله بن حباة الأزدي الشريفي ، حج وسمع من السلفي  
وعاد وحده بالأربعين السلفية ، ومات شهيدا :

— أبو الرضا عبد الله بن الفضل بن دليل الحضرمي المالكي ، ناب في الحكم  
بالإسكندرية وكان يلازم السلفي ويراجعه في المسائل والأحاديث .

— أبو محمد عبد الله بن مالوك التوسخي الفليسي ( فليس : قرية بشرق  
الاندلس ) المحدث ، سمع من السلفي رسالة أبي زيد في فقه مالك بعد الحج ،  
ود الشهاب ، للقضاعي .

— أبو محمد عبد الرزاق السبتي المسيري ، حج وسمع من السلفي بالإسكندرية .

— ابن مسافر التاجونسي المناغي القمودي سمع من السلفي وكان من رجال  
الغة والعروض ، وأصله من رشيد ، حنفي المذهب ، ولد سنة ٤٦٠ هـ تخمينيا لا يقينا .  
وتاجونس قصر على البحر بين برقة وطرابلس .

— أبو علي منصور بن مسلم بن عبدون الزرهوني ابن أبي فسوناس الفاسي

دخل الأندلس وسمع من ابن سكرة الصدقي سنة ٥١١ ، حدث عن السلفي وتوفي ببلده فاس سنة ٥٥٦ .

— أبو إسحق إبراهيم السامي ابن صدقة الزرناطلي وصاحب الأحكام بفرناطة والمحدث الرحالة ، حج وسمع من السلفي بالإسكندرية سنة ٥١٥ وسمع بمكة سنة ٥١٦ ، وعاد وجلس للحديث .

— أبو عبد الله محمد بن محمد ابن يعيش النخعي البلقني ، رحل حاجا سنة ٥٠٦ ومكث في المشرق نحو عشرين سنة ودخل مصر بعد الحج مرتين وسمع من السلفي وتوفي بشاطبة سنة ٥٥٦ عن ٧٤ سنة وكان إماما في الفرائض (المواريث) .

— خلف بن محمد بن فتحون بن أوربولة ، كتب إليه السلفي من الإسكندرية وقد تولى القضاء ، وتوفي سنة ٥٥٧ .

— أبو محمد عبد القوي البرقي الراعظ سمع من السلفي ووعظ كثيرا في مواعيده الجمعة .

— أبو محمد عبد المولى بن عقبة النخعي المتكلم المالكي البني ( لبنة من ضياع المهديّة بالمغرب ) دخل المشرق وسكن مصر وشهد بها وناب في القضايا والأحكام ، وسمع الحديث بالرى وغيرها ، وأجازة السلفي بالمراسلة من الإسكندرية .

— أبو محمد عبد الجليل الحيفي ، كان من الأشاعرة ، وسمع الحديث من السلفي بمدينة صور ، وسكن نيس ( قرب ديساط ) ونخب بها ابن الباز كلّي البصري .

— أبو محمد عبد الحميد الأموي ابن بريقير البلقي ، حج وسمع من السلفي وصار خطيب تلوسان التي كان مولده بها سنة ٤٨٧ .

— أبو البركات محمد بن حمزة العرق التبريزي ، ولد بمصر وتوفي بها سنة ٥٥٧ عن ٨٢ سنة ، وسمع من السلفي بالإسكندرية هو وأخوه أبو الحسن . .  
 — أبو عبد الله محمد المقرئ الداني قدم على السلفي بالإسكندرية وسمع منه .  
 — أبو عبد الله محمد المصري المكي سمع الحديث من السلفي بالإسكندرية .  
 — أبو البركات محمد بن موهوب القاضى الطراقي ، ولد بصور ولقي السلفي بمصر سنة ٥١٦ وسمع منه .

— أبو البركات كاتب بن علي الدالمي الجاني الحنبلي ، دخل أصبهان وسمع بها ولقي السلفي هناك وكتب عنه ، ثم لقيه بدمشق ، وولد سنة ٤٤٤ .  
 — أبو القاسم عبد الرحمن بن روضة الخراعي . ولد سنة ٤٦٠ ، سمع السلفي في مجالس الحديث ، وأبوه يحدث سمع منه السلفي قبلا ، وتوفي بمصر بعد أن ناهر المائة أى توفي سنة ٥٥٨ تقريبا .

— أبو القاسم عبد الرحمن بن صدقة الكاتب المصري المولود ، الإسكندراني الموطن ، كان يحب الحديث وأهله . ويكثر على السلفي في كل وقت للسمع منه .

— أبو الخطاب بن يعمر الشاعر ( من المرية بالاندلس ) . قدم مصر والإسكندرية وكتب عن السلفي ، وكتب له فوائد عظيمة .  
 — شبيب بن أبرهة ابن حيدرة القفصى ، سمع من السلفي وحديث عنه وتوفي سنة ٥٥٨ عن ٤٨ سنة .

— أبو حفص عمر بن سهل الغساني الغرناطي ، حج وحضر دروس السلفي صباحا ومساء ، وعلق عنه السلفي فوائد أدبية ، ثم عاد إلى المغرب .  
 — أبو الطاهر عبد المنعم بن موهوب القاري المحدث المجتهد ، لازم السلفي بمصر وسمع منه كثيرا وتوفي سنة ٥٦٠ .

— أبو محمد عبد الحميد الجلالى البرقى التاجر دخل المغرب والحجاز ، ومات بالإسكندرية وكان يتردد كثيرا على السلفى ويسمع منه .

— أبو الحسن على بن أبى ذرة المخزومى الحجازى ، رحل من مكة إلى الإسكندرية وسمع بها الفقه من السلفى ، وكتب دروسه ورجع بها إلى الحجاز .  
— أبو الحسن على بن سكر القارىء المصرى ، سمع بالإسكندرية من السلفى سنة ٥٢١ هـ وكان طاعنا فى السن وكان يحفظ كثيرا من الحكايات والنوادر والفرائد .  
— أبو الحسن على بن حرب البهرانى الحمصى ، ( حمص الاندلس لاحص الشام ) سمع من السلفى بالإسكندرية وعلق فوائده ، ورحل إلى المشرق وكان من أكثر الحفاظ حفظا الأخبار والأشعار .

— أبو الحجاج يوسف القروى ، حضر على السلفى بمسدرته لسامع الفقه والحديث وشهد بالحقلة ، وأعدم سنة ٥٦٠ ، وكان ابنه عبد الله شاعرا ، وكتب الامالى الحديثة للسلفى ، وأعدم مع أبيه أيضا .  
— أبو الحسن على القرشى كان رواية لشعر المغاربة المتأخرين ، مدح السلفى ومات بمصر سنة ٥٥٨ هـ .

— أبو على الحسين بن كرام بن اسكندر الكاتب الشاعر الاديب المحسنت سمع على السلفى وتوفى سنة ٥٥٨ هـ ودفن فى مقبرة البحر بالإسكندرية .  
— أبو البركات عبد الواحد القضاعى السوسى ، كان من أخص الناس بالسلفى سمع منه بالإسكندرية ، وكان أدبيا حسن الخط .

— أبو الحسن على السروجى التاجر ، رآه السلفى ببغداد والإسكندرية ، وحضر على السلفى ، كما علق عنه السلفى فوائده ، كان من متكلمي الأشاعرة .  
— أبو الحسن على بن فلاح الخراط البلىنى ، حج وحضر على السلفى لسامع الحديث .

— أبو الحسن على الأزدي ابن قيسر الأديب الفقيه الشاهد الشاعر ، حضر  
على السلفى وعلق هو عنه أشعارا له ولغيره .

— أبو عمرو عثمان المشككي الصوفي ( مشككي من مدن قهستان ) تحول في الشام  
والعراق والحجاز ومصر وسمع الحديث من السلفى بمصر .

— أبو عمرو عثمان السرقوسي النحوى الشاعر الغوى المقرئ صاحب المؤلفات  
فى القراءات والنحو والعروض ، وكانت له حلقة فى جامع عمرو بمصر للأقراء ،  
حضر على السلفى وشيخه بها .

— أبو حفص عمر بن بلج البلجى قدم من طرابلس على السلفى وسمع منه  
وكتب بالإسكندرية « الصحاح ، الجوهرى فى اللغة ، وعاد إلى بلده ، وكان أديبا  
معنيا باللغة .

— أبو حفص عمر بن عتيق بن أبي الخثائر القلعى ، حضر على السلفى  
بالإسكندرية ورحل إلى المشرق ، وانقطعت أخباره ، وكان شاعرا ورواية  
للشعر المغاربة الذين عاصروهم .

— القاضى أبو الحسين ابن الزبير النسائى الأسوانى ناظر دواوين الإسكندرية  
كان يؤثر الحضور عند السلفى على أعماله الرسمية ويقول للسلفى « قد هان على  
ما أنا فيه من التشاغل بالمكوس فى مقابلة ما آخذ علك من الحديث بعد فراغك  
من البروس » ، له مؤلفات نثر وشعر . قتل ظلما سنة ٥٦٣ هـ .

— أبو بكر عبد الله بن موسى الأزدي ابن برطلة المرسى صاحب الصلاة  
بمسجد مرسية ، رحل ورجع سنة ٥١٠ هـ وسمع من السلفى بالإسكندرية « وكان  
من أهل البهاة والزاهة » كما يقول ابن الأبار فى « المعجم » كان محدثا وأخذوا  
عنه . وتوفى سنة ٥٦٣ هـ .

— محمد بن عبد الرزاق الكلبى الإشبلى الرحالة فى طلب العلم ، لى السلفى

وسمع منه ، وانقرده برواية الكامل لابن عدى ، وتوفى سنة ٥٦٣ عن ٨٤ سنة .

— أبو الفوارس ناجى بن يظف المرارى الطرابلسى المالكي . سكن الإسكندرية وحضر على السلفى وأحب أهل العلم والسنة .

— أبو المكارم هدية بن عامر بن فتوح الحشرى المهندس ، وحضر على السلفى وسمع السلفى منه الحديث وعلق حكاياته عن أبي بكر الخفيفى الرازى .

— أبو عبيد نعمة بن زياد الفنارى ، حج سنة ٤٩٩ في السنة التى حج فيها السلفى ووالده ، ولقيه بالإسكندرية وسمع هو منه ، وابنه أيضا وتوفى سنة ٥٦٣ عن ٩٧ سنة .

— أبو الحسن أوليد بن الموفق الأزدي البسطى المالكي الأندلسى ، سمع من السلفى وعاد إلى بلاده بسنة ٥١٢ .

— أبو مروان أوليد العافى الروقى سمع من السلفى بالإسكندرية .

— أبو الحسين يحيى بن عساكر الكاتب الشاعر خطيب جامع الإسكندرية ، حضر على السلفى بها ، وتوفى سنة ٥٦٣ .

— أبو بكر يحيى الشعلبى الغرناطى ، سمع بمصر وحضر على السلفى بالإسكندرية وعاد إلى الأندلس .

— أبو الحسن يقيق بن خلف الأسدى الرندى ( رنده بين إشبيلية ومالقة ) حج وتبردد على السلفى كثيرا منذ نزل بالإسكندرية سنة ٥٣٠ .

— ابن ظفر الصقلى أو المكي ، وهو شمس الدين عبد الله محمد بن أبي محمد ابن محمد بن على القرشى الشهير بابن ظفر الصقلى ، حجة الدين النحوى ، كتب عنه ابن خلكان والسيوطى . نشأ بصقلية وسكن حماة بالشام وتوفى بها سنة ٥٦٥ عن ٦٨ سنة دخل المغرب وروى عن الطرطوشى والسلفى وكان مالكيًا ومن

كتبه وأبناءه أبناء الأجداد، وودع خير البشر في خير البشر، مطبوعان بمصر، وولد سلوان المطاع في عدوان الاتباع، في الزهد صنفه لبعض القواد بصقلية سنة ٥٥٤ و ترجمه (أمازي) إلى الإيطالية، طبع في فلورنسا سنة ١٨٥١ وترجم إلى الإنجليزية وطبع في لندن سنة ١٨٥٢.

— محمد بن يوسف بن سعادة المرسى، سكن شاطبة، رحل إلى المشرق وحج وأخذ عن السلفي وعاد، وكان فقيرا متصرفا وخطيبا قاضيا وندمنا، توفي سنة ٥٦٦ عن سبعين عاما.

— عبد الرحمن بن أحمد ابن أبي ليلى الأنصارى المرسى، رحل حاج سنة ٥٢٨ وسمع من السلفي وكان أديبا ومحدثا توفي سنة ٥٦٦ أو ٥٦٧.

— عبد الله بن أحمد العبدري ابن موجه البلسي من حفاظ اللغة، استوطن أشبيلية وتوفي بها سنة ٥٦٦ وروى كثيرا عن السلفي.

— أبو عبد الله محمد بن طه السهمي الأندلسي، سمع من السلفي بالإسكندرية.

— أبو بكر محمد بن يحيى الأنصارى الميورقي الأصم الأديب الفاعر ولد بمورة وحضر السماع من السلفي بالإسكندرية.

— عبد الله طاهر بن حيدرة بن منور المغافرى الشاطبي القارى. القاضى الفقيه، كتب إليه السلفي من الإسكندرية وتوفي سنة ٥٦٧ عن ٥١ سنة.

— أبو النعمان محمود بن الفضل بن حيدرة القرياني (فريسان من قرى عسقلان) المطرى التاجر الحلبي الشافعى، كالم قدم في تجارته إلى الإسكندرية وحضر على السلفي لسماع الحديث.

— أبو على منصور بن مستور الفرضي الأغماقي، لقي بالإسكندرية السلفي وأنشده شعرا.

— أبو القاسم منصور البريدى الكاتب، دخل مصر والإسكندرية وسمع بها من السلفي.

- أبو القاسم جبر المديني . دخل مصر سنة ٤٨١ وسمع من السلفي وأنس به وأثبته من شعره وأشعار الصقليين سنة ٥١٥ وشهد بمصر .
- أبو حبيب نصر الخزرجي القُرناطي قدم الإسكندرية من الأندلس ، وقرأ على السلفي سنة ٥٢٠ سيرة ابن هشام ، وحج ورجع إلى بلاده .
- محمد بن عبد الرحيم الأنصاري الخزرجي ابن الفرس القُرناطي ، كتب إليه السلفي من الإسكندرية .
- محمد بن عبد الرحيم الأنصاري الخزرجي ابن الفرس القُرناطي ، كتب إليه السلفي من الإسكندرية ، ولم يرحل إلى المرق ، وتوفي سنة ٥٦٧ .
- عبد الله طاهر بن حميدة بن منور النافري أنشأ طبى أجازة السلفي وتوفي سنة ٥٦٧ .
- أبو محمد عبد الله بن تيفال الحلواني أنزنسي ، كان يفتي كثيرا عند السلفي يسمع ويقرأ .
- علي بن محمد الفارسي ثم القُرطبي ، حج سنة ٥٢٠ وسمع كثيرا من السلفي وكتب عنه أكثر من ألف ورقة وحدث عنه بـ سيرة ابن هشام ومات شهيدا سنة ٥٦٧ بعد الثمانين .
- عبد الله بن محمد النافعي الشقوري القُرطبي حج سنة ٥٦٧ وسمع من السلفي وعاد إلى الأندلس سنة ٥٦٨ وكثر عدد الآخذين عليه بها .
- يحيى بن سعدون الأزدي القُرطبي إمام القراءات وعلوم القرآن والحديث والنحو واللغة خرج شابا من الأندلس وسمع السلفي بالإسكندرية ودخل أصفهان وبغداد سنة ٥١٧ وتوفي بالموصل سنة ٥٦٧ .
- محمد بن الحسن بن الحضر الميوري ، حج وسمع من السلفي سنة ٥٦٨ وجلس الحديث وأخذوا عنه .

١٠ محمد بن عبد الله المقرئ القرطبي ابن الفاسل كتب إليه السلفي دون أن يلقاه وتوفي بعد سنة ٥٧٠ وكان معروفا بالحديث والإقراء .

— محمد بن عبد الله بن يبيش الخزومي البلسي الفقيه الملقب المشاور حج ورحل وسمع من السلفي سنة ٥٣٩ وتوفي بالإسكندرية .

— محمد بن أحمد خلف الكمامي الأشبيلي . كتب عنه السلفي في معجمه .

— محمد بن صالح ابن الزيات الأشبيلي ، سمع منه السلفي وحديث يبلده سنة ٥٥٣ .

— عبد الله بن محمد بن خلف بن سماعة الأصمعي الداني نزل بمدرسة السلفي بالإسكندرية وسمع منه وحديث ، ومات غريفا بعد ٥٧٣ .

— عبد الله بن عبد الله ابن عيشون المعافري البلسي كان غنيا ونزل بالمهدية ثم رحل فسمع من السلفي وتوفي سنة ٥٧٤ هـ .

— عبد الوهاب بن علي بن عبد الوهاب القرطبي ، رحل إلى الإسكندرية سنة ٥٧٣ وروى بها عن السلفي ومات غريفا في جدة بعد حجه سنة ٥٧٥ .

— محمد بن خير بن عمر بن خليفة ، رحل إلى المشرق وسمع من السلفي كثيرا وكتب عنه وعن شيوخه الذين لقيهم وسجل مؤلفاتهم ومقرؤاتهم في «الفهرست» الذي وضعه والمعروف بفهرست ابن خير ، وتوفي سنة ٥٧٥ عن ٧٣ سنة .

— أبو القاسم خلف بن عبد الملك ابن بشكوال الأنصاري القرطبي من تلاميذ ابن رشد الفيلسوف العربي ، تولى قضاء اشبيلية ، بقية المسندين بها ، والعالم في أخبار الأندلس ، كتب أكثر من خمسين مؤلفا . كتب إليه السلفي مرارا مرتب الإسكندرية وله معجم في مشيخته ، وله كتاب « الصلة » وصل به كتاب « تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس » لابن الفرضي ( — ٤٠٣ هـ ) و « قضاء قرطبة » و « علماء إفريقية » للبخشي ( ٣٦١ هـ ) ، وجاء ابن الأبار فوصل كتاب ابن

بشكوكال بكتابه « تكملة الصلاة » ، وتوفى سنة ٥٧٨ عن ٨٤ سنة ، والاسم الكامل  
 للصلة هو « العلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم »  
 وفيه يرجع ابن بشكوكال كثيرا إلى السلفي ، اعترافا منه بفضلهم وقدره .

— تقيّة بخت غيث بن علي الأرمناسي الصوري ، الشاعرة من صور ، ولدت  
 بدمشق ، وصحبت السلفي زمانا بالإسكندرية وتوفيت بها سنة ٥٧٩ عن ٧٤ سنة  
 وقد مدحت السلفي بشعرها ، ولها ديوان شعر صغير مفقود .

— أبو إبراهيم عامر الأنصاري الأندلسي الرحالة ، دخل مكة والعراق والشام  
 والإسكندرية وتوفى بها وكان من المربة ، وكان يلزم السلفي في مواعيد  
 لصباح الحديث .

— الأمير أبو ساكن عامر الهلالي من أمراء بني هلال بالمغرب ، كان أدبيا  
 شاعرا مدحا السلفي بعدة قصائد من شعره بالإسكندرية ، وكان يحضر عنده كثيرا .  
 — أبو محمد عبد الكريم بن الطفال القضاعي الشاعر البارع النحوي ، كانت  
 له حلقة لإقراء النحو في الجامع ، وسمع منه السلفي بالإسكندرية وأسمعه .

— عبد الرشيد بن المظفر الجصندي التاجر ، دخل بلاد الترك والهند والصين  
 وكان فقيها محدثا ، حضر السلفي بمصر سنة ٥٩٥ وسمع منه .

— أبو محمد عبد الحق الصقلي ، خرج من بلده مهاجرا مجاهدا في سبيل  
 الله وسج وأقام بالإسكندرية ، ولازم الصلوات عند السلفي وأكثر من سماع  
 الحديث عنده .

— عبد الرحمن بن محمد الأنصاري بن حبش من المربة ، قارى فقيه  
 عالم بالعربية والآداب . كتب إليه السلفي وكان آخر المحدثين بالمغرب ، والعالم  
 بغريب الحديث ولغات العرب وتواريخها ورجالها وآدابها ، وكان لا يجاري

ولا يبارى ، عارفاً بالقرآن والحديث ورواته ، رحلوا إليه من سائر الأمصار ، له كتاب في المغازى ، توفي بمرسية سنة ٥٨٤ عن ٨٠ سنة .

— أبو الحسن علي بن همدان الصدقي الركاني ، سمع السلفى بالإسكندرية .  
— أبو الحسن علي الجندي الشاعر ، وإظب على الحضور عند السلفى .  
— أبو الحسن علي الناصري الشرايى السكندرى ، حضر السلفى في مواعيده  
الجمعية بالإسكندرية .

— أبو الحسن علي الانصارى السرقسطى ، سمع السلفى وأخلص . له حق وضع كتاباً عن الحفاظ بدأه بالهرى وختمه بالسلفى .

— أبو الحسن علي النمرائى اللخمي ، كان جارا للسلفى . فى الإسكندرية وكان نحوياً راوياً لشعرائها المتقدمين والمتأخرين من الذين صحبهم ، وأنشده أشعارهم مثل أحمد بن أبى مطر المطرز ، ومحمد بن عمار ، وابن مكسة ، وابن حابس المقرب بن ماضى أمير الواحات .

— أبو الحسن علي بن عبد الجبار بن سلامة الهذلى اللوى الشاعر ، ولد بتونس سنة ٤٢٨ وقدم الإسكندرية فلقى السلفى سنة ٥١٩ وسمع منه ، وكان إماماً فى اللغة ولم يكن فى زمانه ألقى منه .

— واجب بن أبى الخطاب القيسى البلسى قاضى بلنسية الكاتب الشاعر الخطيب أجازته السلفى من الإسكندرية وتوفى بمراكش سنة ٥٨٢ .

— محمد بن إبراهيم بن حرب الله ، ابن البقاء القاسى الفقيه المحدث ، حدث بالإجازة العامة من السلفى وتوفى بعد سنة ٥٨٢ .

— أبو الليث كثير المرازى ، لقي السلفى بالرى وسمع منه بها .  
— كار بن ناصر بن نصر الحدادى الفقيه المرازى ، لقي السلفى بالرى أيضاً وكتب عنه فى الاجراء السليسية التى عقد مجالسها فى ثغر سلاسل .

— كاسول بن أبي بكر الأبهري الصوفي ، لقي السلفي بقزوين ثم أقام معه  
برباط الإسكندرية ، وسمع منه كثيرا .

— الحسن بن محمد الأنصاري من لرية بالاندلس من أعمال بلنسية واشتهر  
بأبن الرهيل ، سمع من السلفي سنة ٥٧٢ وتوفي سنة ٥٨٥ عن ٥٤ عاما .  
— أبو الماضي عطية الكلثمي الضرير من المغرب ، وقدم الإسكندرية  
وسمع بها من السلفي .

— أبو الماضي عطية الفهري ، سمع من السلفي بالإسكندرية وكتب عنه  
كثيرا ، وانتقل إلى سكتي مصر حتى مات بها .

— صفي الدين أبو المجد الخزومي القاضي أحد كتاب الإنشاء لصالح الدين ،  
أخذ عن السلفي ومات شهيدا بمكة سنة ٥٨٦ عن ٦٢ سنة .

— أبو الحسن عدل الغافقي المرسى الشاعر ، كتب للسلفي من الأندلس  
كتاب « الاستيعاب » لابن عبد البر القرطبي ، ثم سمع عليه بالإسكندرية سنة  
٥١١ ، وعاد إلى مرسية ببلده ، وكتب له شعرا بخطه .

— عبد الوهاب بن محمد الصنهاجي ، رحل وسمع من السلفي وتوفي بعد  
سنة ٥٨٤ .

— أبو الذكاء فهم بن حسان اليماني ثم الدمشقي الشاعر ، قدم الإسكندرية  
وسمع الحديث من السلفي وأسمعه من شعره ، ورحل إلى الأندلس ثم عاد  
وتوجه إلى الشام ، واتقطع خبره .

— أبو نصر الفتح بن خلف المقرئ الخيري السكندري ، قرأ على السلفي ،  
ونسخ له ، وأبوه عبد أندلسي ، وما كان يستكشف الأبن من ذلك ، دخل العراق  
والحجاز واليمن ، واستوطن الإسكندرية ، وتوفي بها ، وكتب عن السلفي  
وحضر مواعيد الجمع عنده .

— أحمد بن محمد بن هارون بن دات النفزي الشاطبي سمع السلفي بالإسكندرية  
ولمرحلة ولد بسنة ٥٢٤ .

— أبو محمد فاضل بن سعد الله بن صمدون من صبور بالشام ، وكان يقرأ  
عند السلفي بمدرسته بالإسكندرية ، وكذلك ولدان له شافعيان عرفا بالذكاء ، وخال  
أبيه غيث الارمنازي وبنته تقية الشاعرة التي مدحت السلفي وأعجب بها وقد  
ولدت سنة ٥٠٥ ، وتزوجت فاضل هذا بدمشق فأنجبت منه وكان جده قاضي  
صور ، وتوفي بالإسكندرية .

— ابن منصور قسطله الآمري والي الإسكندرية وهو من الامراء وكان يتردد  
على السلفي ويسمع دروسه .

— علي بن أحمد بن سعيد بن بخون ، سمع من السلفي . وكان ينزل بالمرية ،  
وصار خطيب الموصل ، وسكن مصر ، وصفه ابن الأبار في التكملة بأنه « كان  
يكذب » وتوفي بعد سنة ٥٨٦ .

— يحيى بن محمد الانصارى من لرية بالاندلس ، أجازة السلفي وتصدر  
للإقراء وتوفي سنة ٥٨٧ .

— محمد بن علي بن هذيل الترابي البلسي ، سمع من السلفي  
سنة ٥٣٩ وسمع بمكة ، وكانت له مشاركة في اللغة وعلم العبارة ،  
وعاد إلى بلده بلسية سنة ٥٤٦ وتوفي سنة ٥٨٨ عن ٦٩ سنة .

— سلطان مصر والشام ومؤسس الدولة الأيوبية بمصر وهازم الصليبيين :  
صلاح الدين الأيوبي سمع الحديث من السلفي بالإسكندرية سنة ٥٧٢  
ومعه ولده وحاشيته ، وتوفي سنة ٥٨٩ ، وكان يحب أهل السنة وأنشأ أول مدرسة  
لشافعية في العالم الإسلامي كله بالإسكندرية ومصر .

— أبو الحسن طارق بن يعيش البلسي ، سمع بالإسكندرية من السلفي ،

وكتب عنه ثم رجع إلى بلده وروى عنه بالاندلس واسمعه عليه وعلى غيره ، ثم عاد فحج بعد سنين وعر بالإسكندرية .

— مفوز بن طاهر بن حيدرة المعافى القاضى الشافعى القارىء الشاعر الفقيه أجازة السلفى من الإسكندرية ، وتوفى سنة ٥٩٠ عن ٧٣ سنة .

— أبو الحسن شجاع بن محمد بن سيدهم المدبلى المرقىء المصرى المالكى ، سمع من السلفى وتصدر للإقراء بجامع مصر وتوفى سنة ٥٩١ عن ٦٣ سنة .

— محمد بن أحمد بن هذيل المبدى المربطرى ( من مريبطار ) ، حج وسمع من السلفى وعاد وتوفى ببلده سنة ٥٩٢ .

— عبد الله بن أحمد بن جمهور القيسى الإشبلى ، أجاز له السلفى من الإسكندرية وتوفى بها سنة ٥٩٢ عن ٧٨ سنة .

— محمد بن يوسف التباى ابن الحجاز البلى المحدث ، أجازة السلفى وتوفى سنة ٥٩٣ .

— عبد الله بن محمد ابن السكاك القاسى المالكى ، سمع من السلفى ولكنه لم يكن من أهل العلم كما يقول ابن الأبار فى « التكلة » ومات بفاس سنة ٥٩٦ عن ٦٩ سنة .

— محمد بن على بن خلف التجيبى الكاتب الإشبلى حج قبل سنة ٥٦٠ وسمع من السلفى وحدث وتوفى سنة ٥٩٦ هـ .

— القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى العسقلانى المصرى الوزير صاحب كتاب الإنشاء لصلاح الدين ، وقبله باب صدره بالإسكندرية ، سمع الحديث من السلفى ، أرسله أبوه قاضى عسقلان إلى مصر ليتعلم الكتابة واشتغل بكتابة الإنشاء فاشتهر على أهل عصره بأسلوبه حتى ينداد وجعله صلاح الدين كاتبه وحاجبه ووزيره ومستشاره وأقضى مائة ألف كتاب وتوفى سنة ٥٩٦ ، ودفن بمصر ، فى « التربة الفاضلية » .

— المحدث الكاتب الأصمباني، كاتب الإنشاء لصالح الدين والدولة التورية بدمشق سابقا . سمع من السلفى دروسه مع السلطان صلاح الدين بالإسكندرية سنة ٥٧٢ هـ وبرع في النظم والنثر والأدب وحفظ دواوين العرب ، وتوفى سنة ٥٩٧ هـ . وله ذخريدة القصر وشعراء العصر ، « وفتح القسى في الفتح القدسى » .

— علي بن عتيق الأنصارى الخزرجى المقرئ المحدث الطيب الشاعر سمع من السلفى وتوفى سنة ٥٩٨ هـ عن ٧٥ سنة .

-- محمد بن عبد الله ابن ماجد الأنصارى الباسى ، حج ورحل سنة ٥٧١ هـ . وسمع من السلفى وعاد إلى بلاده بعد سنة ٥٧٦ هـ وتوفى سنة ٥٩٨ هـ .

— عتيق بن علي ابن رزين العبدري ابن النفار الطرطوشى المقرئ الفقيه القاضى الخطيب الشروطى . أجازته السلفى وتوفى سنة ٦٠٠ هـ .

— أحمد بن محمد بن هارون بن أحمد أبو عمر بن عات النفرى الشاطبى رحل إلى المشرق وسمع السلفى بالإسكندرية وسمع من مصر ومكة ودمشق والموصل وهو مالكي ولد بسنة وتوفى سنة ٦٠١ هـ عن ٧٧ سنة .

— محمد بن أبي خلد ابن أبي زنين المرى الألبيرى الغرناطى كتب إليه السلفى من الإسكندرية وهو فقيه عالم بالرجال الذين نزلوا بلاد الأندلس قديما من العرب وتوفى سنة ٦٠٢ هـ عن ٦٩ سنة .

— محمد بن يوسف بن أبى زيد ابن عياد من لرية ، كتب إليه السلفى وهو شاعر أديب مؤرخ توفى سنة ٦٠٣ هـ عن ٥٩ سنة .

— أبو المهاجر يوسف البلوى الملقب المعروف بابن الشيخ ، ولد بمسابقة وسمع بها ورحل إلى الإسكندرية وحج سنة ٥٦٠ هـ وسمع السلفى وتردد عليه وأكثر من الأخذ عنه ، وكتب عنه كثيرا في كتابه « ألف باء » ، واشتهر بالفظ الوافر من علوم اللغة والأدب والفقه والأصول . بنى ببلده ٢٥ مسجدا من ماله .

وعمل فيها بيده ، وحفر أكثر من ٥٠ بئرا بيده . وغزا عدة غزوات بالمنرب مع المنصور ، وبالشام مع صلاح الدين ، وليس الحشن وكان زاهداً عابداً ، وله كتاب آخر مفقود هو « التكميل » ومات بمالقة سنة ٦٠٤ عن ٧٧ سنة .

— محمد بن قاسم بن عبد الرحمن التميمي الفاسي ، رحل إلى الشرق ١٥ عاماً سمع فيها عن نحو ١٠٠ عالم وأجازة السلفي وجمع لنفسه « النجوم المشرقة في ذكر من أخذ عنه من كل ثبوت وثقة » وسمعوا منه بالإسكندرية وعاد إلى الأندلس فمات ببلده فاس سنة ٦٠٤ .

— جمال الدين أبو البركات هبة الله بن محمد بن الحسن بن مفرج ابن الواظظ المقدسي ثم الإسكندراني المحدث ، كان من عدول الإسكندرية حدث عن السلفي وأخذ عنه وتوفي سنة ٦٠٥ عن ٨١ سنة .

— أبو منصور فتح ابن خلف السعدى الدهمياطى النجيب سمع بمسكة وبيت المقدس وحدث بمصر ودمياط ، وبها توفي سنة ٦٠٦ .

— أبو الحسن علي بن غطاس الهمداني السخاوى ، ولد بسنخا سنة ٥٥٨ وقدم القاهرة وكان مقرئاً نحويًا مفسراً للقرآن ، سمع من السلفي بالإسكندرية وسكن دمشق .

— أسعد بن مهذب بن ممان الكاتب المحدث الشاعر ، تقلب في المناصب وتوفي بحلب سنة ٦٠٦ عن ٦٢ سنة .

— أبو عبد الله محمد بن مسعود ابن عمار القرشى الخزومى توفى بالقاهرة سنة ٦٠٦ وسمع من السلفي .

— أبو روح المطهر البيهقي الجيوشانى الشافعى الصوفى المحدث . سمع بنيسابور ، وأقام بالخائفة بالقاهرة سنين وسمع السلفي وتوفى بوادى نخل سنة

— أمين الدولة أبو الفضائل هبة الله بن سلامة بن المسلم النخعي المحدث ،  
سمع ببغداد والإسكندرية وأخذ على السلفي وتوفي بمصر سنة ٦٠٧ .

— أبو الثناء شكر بن صورة بن سلامة بن حامد العوفي الإسكندراني المقرئ  
المحدث، تصدر بالإسكندرية لإقراء القرآن . وله معرفة بالأنساب توفي بالإسكندرية  
التي سمع بها عن السلفي سنة ٦٠٨ .

— يحيى بن عبد الرحمن القيسي الدمشقي الأصهباني ، سمي بذلك لأنه أقام  
بأصبهان خمس سنوات لقراءة الخلافيات ، ولد بدمشق وسمع السلفي ، وتجول في  
الأندلس وغرناطة ، وكان فقيها شافعيًا عارفًا بالأصول متصوفًا وإعطاء بمسجدنا ،  
وتوفي سنة ٦٠٨ عن ٦٠ سنة .

— أبو القاسم هبة الله بن أبي الفضل جعفر بن سناء الملك المعبدي الشافعي  
بأن أكبر شعراء مصر في العصر الأيوبي، الأديب المصري الكاتب بديوان الإنشاء  
وتوفي بالقاهرة سنة ٦٠٨ عن ٦٣ سنة وله « دار الطراز » ديوان كله موشحات  
بمخلاف ديوانه المشهور ، وسمع من السلفي وحضر دروسه ، وكانت بينه وبين  
القاضي الفاضل رسائل متبادلة وهي مخطوطة بالمكتبة الأهلية ببغداد بعنوان : « فصوص  
الفصول ، وعقود العقول » .

— أبو القاسم عبد الرحمن الرومي الأصل ، البغدادى المنشأ ، عتيق أبي الفتح  
أحمد بن عمر ابن باقا ، المقرئ التاجر ، سمع بمصر والإسكندرية وحديث بها  
وسمع من السلفي وتوفي بالقاهرة سنة ٦٠٨ ، ودفن بجوار كافور الإخشيدي .  
— محمد بن أيوب ابن نوح النافقي البلسي ، كتب إليه السلفي ، وبز أهل  
زمانه في الحديث وحفظ الأنساب والأخبار والفقه وتوفي سنة ٦٠٨ هـ .

— عبد الرحمن بن داود بن علي الراعظ الزيزاوي المصري ، دخل الأندلس ،

وجال في أرجائها يعظ الناس ويذكرهم ، مدعيا الأخذ والسباع عن السلفي فتبين كذبه فزهدوا فيه ، واطرحوا الرواية عنه ، وامتنعوا عن الأخذ منه ونزل لشبيلية سنة ٦٠٨ وتوفي بتونس .

— أبو العوال مرتفع بن تكين بن الأمانة جبريل ابن شجاع الكنافي ، سمع بمصر والإسكندرية وأخذ عن السلفي وتوفي بالقاهرة سنة ٦٠٩ .

— أبو ازييع سليمان بن سلطان بن خليفة المنذرى البناء المحدث ، سمع بمصر ومكة والإسكندرية وأخذ عن السلفي ، وكان إمام مسجد الحجارين بمصر وتوفي بها سنة ٦٠٩ .

— أبو عبد الله محمد مهران القرميسى الأصل الإسكندراني الدار من بيت مشهور بها ، ولد بقرميس ، واستوطن الإسكندرية ، وكان تاجرا جال في العراق والجزيرة والشام واليمن والهند ، عنت شافعي ، أفق ودرس . وكتب عنه السلفي . وسنخ حروبه وتوفي بالإسكندرية سنة ٦١٠ .

— محمد بن عبد الرحمن التنجي نزيل تلمسان ، بلده لقنت من أعمال مرسية ، طالعت رسلته في الشرق وكتب عن أكثر من مائة وفلائين من أعيان المشارقة ، عجب السلفي واختص به وأكثر من الأخذ عنه ، ولما ودعه ومعه مئات الأسفار والأجزاء التي كتبها عنه وقرأاته سر به وقال له : « تكون محدث المنرب إن شاء الله . قد حصلت خيرا كثيرا » ، ودعا له بطول العمر حتى يؤخذ عنه ما أخذ عن السلفي ، وكتب « مشيخة السلفي » ، ومؤلفات ضخمة أخرى ، ثم نزل تلمسان وطال عمره حتى توفي سنة ٦١٠ عن سبعين عاما .

— أبو المهند حسام الدمنهري ، سمع السلفي بالإسكندرية وتوفي سنة ٦١٠ .

— محمد بن عبد الملك بن فرين من لرية ، محدث أجاز له السلفي سنة ٥٣٥ وتوفي سنة ٦١٠ .

— أبو الطاهر إسماعيل الجذامي الصوري المقدسي الأصل القاهري المولد

والدار ، العالم ، سمع السلفى بالإسكندرية ، وحدث بدمشق وتولى ديوان الجيش وغيره لصالح الدين وأولاده . وتوفى بحلب سنة ٦١٠ عن ٦١ سنة .

— عبد الله بن إبراهيم ابن متيالك الوراق من مريطر وسكن بفسطاط وسمع السلفى وأجازته ، كان محدثا وبائع كتب في دكان له ، توفى بطنسية سنة ٦١١ .

— أبو علي منصور الجيزى الصوفى الوراق ابن الصيرفى المحدث سمع من السلفى بالإسكندرية وحدث بمصر والجيزة وتوفى بمصر سنة ٦١١ .

— أبو عبد الله محمد بن داود البربندى الصوفى المحدث ، سمع بالإسكندرية ودمشق وأخذ عن السلفى ، وتوفى بمشهد الخليل سنة ٦١١ .

— أبو الحسن شرف الدين علي ابن الانجب أبو المكارم الفضل بن أبي الحسن علي بن أبي الفتح بن مفرح بن حاتم بن حسن بن يوسف النعماني الأصل الإسكندراني المولود لدار الفقيه الخافظ العدل المالكي ، تنبه بالإسكندرية وكان مدرسا مالكية بها ، وناب في الحكم بالثغر ، وانقطع إلى السلفى وخرج به ، وحدث بمكة ومصر والإسكندرية وحرس بدارسهما ، ثم رحل بها إلى مصر وتوفى بها سنة ٦١١ عن ٦٧ سنة ودفن بسبخ المقطم ، وبعد وفاة السلفى كان هو شيخ المدرسة السلفية ، وأول من خلفه عليها ، وعنه أخذ عبد العظيم المنيزي وسار على نهجها في كتابه ، التكملة لوفيات الثقلة ، من ستين جزءا في التراجم ، ومن مؤلفاته كتاب عن الصيام ، وكتاب الأربعين المرتبة على طبقات الأربعين ، ودر تحقيق الجواب عن أربعين له مافاته من الكتاب ، وله ذيل على ذيل الألفاظ على وفيات الثقلة للكتاني .

— أبو عبد الله محمد الرمشاني الصوفى التقي الورع سمع بدمشق والإسكندرية وأخذ عن السلفى وحدث وسافر مع توراتيه شاه إلى اليمن وعاد بثبوته



— أبو الفتوح محمد ابن الجلائني القاهر البغدادي نزيل العراق والجزائر وطبريا بلطاجيل وخزاسان وما وراء النهر وبلاغة الفوارغ وغزنة والهند كان جده الحسن الصرات فسمي الجلائني . سمع السلفي بالإسكندرية وأخذ عنه وتوفي ببیت المقدس سنة ٦١٢ عن ٧٧ سنة .

— أبو بصير وأبو القاسم جامد بن أبي القاسم بن زونيد الإبراهيمي المحدث نزيل مصر ، سمع بالإسكندرية وعدن ودهشقي ، وأخذ عنه السلفي وحديثه وتوفي بالمشهد الحارثي سنة ٦١٢ .

— عتيق بن علي الإبراهيمي المرواني ابن قنبرال بن مبريط ، قاري لغوي حج سنة ٥٦٢ وسمع من السلفي بالإسكندرية وعاد فصدر للإقراء والإسعاء والمحدث بالقة وبلنسية ٦١٢ .

— التميمي أبو علي الحسن بن أبي محمد عبد الوهاب بن أبي الطاهر إسماعيل ابن مكي بن عرف القرشي الزهري السكندري سمع من جده الإمام التميمي ابن عوف ومن السلفي بالإسكندرية وحديث بها وبالقاهرة توفي بالإسكندرية ٦١٠ عن ٥٩ سنة وكان من أعيانها وكوفي الآراء السديدة بها وبينه عريق في الأصالة والصلاح والعلم .

— أبو الحسن الأشرف علي بن مكي بن الحسين بن علي الإسكندراني ، صاحب الزهاد سمع بالإسكندرية وأخذ عن السلفي بها وحديث وكان أحد المدول بالشعر ، وتوفي سنة ٦١٢ .

— محمد بن وهب بن ثعلبة ابن نذير القهري البلسي الخطيب كتب إليه السلفي وإلى أخيه أبي عامر نذير وأبيهما من الإسكندرية ، وتوفي سنة ٦١٢ عن ٦٤ سنة .

— ناصر الدين بن الملك علي بن شاويز مجير السعدي ، سمع بعمرو والإسكندرية .

وأخذ من البلقي وحدث وتوفى بالقاهرة سنة ٦١٣ .

— أبو محمد عبد الواحد بن ظافر الأزدي الصائغ الدمياطي المتكلم ، سمع بالإسكندرية وأصبهان ومصر ودمشق ، وأخذ عن السلقي ، وكان مميدا محدثا ،  
توفى بدمشق سنة ٦١٣ عن ٥٧ سنة .

— أبو محمد عبد الحسن الرشيد بن الفار الصوفي سمع السلقي بالإسكندرية ،  
وتحدث وتوفى بمصر سنة ٦١٣ .

— الأسعد أبو عبد الله محمد رضى الدولة ابن القطان العامري المقدسي الموالد  
والداز ، سمع السلقي وأخذ عنه وسمع بمصر والإسكندرية ودمشق وتوفى  
بمصر سنة ٦١٣ .

— أبيه أبو الطاهر إسماعيل الأنصاري الكاتب ، أخذ عن السلقي بالإسكندرية  
وسمع بها وبمصر إلى تنوفى بها سنة ٦١٣ ، وكان السلقي يجب بحسن خطه ، كما  
خلق حل السلقي فوائد جمه .

— أبو أسعد محمد بن حمويه الخراساني الجويني ، أخذ عن السلقي وسمع منه  
بالإسكندرية ، كما سمع بمصر وحدث بهما وتوفى بالقاهرة سنة ٦١٤ وبه  
معروف بالعلم والزهد .

— زين الدار يوسف بن أبي الحسن بن ياسين المصري الصوفي سمع السلقي  
بالإسكندرية وتوفى بمصر سنة ٦١٤ .

— محمد بن يوسف ابن ميمون الأزدي الشريفي ، حج وسمع عن السلقي  
وتوفى سنة ٦١٤ .

— محمد بن حل بن محمد ابن هذيل البلقي القاري أجاز له السلقي  
وتوفى سنة ٦١٤ .

— أبو محمد عبد الرحمن بن عبد الجبار العماني الكارمي المحدث السكندري  
الكاتب أخذ عن السلفي كثيرا وتوفي سنة ٦١٤ عن ٧٠ سنة .

— محمد بن محمد بن يتي بن بجلة الحزرجي من أوريوالة ، سكن القاهرة  
وسمع من السلفي وتوفي بعد سنة ٦١٦ .

— علي بن هشام الإشبيلي ثم الشريشي ، حج وسمع السلفي وحضر جنازته .  
قارىء خطيب محدث توفي سنة ٦١٦ .

— عمر بن عبد المجيد الأزدي الرندي ، برع في القراءات وعلوم العربية ونقد  
الرجال ، أجازته السلفي وتوفي سنة ٦١٦ عن ٧٣ سنة .

— محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد العربي الماعري الإشبيلي رحيل إلى  
الشرق سنة ٥٧٢ هـ ، وسمع من السلفي والأربعين حديثا البلدانية وسيرة ابن هشام  
بالإسكندرية وأجاز له وعاد إلى الأندلس ، ورحل ثانية سنة ٥٩٦ هـ إلى الشام  
والعراق والحجاز ، وفي عودته سمع بالإسكندرية من أصحاب السلفي ، وعاد  
سنة ٦٠٤ هـ وحديث ببلاده ، ثم رحل للمرة الثالثة سنة ٦١٢ هـ وجاور بالحرمين  
وتصوف ، ولد بإشبيلية سنة ٥٤٢ هـ وتوفي بالإسكندرية سنة ٦١٧ هـ ، وكان قد  
حج سبع مرات .

— أحمد بن عمر بن محمد أبو الجناح الكبير الخبوي الشافعي شيخ خوارزم  
قال عنه الداودي في « طبقات المفسرين » : « إمام زاهد فقيه بلده خبوق من  
بلاد خوارزم ، طاف البلاد وقدم القاهرة وسمع السلفي بالإسكندرية بعد سماعه  
من بلاده ، وفسر القرآن في اثني عشر مجلدا ، وله مؤلفات في التصوف ، وانتهت  
إليه المشيخة بخوارزم ، واجتمع بالإمام نضر الدين الرازي ، وأتوا من خوارزم ،  
فلما دخلها التار سنة ٦١٨ هـ وخرج لقتالهم ومعه ثمانون هـ .

جميعا على باب البلد ، وقد ولد سنة ٥٤٥ هـ .

— محمد بن الحسين النخعي ابن التيجي الداني أجازة السلفي وتوفي سنة ٦١٨  
عن ٥٨ سنة .

— علي بن محمد يوسف القهرى المهابرى المقرئ أجازة السلفي ، محدث عالم  
بالقرآن ، وكان مؤدب أولاد سلطان مراکش وتوفي سنة ٦١٨ .  
— محمد بن عبد الواحد ابن حريث النافعي الملاحى ( الملاحة بالقرب من  
غرناطة ) محدث بإجازة السلفي ، عالم بالحديث والأنساب ، حافظ ، حسن الخط ،  
توفي سنة ٦١٩ عن ٥٨ سنة .

— أبو طالب ابن حديد القاضي بالإسكندرية من بيت معروف بالقضاء  
بها ، أخذ عن السلفي وتوفي بها سنة ٦١٩ .

— عبد الصمد بن عبد الرحمن البلورى الوادى آشى اللبسى المقرئ المفسر  
الراغب الراوية المحدث اللغوى ، أجازة السلفي ، وتصدر ببلده وتوفي سنة ٦١٩  
عن ٨٥ سنة .

— عبد الله أحد التميمي ابن الخطيب من بجاية ، كان شاعرا مقلدا غير محدث ،  
أجازة السلفي وتوفي بتونس سنة ٦٢٠ .

— محمد بن محمد بن عبد البر بن مجاهد الأنصارى ابن زرقون الأشبيلي  
كتب إليه السلفي من الإسكندرية وله كتاب فى الرد على ابن حزم فيلسوف  
الأندلس ، وتوفي سنة ٦٢١ .

— المعنى أبو محمد عبد الله الشيمى دخل الإسكندرية وتفقه بها على بن جارة  
وابن عوف والسلفي ، وتوفي بالقاهرة سنة ٦٢٢ .

— الفيروز آبادى ، قدم من بلاده إلى دمشق ودخل مصر والإسكندرية  
وسمع بها من السلفي كثيرا وحدث عنه ، وجاور بمكة وتوفي بمصر سنة ٦٢٢  
عن ٨٥ سنة ودفن بمقبرة ذى النون المصرى .

— أبو عبد الله محمد بن رواج القرشي الإسكندراني المحدث ، سَمِعَ من  
السلفي بالإسكندرية وتوفي بها سنة ٢٢٢ وسمع المنذري منه بها أيضاً .  
— عبد الله بن علي بن الحسين بن عبد الخالق الوزير صاحب صفى الدين  
المالكي المهدوي أخذ الفقه بالإسكندرية على السلفي وأبى بجارة وتوفي بالقاهرة  
سنة ٢٢٢ .

— خديجة بنت الحافظ السلفي ، ولدت بالإسكندرية وسمعت آباءها وأخوتها  
عنه العلم وتوفيت بها سنة ٢٢٣ ، وبعد وفاة أبيها دخلت مصر فالتحق أهلها في  
احترامها ولكنها لم تحدث بعده .

— أبو محمد عبد الله التميمي القاسمي الأصل ، الإسكندراني المحدث سمع  
بالإسكندرية وسمع السلفي بها ، وجاور بمكة وحديثه ، وقلم مصر وتوفي  
بالإسكندرية سنة ٢٢٢ عن ٩٠ سنة .

— نصر بن عبد الله ابن بشير الغاضي القرشي أجاز له السلفي وعرف في هذبة  
سنة ٢٢٢ عن ٨٨ سنة .

— عبد الله بن عبد العظيم الزهري المالقي المحدث أخذ عن السلفي وتوفي  
سنة ٢٢٣ .

— يونس بن بدران بن خيزون الحبالي المصري شلوك في إعلانه كثيرة ،  
واختصره الأم ، الشافعي ، وألف في البوارش ، وفهرس التفسير ، يدينق ، ويول  
قضاء الشام وسمع السلفي بالإسكندرية ، وتوفي سنة ٢٢٣ .

— أبو القاسم صدقة ابن الكيال الجزيري النيسابوري السكندراني ، سمع من السلفي  
بالإسكندرية وكان غزير العلم ، ولد وتوفي بها سنة ٢٢٤ عن ٨٧ سنة .  
بالدينامس .

— أبو محمد عبد الله القرشي المهدوي المولد الإسكندراني الدار ، قدم

الإسكندرية من المدينة (بالغرب) وسمع السلفى بالإسكندرية إلى استوطنها وتوفي سنة ٦٣٤ عن ٨٢ سنة .

— الموفق الرئيس على بن أبي القاسم الجذامى السكندرى المالكي العدل وله بالإسكندرية وسمع بها ومصر ، وكان أحد رؤساء الثغر ومن أعيانه ، وكان الملك يظفونه لمكاته ، حدث عن السلفى وابن قلاقس ، وأدركه المنذرى بالإسكندرية وتوفي بها سنة ٦٣٤ عن ٨٧ سنة .

— أبو الفضائل جعفر بن تركي الإسكندراي العدل ، سمع بالإسكندرية عن السلفى وحدث وتولى المناصب في الدولة الفاطمية ، وكان يحب أهل الحديث ويكرهم وتوفي بالإسكندرية سنة ٦٣٤ .

— أبو محمد عبد الصمد الأصبغى الشافعي المقاتي ، وسمى بذلك لكثرة حفظه مقامات الحريري ، حدث عن السلفى وقد سمع منه بالإسكندرية ، توفي بمصر سنة ٦٣٤ عن ٧٠ سنة .

— البرهان أبو محمد عبد العزيز سحنون النخلى الثنايلي النحوي المعدل ، سمع بمصر والإسكندرية وحدث عن السلفى وتصدر لإقراء العربية بالجامع العتيق بمصر ، وتوفي بها سنة ٦٣٤ عن ٧٩ سنة .

— أبو النبيع درج بن فارس بن حيدرة السفلاي نزل دمشق وحدث بها وسمع بالإسكندرية ومن السلفى ، وتوفي بدمشق سنة ٦٣٥ عن ٧٨ سنة .

— أبو عبد الله محمد بن فضون بن رافع القيسي التاجر ، قدم الإسكندرية من سجنه وتوجه إلى مصر وبغداد وعاد إلى بلاده ثم الإسكندرية فأقام بها وحدث عن السلفى وبها توفي سنة ٦٣٥ عن ٨١ سنة .

— أبو رزين النخعي الكريوني النحوي (الكريون في الجنوب الشرق من

الإسكندرية) ، سمع من السلفى بالإسكندرية وحدث عنه . وكان شاعراً ، وتوفى بها سنة ٦٢٥ هـ عن ٧٢ سنة .

— أبو الحسن شارة بن طلائع المكنى ، سمع السلفى بالإسكندرية وتوفى سنة ٦٢٥ هـ .

— محمد بن عبد الحق الكومى فاضل تلسان ، برع فى الرعية والقراءات والفقه والحديث والكلام ، وله عدة مصنفات . كتب إليه السلفى من الإسكندرية وتوفى بتلسان سنة ٦٢٥ و تجاوز ٨٠ سنة .

— أبو عمران موسى الأزدي الى الإسكندراتى المالكى العدل المصنف الملقب ، كان من أجل فقهاء المالكية وطرسها بالإسكندرية كآبيه ، وسمع بها من السلفى وتوفى بها سنة ٦٢٦ هـ عن ٨٦ سنة .

— الأمير جمال الدين أبو الطاهر إسماعيل بن سيف الدولة ابن منقذ الكتانى الفيذرى المصرى ، سمع بالإسكندرية ومصر وأخذ عن السلفى ، وكان يكتب الرسائل للملك الكامل إلى الإفرنج وم بدمياط ، وتوفى بمران سنة ٦٢٥ هـ .

— أبو الربيع سليمان البرازى الملبجى ( من ملبج ) ولد بالإسكندرية وسمع بها وهو ووجه من قبله من السلفى ، حدث وأجاز ، وتوفى بها سنة ٦٢٦ هـ عن ٧٧ سنة .

— أبو محمد عبد المحسن الأنصارى الخزرجى ابن الدجاجى الشافعى سمع بالإسكندرية من السلفى وحدث عنه ، توفى سنة ٦٢٦ هـ عن ٧٧ سنة .

— الأكل أبو محمد فاضل بن نجا الخليل الإسكندراتى العدل ، سمع بالإسكندرية من السلفى ، وحدث عنه ، ولد ونشأ وتوفى بالإسكندرية سنة ٦٢٦ هـ عن ٦٨ سنة ( خليل : قرب بركة ) .



بها بالإسكندرية وأخذ عن السلفي ، وتوفي بالقاهرة سنة ٦٢٨ ، وأخوه أبو الفضل عبد الحميد الإسكندري سمع من السلفي أيضا بالإسكندرية ، وشيخ كل العراق والشام وسكن القاهرة .

— الأمير المين أبو عبد الله محمد بن أبي الشام بن أبي نصر بن قزح الدين الجندی سمع من السلفي بالإسكندرية وتوفي بالقاهرة سنة ٦٢٨ .  
— أبو بكر عتيق بن رملي الأنصاري الإسكندري ، سمع من السلفي

بالإسكندرية وحدث بها ، وولد وتوفي بها سنة ٦١٨ عن ٧٤ سنة .  
— أبو الفتح الأعرجية الله الغضائري أو الغضاري ، سمع بمصر والإسكندرية وأخذ عن السلفي وولد وتوفي بمصر سنة ٦٢٩ عن ٨٠ سنة .

— أبو محمد عبد الصمد المقرئ الجساري الشافعي الغضاري ، سمع بمصر والإسكندرية وحدث عن السلفي ، وولد وتوفي بمصر سنة ٦٢٩ عن ٦٥ سنة .  
— محمد بن محمد ابن جهور الأزدي المروسي ، أجازه السلفي ، وكان شاعرا

ناثرا ، ولكنه غير محدث ، توفي سنة ٦٢٩ .

— أبو محمد عبد الغفار بن نشكين التركاني الدوشري الحنفي (دوشري قرب الحلة في دلتا مصر) العدل ، سمع السلفي بالإسكندرية وشهد بالحلة وتوفي بها سنة ٦٢٩ .

— أبو محمد الحسن بن عبد الخالق الصنهاجي الشاطبي ، سمع السلفي بالإسكندرية وتوفي بها سنة ٦٢٩ وحدث ، وهو أخو أبي عبيد الله الصنهاجي وأبي محمد عبد الله بن عبد الجبار لأمه .

— علي بن عبد العزيز بن علي أبو القاسم ابن المحدث أبي محمد النخعي الشريفي الإسكندري المقرئ ، سمع من السلفي وتولاه للإمام وهو يروي عنه المقرئ وفاز في مسألة بهونه .

— محمد بن عبد الله الملقب بالفرغانى . أخذ عن السلفى وسمع بمصر والإسكندرية ودشنق وبغداد ، ودخل أسبهان فاستولى عليها الجيوش وقصد بها قبل سنة ٦٢٠ هـ .

— أبو حلى الحسن الإرقى ( ينسب إلى إره ) الصوفى ، سمع من السلفى بالإسكندرية كما سمع بمصر القاهرة وحدث ببیت المقدس وبها توفي سنة ٦٢٠ .  
— على بن محمد بن يتيق بن جبلة الأنصارى الخزرجى من أوديوكة وخطيبها ، سمع السلفى سنة ٥٧٣ وتوفى سنة ٦٢٠ .

— أبو القنوح ناصر بن السطى الأغماتى الأصل السكندرى المولى والدار سمع السلفى بالإسكندرية وحدث وأجاز ، وسمع بالإسكندرية سنة ٦٣١ من ٧١ سنة .

— محمد بن أحمد الأنصارى ابن البلغى الأندلسى من المربة بالأندلس ، سمع سنة ٥٦٦ وسمع بالإسكندرية من السلفى . وكان كثير الترسال على الأستاذ ، وحلوا إليه في سماع الحديث وتوفى سنة ٦٣١ .  
— أبو عبد الله بن عبد الأحمد بن الزبيب المؤدب المحدث أخذ عن السلفى بالإسكندرية وتوفى سنة ٦٣١ .

— عبد الله محمد الجرزى التاجر والمحدث الحنبلى المعروف بالإسكندرية ، وفد بمران وسمع ببغداد ومصر والإسكندرية التى سكها وسمع من السلفى بها حتى مات بها سنة ٦٢٧ عن ٩٠ سنة وكان مرحولا إليه لانهراة .  
— سماع فوائد الحلى .

— أبو الحسن على السكندى القبيلى النحوى السخاوى مولدا المولى دارا المالكي مذهبا ، العدل سمع السلفى بالإسكندرية وكان أديبا شاعرا تغلب فى المناسبات الديوانية الهامة وحدث وأقرأ الشعر ، وتوفى بالقاهرة سنة ٦٣٢ عن ٧٨ سنة .  
— علي بن عبد الصمد بن محمد تميم بن الرماح خفيف الدين المصرى القفرى .

الشافعي ، سمع من السلفي وتصدر للإقراء بالمدرسة الفاضلية ، بالقاهرة وتوفي سنة ٦٢٣ عن ٧٦ سنة .

— أبو محمد عبد الله بن أبي البقاء صالح بن عيسى بن عبد الملك ، دخل الإسكندرية وسمع بها من السلفي وحدثه ، وتوفي بالقاهرة ( بمحاظة الغربية مصر ) سنة ٦٢٤ عن ٨٧ سنة .

— منصور بن لب بن عيسى الأنصاري من المرية بالاندلس ، الفساري سمع من السلفي بالإسكندرية وأجازه وولد سنة ٥٧١ ولاندرى سنة وفاته .

— أبو الفضل عبد الله بن أبي الطاهر الإسكندراني ، سمع البجلي بالإسكندرية وتولى نظرها أي كان ناظر الثغر ( المحافظ في العصر الحديث ) وبعض المناصب الأخرى ، ولد بالإسكندرية وتوفي بالقاهرة سنة ٦٢٤ عن ٦٨ سنة ودفن بجوار أبي الحسن المقدسي ، خليفة السلفي المدفون بالمعظم .

— أبو إسحق إبراهيم الجباب التميمي السعدي الأغلي سمع من السلفي بالإسكندرية وحدث عنه وقد ولد بمكة وتوفي بمصر سنة ٦٣٤ عن ٨٢ سنة .

— أبو القاسم هبة الله بن علي بن جراح بن الحسين الكاتب سمع السلفي بالإسكندرية وحدث وتقلب في المناصب بمصر وغيرها وقد ولد بالقاهرة وتوفي بالشويك ( بالشام ) ودفن بقلعتها ، ثم نقل رفاته فدفن بالقاهرة سنة ٦٢٥ عن ٨٤ سنة .

— أبو عبد الله محمد بن موسى بن مهيا التميمي الإسكندراني ، ولد بالإسكندرية وسمع من السلفي بها ، وحدث وأجاز وتوفي سنة ٦٣٥ عن ٧٩ سنة .

— المأمون النيسابوري الأصل المصري المولود والنار ، الجنازي المحدث .

يجمع مصر بالإسكندرية وأخذ عن السلفي وحدث لأنه من بيت رجاله أهل  
حديث وقضاء وفقه، كان منهم ١٧، بالإسكندرية وحدها منهم ثمانية، توفي بالقاهرة  
سنة ٦٣٦.

أبو الهيثم البزاز، سمع من السلفي بالإسكندرية وحدث، وتوفي  
بالقاهرة سنة ٦٣٦.

أبو بكر بن أبي الفوارس، المالكي المذهب، العدل، سمع من السلفي  
بالإسكندرية، وانتهت إليه رئاسة القضاء ودرس وأقرأ وأفتى وحدث بها  
بالمنصورة والقاهرة وتوفي بالإسكندرية سنة ٦٣٦ عن ٩٢ سنة.

أبو علي حسان الجيني المديني الإسكندراني، أخذ عن السلفي، وتفقه  
وقرأ عليه ويرجع إليه سمع بالإسكندرية وحدث وأجاز، وتوفي بها سنة ٦٣٦.

— جعفر بن علي بن أبي البركات الحمدي، راوية السلفي المشهور، سمع  
منه كثيرا، تقدم دمشق وسمع عليه أهلها، وبها توفي سنة ٦٣٦ عن ٩٠ سنة.

— محيي الدين بن عرب المتصوف الإلهي ولد بمرسية سنة ٥٦٠ رحل إلى  
الشرق وأجازته السلفي وقدم بغداد سنة ٦٠٨ وتوفي بدمشق سنة ٦٣٨، وهو  
صاحب أمهات كتب التصوف المشهورة.

— أحمد بن يوسف الصنهاجي الشافعي، ولد بالإسكندرية ونشأ وسمع  
من السلفي كما سمع من مكة ومصر وحدث ونسخ الكتب، وتوفي بالإسكندرية  
سنة ٦٣٧ بحسن علة.

— ابن الجيسين أبو القاسم عبد الرحمن الدمشقي المصري الصوفي، سمع  
بدمشق ومصر والإسكندرية، حيث أخذ عن السلفي، وحدث وتوفي  
بالقاهرة سنة ٦٣٧.

— أبو الحسن علي الرازي الدمشقي الشافعي المعلم الأديب ، سمع من السلفي بالإسكندرية وحدث عنه بدمشق وبها توفي سنة ٦٣٨ عن ٧٤ سنة .

— أبو عبدالله محمد الهاشمي المالقي المالكي الضرير المعمر النزالي ، ولد بمالقة ، وسمع ببجاية والإسكندرية ومكة ومصر وحدث وأجاز ، وأكثر من الأخذ عن السلفي بالإسكندرية التي توفي بها سنة ٦٣٨ عن ١٠٤ سنة ، ودفن بجزيرة الإسكندرية من ظاهرها ( رأس التين ) .

— أبو البركات بن الشيخ الجذامي السمدى الإسكندراني ، سمع بالإسكندرية عن السلفي وحدث عنه بها وبالقاهرة ، وهو من بيت علم ورياسة وتوفي بالإسكندرية سنة ٦٣٨ عن ٧٣ سنة ، وتوفي بالجزيرة ظاهر الإسكندرية

— أبو الحسن علي بن طغان العامري المحبلى الإسكندراني الشهير بجبال الملك وابن الجبل وسمع بمصر والإسكندرية ، وحدث عن السلفي ، وهو من أولاد الأمراء المصريين توفي بمصر سنة ٦٣٨ عن ٩٠ سنة

— أبو البركات محمد الأنصاري الإسكندراني ابن تاجر عينه ، سمع من السلفي بالإسكندرية ، وحدث وأجاز وتوفي بالإسكندرية سنة ٦٣٨ عن ٨٩ سنة .

— أبو البركات هبة الله الحمداني الإسكندراني المالكي ، سمع من السلفي بالإسكندرية وأجازه وحدث عنه ، وتوفي بالإسكندرية سنة ٦٣٨ .

— جمال أبو محمد عبدالله بن عبد الكريم الشافعي الديمياطى ابن البرورى الفقيه ، تولى التدريس بالسلفية إلى أن توفي بالقاهرة سنة ٦٣٩ عن ٧٥ سنة ودفن بالمقطم .

— الأمير أبو المظفر قايماز المعظمى الشمسى ، أخذ عن السلفي بالإسكندرية

وحدث بها وبالبحيرة ومصر ودمشق وغديرها ، وتولى مناصب عدة وتوفي بالقاهرة سنة ٦٣٩ عن ٨٤ سنة .

— أبو الكرم أسعد العدوي بن قادوس القاضي ولد بمصر وسمع من السلفي بالإسكندرية وبها توفي سنة ٦٣٩ عن ٩٦ سنة ودفن بجزيرة الإسكندرية وقد حدث بها وبمصر .

— المماد أبو محمد عبد العزيز ابن الثمار الكاتب الشافعي ، سمع من السلفي بالإسكندرية وحدث ، وتوفي بمصر سنة ٦٤٠ عن ٨٥ سنة .

— العبادي السعدي الشيرازي الدمشقي الحنبلي ، سمع من السلفي بالإسكندرية ، كما سمع بدمشق ومكة وحدث وأجاز ، وتوفي ببلده سنة ٦٤١ .

— أبو المنصور ظافر ابن شهم الإسكندراني المالكي المطرزي ، ولد بالإسكندرية وسمع بها وأخذ عن السلفي ، وحدث وأجاز وتوفي سنة ٦٤٢ .

— الجبال أبو الفضل بن نجما الغساني الإسكندراني ابن الخليل ( بخيلة بركة ) ولد بالإسكندرية وسمع من السلفي بها ، وحدث وكان أحد رؤسائها وأعيانها وتوفي بها سنة ٦٤٢ عن ٧٤ سنة ، وكان أبوه سعيد الدولة أبو محمد عبد المعطي قد قرأ علوم النظر وسمع من السلفي ، وتصدر بجامع العطارين بالإسكندرية .

— عمر بن محمد بن عمر الأزدي النحوي الإشبيلي رئيس النحاة بالأندلس ، أجاز له السلفي من الإسكندرية وجمع مشيخته ، وكان عالماً بالعربية لا يجازي ولا يباري ، ظل في إقرائها نحو ستين سنة حتى كبر سنة ، فلما انتشرت الفتنة اعتسكف وكان آخر الأئمة في المشرق والمغرب وكانت له معرفة بنقد الشعر ، وتوفي سنة ٦٤٥ عن ٨٣ سنة .

— جمال الدين أبو محمد عبدالله بن أبي إسحاق إبراهيم بن أبي الفضل سعيد الريني قاضي الإسكندرية وخطيبها وحاكمها ومفتيها ، دخل مصر سنة

٥٧٠ وعمره ٢١ سنة ، وطلب الإجازة من السلفى قبيل وفاته ، وتولى حكم الإسكندرية سنة ٦٠٣ وتوفى بها سنة ٦٤٤ عن ٩٥ سنة ودفن عند المنار بالميناوين : وعنه وضع تليذه الحسن بن عتيق سيرته المخطوطة النادرة وعنوانها « المفاخر السنية والمآثر المرضية » ونسأل الله أن يوفقنا إلى تحقيقها ونشرها .

— أبو الحسن على بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الضحاك ابن النفري الفزارى المالكي ، أخذ الحديث عن السلفى ، ولا يعرف متى توفاه الله وأين كانت وفاته .

— أبو على منصور بن سندی الدباغ النحاس الإسكندراني أخذ بكثرة عن السلفى وتوفى سنة ٦٤٦ .

— أبو المكارم عبدالله بن الحسن بن أبي عبد الله بن أبي بكر بن محمد السعدني سعد جذام المقدسي الأصل البمياطي المولود الفقيه الشافعي ، أجاز له السلفى وحدث وسمع منه المنذرى ، وسمع ينفذاد وولى القضاء والخطابة وتدرىس الفقه ومات بمصر سنة ٦٤٦ عن ٨٣ سنة .

— رشيد الدين أبو محمد عبد الرهاب بن ظافر بن على بن فوح ابن رواج المحدث المالكي الإسكندراني سمع من السلفى وتوفى سنة ٦٤٨ .

— أبو منصور بن عبد الملك بن عتيق بن مظفر بن السرى الفهرى الإسكندراني الشاهد المالكي أخذ عن السلفى وتوفى سنة ٦٤٨ عن ٩٠ سنة .

— ابن الجينى الفقيه المحدث المصرى ، انتهت إليه مشيخة العلم بالديار المصرية ، وقد أخذ عن السلفى وتوفى سنة ٦٤٩ .

— سبط السلفى وهو الجمال أبو القاسم عبد الرحمن بن مكى بن عبد الرحمن الطرابلسى الإسكندراني ، ولد بالإسكندرية سنة ٥٧٠ وسمع من جده الحافظ السلفى وغيره بها ، وتوفى بمصر سنة ٦٥١ ، وكان مسند الديار المصرية .

— ابن المقدسية العدل شرف الدين أبو بكر محمد التميمي السفاحي المشهور ،  
أصله من سفاقس واستوطن الإسكندرية وأخذ عن السلفي وخرج له الحافظ  
منصور بن سليم م. ورح الإسكندرية ومحتسبها مشيخة ، وتوفي سنة ٦٥٤ عن  
٨١ سنة .

— أبو السرايا عامر بن حسان بن فتية بن محمود بن سليمان بن الهبار  
الإجداني الإسكندري وهو من أهل الحديث سمع السلفي وتوفي سنة ٦٥٤ .  
— عبد الرحيم بن أحمد الأنصاري السبق ابن عليم ، حج سنة ٦١٣  
ولقي أصحاب السلفي ولكنه لم يدركه ، وعاد بعد الحج إلى تونس سنة ٦٤٣  
وحدث بها عن أصحاب السلفي وتوفي سنة ٦٥١ .

— محمد بن يحيى الدين بن عري ولد بملطية سنة ٦١٨ وكان يحدث عن السلفي  
بالإجازة العامة وكان قد ولد بعد وفاة السلفي ، وتوفي بدمشق سنة ٦٥٦ .  
— أحمد بن عبد الدائم الفندقي ( فندق السوح من جبل تابل بالشم )  
الحنبلي ، أجازة السلفي ، ورحل إلى بغداد ، وكتب تاريخ دمشق ، وروى  
عنه كثيرون بمصر والشام ، وتوفي سنة ٦٦٨ عن ٩٣ سنة .

هؤلاء هم أكثر من ثلثائة من أمكن العثور عليهم في المخطوطات  
والطبوعات من الكتب القديمة والحديثة ، وكلهم أخذوا عن السلفي وتأثروا به  
ونشروا العلم في أمشي أنحاء الشرق والمغرب ، منهم السلاطين والأمراء  
والأعيان والفقهاء من المصريين والأغراب ، منهم من سمع منه وهو ابن ست  
سنوات كبطله ، ومنهم من أخذ عليه كهلًا وهم كثيرون ، ومنهم من أخذ عليه  
بشايًا وما أكثرهم ، وهم جميعًا قد عرفوا بالجل وقدره ، فاقبلوا على السماع منه ،  
وكان ليكل منهم دوره في تسمية الفيلسوف الإسلامي بعليل الرغم من التباين  
السياسية الباصقة الجارية .

وعما يلاحظ أن هؤلاء الآخذين عن السلفى، قد تلبذوا عليه وهو حتى طوال المائة والسته من الأعوام التي قضاها من عمره في شتى البلاد، وأهم فترة منها أخذوا عنه فيها هي فترة إقامته بالإسكندرية، وقد ظل هؤلاء نحو مائة سنة بعد وفاته، وهم يذكرونه، ولا ينسون سماعهم منه، أو إجازته لهم على البعد، ومن عدول الإسكندرية الذين أخذوا عليه ابن الراجز وهو حبة الله ابن محمد بن الحسين بن مفرج جمال الدين أبو بركات المقدسى الإسكندراني تصوف سنة ٦٠٥ عن ٨١ سنة.

وقد قام بالتدريس بالمدرسة السلفية من بعده السلفى كثيرون منهم مثلاً أبو القاسم حبة الله بن معد بن عبد الكريم القرشي المياطي المعروف بأبي البوري (بور قرب دمياط مشهورة بالسلك البورى)، انتقل من بلده إلى الإسكندرية وتوفي سنة ٥٩٩.

ولاندرى بعد ذلك هل يجوز لنا أن نقول إن الأمة الإسلامية كلها قد تجملت في شخصية السلفى؟ أم أن شخصية السلفى هي "من جملة" الأمة الإسلامية.

الحق أنه كان رجلاً في أمة، وأمة في رجل

رحمه الله، وجعل اللجنة المالية مشواه، وهدانا جميعاً إلى السير على خطاه.



## وبعد ..

هذا هو الحافظ السلفي .. وقد أعانته الله على الرسالة التي أداها ، ونفع به الأمة الإسلامية ، شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، فاستحق منسا الوفاء والذكر الحسن ، بعد أن تحرك من بلده في سبيل الثقافة الإسلامية ، وعرف أكثر من غيره بلادها أبعادها ، وانتهى به الأمر في الإسكندرية ، فاستقر بها ، وفيها التقى بألاف الراغبين في الثقافة الإسلامية من طلاب العلم ، فقدم إليهم ، من شتى بقاع العالم الإسلامي ، ففضى العمر وهو يحظى بالاحترام والتقدير من الملوك والوزراء والعلماء ، بدون خصومة أو عداوة من أحد يحول بينه وبين رسالته الكبرى وهي « الإسلام » .

ولم يعرف التاريخ مدينة ارتفع شأنها بسبب عالم جليل ، كالإسكندرية وعالمها الحافظ السلفي ، الذي كان صلاح الدين الأيوبي يحد أن من الشرف أن يستمع إليه . في الإسكندرية ، ومعه أولاده والوزراء وكبار العلماء والتجار .. وامة البشر من الرجال والنساء ، والشيوخ والشباب ، حتى في فترات الجهاد .

والإسكندرية مدينة محظوظة ، اشتهر بها — سواء من أهلها أو من القادمين إليها — رجال صانوا الثقافة الإسلامية ، وخدموها وصنعوا منها الخصالين بمن اشتهروا بها ، واشتهرت بهم كآبي العباس المرسى وأبي بكر الطرطوشي وغيرهما ، غير أن الحافظ السلفي ، كان أوسع وأعمق وأبعد وأدق من غيره في العالم الإسلامي مكانا وزمانا ، فكان بحق « أشهر علماء الزمان » .

أليس جديرا بمحافظة الإسكندرية اليوم ، أن تنظر بعين الجدد والرعاية في تجديد مسجد السلفي على أحدث نظام في العمارة الإسلامية ، لا ليكون مصلا فقط ، ولكن ليكون جامعة إسلامية ، وليتعرف كل مسلم في الشرق والغرب ، على الإسكندرية التي تشرفت بكفاح السلفي ، وعلى تلاميذ الذين سبقوا منه

أو أخذوا عنه ، فاستقروا ببلاد مصر ، أو ببلاد الإسلام ، ونقلوا عنه ، وكتبوا له ، وكتب لهم ؟ .

ثم .. أليس من حق السلفى علينا أن نطبع مؤلفاته الرائعة ولا سيما المخطوطة الآن منها بين أيدينا مثل « معجم السفر » و « المشيخة البغدادية » ، لتعرف على ما كان يفعله أسلافنا في جمع كلمة الأمة ، عن طريق كلمة الله ؟ .

والهيئة المحلية لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالإسكندرية ، تهيب بالسيد المؤمن رئيس الجمهورية محمد أنور السادات ، ووزرائه الأوفياء المخلصين ، أن ينال الحافظ السلفى حقه من التخليد والوفاء ، جزاء وفاقا بما قدمه — من الإسكندرية — للعالم الإسلامى ، من فضل خلدته التاريخ ، وأهمله الفاعلون ، وكان لنا وحدنا شرف البحث عنه ، وتخليد ذكره ، على الرغم من صعوبة البحث ، وتعدد المجالات ، وطول الزمن ، وكان الله وحده نعم المعين .

المؤلف

محمد محمود زيتون

## المؤلف

- ١ - جريس المدرسة : ( شعر ) ١٩٣٥ مكتبة مصر - الإسكندرية
- ٢ - الملك الصياد : ( قصة ) ١٩٣٥ مطبعة صلاح الدين - د
- ٣ - أدكو : ( دراسة ) ١٩٣٦ مطبعة النهضة - د
- ٤ - وحدة الوادى : ( مسرحية شعرية ) ١٩٤٧
- ٥ - مينا : ( د د د ) ١٩٤٧ دار النشر للجامعيين - القاهرة
- ٦ - ميلاد النبى : ( د د د ) ١٩٤٨ د د د د
- ٧ - جهاد النبى : ( حوار تاريخى ) ١٩٥١ د د د د
- ٨ - الألعاب العربية ( دراسة ) ١٩٥٦ دار نشر الثقافة - الإسكندرية
- ٩ - حرائق القاهرة فى التاريخ ( د ) ١٩٦٠ مكتبة وهبة - القاهرة
- ١٠ - سلسلة القصص القومية للأطفال ١٩٦٢ الدار المصرية للطباعة والنشر - بالإسكندرية
- ١١ - إقليم البحيرة ( دراسة ) ١٩٦٢ دار المعارف - مصر
- ١٢ - الإدارة المحلية فى مصر ( د ) ١٩٦٢ د د د
- ١٣ - معركة كفر النوار ( د د ) ١٩٦٢ دار الشرق الأوسط بالإسكندرية
- ١٤ - الصين والعرب عبر التاريخ ( دراسة ) ١٩٦٤ ( اقرأ ) دار المعارف
- ١٥ - فلسطين ضحية المؤامرات ( دراسة ) ١٩٦٤ الدار القومية للطباعة والنشر - بالإسكندرية
- ١٦ - كفاح الجزائر ( دراسة ) ١٩٦٥ د د د د
- ١٧ - الإمام أبو العباس المرسى ( دراسة ) ١٩٦٥ محافظة الإسكندرية

- ١٨ - القبازي زاهد الإسكندرية (دراسة) ١٩٦٨ دار المعارف - مصر  
 ١٩ - أحلام الريح (شعر) ١٩٦٩ د د د  
 ٢٠ - قصص إسلامية للأطفال (صدر منها ٢٠ حلقة) ١٩٧٠ المكتب المصري  
 الحديث - مصر  
 ٢١ - تحت أسوار الإسكندرية (مسرحة شعرية) ١٩٧٢ مؤسسة شباب  
 الجامعة - الإسكندرية  
 ٢٢ - الحافظ السلفي (دراسة) ١٩٧٢ مؤسسة شباب الجامعة - الإسكندرية

#### تحت الطبع :

- ٢٣ - سكندريات  
 ٢٤ - الحركة الفكرية في الإسكندرية  
 ٢٥ - أحلام روتشيلد  
 ٢٦ - فاطمة سيده النساء  
 ٢٧ - فلسطين تتحدى

## الفهرست

المصنف	الموضوع
ز	المصادر
١٣	فاتحة
١٩ ( ١ )	تعريف بالسلفي :
	مصادر البحث عن السلفي — السلفة واشتقاقها —
	من المهد إلى العهد — بيت السلفي — الرحلة
	السلفية — عليه وخلقه — أقوالهم عن السلفي
	— مؤلفاته ومذكراته — الفكر الإسلامي في
	سنة قرون
٥٣ ( ٢ )	السلفي والتحرك الثقافي :
	من أصهبان — ابن البلد — أصهبان وأصبهانويون
	— أوائل الشيوخ — إلى بغداد — في دمشق
	— ثغر الإسكندرية — مابعد الإسكندرية —
	بلاد وعلما .
٨٧ ( ٣ )	السلفي على الطبيعة :
	أقرب المسالك — من المحيط إلى المحيط —
	وأطل القرن الخامس — أضواء على أصهبان —
	أضواء على بغداد — بغداد معالمها وأعلامها —
	أضواء أخرى على أجواء أخرى —

للقاهرة والإسكندرية — ثقافة الإسكندرية

في خضم الأحداث .

١٢٩ ( ٤ ) السلفى والإسكندرية:

التفاعل مع الزمان والمكان — الإسكندرية

السلفية — الإسكندرية عذوة — السلفى

الإسكندراني — السلفى والإسكندرانيون .

١٨٩ ( ٥ ) ثقافة السلفى :

الحافر على الحافر — السلفى وعلم الحديث —

السلفى وعلم الرجال — السلفى ولقد الرجال —

السلفى وعلم القراءات — الشعر والشعراء والسلفى —

السلفى: أثر الخلق — السلفى ومساكن

البلدان — السلفى فقيها ومفتيا ومفسرا ولغويا .

٢٦١ ( ٦ ) تلاميذ السلفى في المشرق والمغرب :

المدرسة السلفية — هؤلاء هم تلاميذه —

وبعد ٢١١

للتأليف ٢١٢

التهذيب ٢١٥

تصويبات ٢١٧

## تصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
ز	٦	الديبى	الديبى
٣٠	الآخر	سليم	سليم
٣٦	الحامش ١	الديبى	الديبى
٤٤	٣	لا اسم	الاسم
٩٢	٧	الروصين	الروصين
١٢٣	١	ومع ذلك يفزهون	ومع ذلك لا يفزهون
١٤٤	٩	على السواء	على السواء
١٥١	١٣	كتب عنه	كتب عنهم
١٥٩	٩	نسلكه	نسلكه
١٧٦	الآخر	وقالوا عنه	وقال عنه
١٧٦	١٠	بمدوسته	بمدوسته
٢١٨	٢١	أبناء سليمان	بناء سليمان
٢٥٦	٥	المالكية منهم	المالكية منهم
٢٦٤	٣	إجازة عقب	إجازة ولاسما عقب
٢٧٧	٢	ولغيره	ولغيره وهو إسكندرانى
٢٨١	٦	سمع منه	سمع من



---

مطبعة صلاح الدين

١٠ شارع أحمد عرابي — تليفون ٣٠٩٨٦ إسكندرية

---





## هذا الكتاب

يتناول هذا الكتاب سيرة الإمام الحافظ السلفي أشهر علماء الزمان ، في القرن السادس الهجري الذي بلغت فيه الثقافة الإسلامية أوج ازدهارها فيما بين غروب شمس الدولة الفاطمية الشيعية وشرق شمس الدولة الأيوبية السنية على يد السلطان صلاح الدين الأيوبي قاهر الصليبيين ، والذي لم تمنعه إصلاحاته في مصر والشام في ظل الوحدة النضالية من حضور دروس الحديث ، التي كان يلقيها السلفي بالإسكندرية ويحضرها معه أولاده وكبار رجال الدولة من الوزراء والكتاب والمؤرخين .

لما السلفي يبلده (أصهبان) وتلقى بها ، ثم رحل فسمع من بغداد ومكة والمدينة ودمشق وصور والإسكندرية والقاهرة . حتى توفي سنة ٥٧٦ هجرية عن ١٠٦ سنة ، قضى منها في الإسكندرية ٦٥ سنة ، فاشتهر بها واشتهرت به ، وتلقى بحمده في علم الحديث حتى لقبوه «مسند الدنيا» وبرع في علوم اللغة والتفسير والفقه والتصوف والنقد والتاريخ والجغرافيا وعلم الرجال ، فكان المحقق المدقق في كل مجال من مجالات الثقافة الإسلامية .

وكانت «المدرسة السلفية» ذات أصداء بعيدة وعميقة ، بنأى عن الفتن الضارية التي عصت العالم الإسلامي في ذلك العصر ، ولكن السلفي شق طريقه في أناة ، غير طامع في منصب أو جاه من ملك أو خليفة أو سلطان ، ولم يبلغ شأوه أحد قبله أو بعده ، وكان فضله على الثناء جميعاً أعظم وأتم سواء في مادته أو منهجه ، وبذلك أسس للتراث الإسلامي أجل خدمة ، إذ صالاه من الضياع ، وعمل على تنميته ، وكان المرجع الدقيق لكل من جاء بعده في مختلف العلوم .

